علي محمد علي دخيّل



أعلام النساء

١ - ٨

الدار الاسلامية

أعلام النساء
١ - ٨

الطبعة الثالثة
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ١٤٥٦٨ تلكس ٢٣٢١٢ - غدير
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السلسلة[1] .

وبعد أن خرج أول كتاب من سلسلة الأئمة (عليهم السلام) ، وأصبحت كتب السلسلة تنتظر دورها إلى المطبعة ، كانت تدور في ذهني أسماء كثيرة تستهويني إليها ، وعناوين متعدِّدة تستحثني لخوضها ، وربما كنت قد كتبت نتفاً مسبقة عنها ، ولكنّي وجدت نفسي وقد قطعت الصلة بها كلها ، وغمست قلمي من جديد لأكتب عن أعلام النساء وسيداتهن .

ولست أدري لماذا وقع الإختيار على هذا الموضوع دون سواه ، وملء حقيبتي عناوين وأسماء ؟ فهل كان الدافع للكتابة هو الإعتراف لهؤلاء النسوة بالفضل في سبيل إعلاء كلمة الحق ، والدفاع عنها ، أو لأنّي أجد في الكتابة عنهنَّ دعوة للمرأة المسلمة إلى ان تسلك مسلك هذه السيدات ، وتترسم خطاهن ، وتسير بسيرتهن ، وبذلك نصلح نصفنا المشلول ، ونداوي جانبنا المنهدل ؟ .

وشيء آخر يجب ان يقال : إنَّ بمقدار ما لهذه السير من أثر في حياة المرأة المسلمة فهي ليست بأقل اثراً من ذلك على حياة المسلم ، فهي صورة

(١) خديجة بنت خويلد ٢ ـ أم سلمة ٣ ـ فاطمة الزهراء (عليها السلام) ٤ ـ فاطمة بنت أسد ٥ ـ زينب بنت الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) ٦ ـ أم كلثوم بنت الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) ٧ ـ سكينة بنت الامام الحسين (عليه السلام) ٨ ـ فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) .

وضاءة للإيمان والعقيدة ، يلتمس منها الجميع المُثُل الرفيعة ، والتفاني في سبيل المبدأ، ثم هي بعد مرآة صافية ، ترتسم عليها معالم الحق والجهاد ، ونستوحي منها الذود والدفاع عن الإسلام .

﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾[1] .

---

(١) يوسف / ١٠٨ .

أعلام النساء

(١)

خديجة بنت خويلد

الاهداء

سيدتي يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

يشرفني ان أرفع إليك كتابي هذا مستعرضاً فيه سيرة أمك العظيمة (خديجة) وبعض مواقفها الجهادية في سبيل الدفاع عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والاسلام) وأرجو منك ياسيدتي القبول .

عبدك

علي محمد علي دخيل

هذا الكتاب

نقدم للقراء الكرام الكتاب الأول من هذه السلسلة (خديجة بنت خويلد) والحديث عن خديجة حديث عن الإسلام في نشوئه وارتقائه ، فهي أول امرأة لبت دعوة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، واستجابت لنداء السماء ووقفت بجانب الرسول (صلى الله عليه وآله) بكل ما تملك من حول وقوة .

أتبعت خديجة إسلامها بتقديم ثرواتها الطائلة ، وامكانياتها المالية الكبيرة في سبيل الإسلام ، وتحت تصرف الرسول (صلى الله عليه وآله ، ينفق منها على جمهور المعوزين ، الذين استجابوا للدين الجديد ، وفي الشؤون الأخرى التي يرتئيها (صلى الله عليه وآله) حتى نفذ مالها كله .

ومما تسالم عليه المؤرخون والباحثون : ان أعظم مقومات هذا الدين الدفاعية هي : نصرة أبي طالب ، واموال خديجة ، وسيف علي بن أبي طالب (عليه السلام) . فبهذه العوامل استطاع الإسلام ان يقف أمام التيارت المعادية التي كادت ان تقضي عليه وهو لا يزال غضاً في بداية حياته .

ولخديجة بعد هذا حلقات أخرى حريَّة بالدرس ، وجوانب كثيرة جديرة بالعناية .

وهذا الكتاب لا يدعي الاحاطة ، بل هو إلمامة سريعة ببعض مآثر هذه المرأة العظيمة ، وإشارة الى جوانب من حياتها الكريمة ومن الله التوفيق .

في سطور

أبوها : خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب .

أمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصم .

ولادتها : سنة ٦٨ قبل الهجرة .

ازواجها : ابو هالة بن زرارة التيمي ، عتيق بن عائذ المخزومي[١] .

زواجها منه عليه السلام : وعمره الشريف خمس وعشرون سنة وعمرها اربعون سنة .

أولادها : القاسم ، عبد الله (يقال له الطيب والطاهر لولادته بعد النبوة) .

بناتها : زينب ، أم كلثوم ، فاطمة ، رقية[٢] .

اموالها : كانت اكثر قريش مالا ، وكان اهل مكة يتجرون بأموالها قبل زواجها به (عليه السلام) ، ثم وهبته صلوات الله عليه جميع ما تملك ،

---

(١) جاء في المجلد السادس من البحار في باب نساء النبي (صلى الله عليه وآله) : روى أحمد البلاذري وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما والمرتضى في الشافي وابو جعفر في التلخيص : ان النبي (صلى الله عليه وآله) تزوج بها وكانت عذراء ، يؤكد ذلك ما ذكره في كتاب (الأنوار والبدع) ان رقية وزينت كانتا ابنتي هالة اخت خديجة .

(٢) انكر صاحب الاستغاثة ذلك وذكر انهن بنات اختها هالة ألحقن بها لخمول هالة وسمو خديجة ، وعلى رأيه لم يكن لها الا فاطمة (عليها السلام) .

فكانت هذه الثروة الطائلة من مقومات الدعوة الإسلامية .

القابها : الطاهرة .

إسلامها : هي أول امرأة أسلمت .

قرابتها : هي أقرب ازواجه (عليه السلام) اليه نسباً .

في بيت الرسول : لم يتزوج غيرها في حياتها ، اكراماً لها وتعظيماً لشأنها .

وفاتها : في شهر رمضان السنة العاشرة من البعثة ، وبعد وفاة أبي طالب بثلاثة ايام .

دفنها (صلى الله عليه وآله) في الحجون وأدخلها بنفسه القبر ، سمى عام وفاتها (عام الأحزان) عمرها ٦٥ سنة .

اسلامها

هنيئاً لك يا محمد بهذا النصر ، فهب ان قريشاً هبت تدافعك وتقهرك ، لكن الدنيا كانت بأسرها في قبضتك ، فهذا ابن عمك وحبيبك أول من يتابعك على دينك ، ويصدقك على رسالتك ، ويؤازرك على نشر تعاليمك ، وهذه زوجتك أول امرأة تؤمن بك وتناصرك ، ومن ورائك عمك شيخ الاباطح ، فهو لا يسلمك ولا يتخلى عنك ، ويأمر نجله الآخر (جعفراً) حينما رآك تصلي وخلفك علي وخديجة أن يكون معهما ثالثاً ، وتلا هؤلاء آخرون هم من أكثر الناس اتصالاً بك ، ورحما منك ، فقد اسلم مولاك زيد ابن حارثة، وعمك الحمزة ، وزوجة عمك فاطمة بنت أسد ، وحاضنتك أم أيمن .

فلو تابعك من في المشرق والمغرب وكنت لم تحصل على هؤلاء لكنت لم تحصل على شيء .

افلا يستدلون على صحة دينك بمتابعة أقرب الناس منك ، وأطلعهم على أسرارك ، وأعلمهم بأحوالك ، فلو كنت والعياذ بالله مفترياً لكان لهؤلاء شأن آخر معك ، ولما وجدناهم يسارعون الى ندائك ، ويبذلون في سبيلك النفس والنفيس ، ويتحملون المصاعب في سبيل انجاح دعوتك ، ونشر مبادئك ، ثم تكون خاتمة المطاف لبعضهم الشهادة .

والحديث عن اسلام خديجة هو الحديث عن بدء الإسلام في يومه الأول ، فقد أجمعت الأمة بأسرها على انها أول امرأة أسلمت .

عن أبي يحيى بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده عفيف قال : جئت في الجاهلية الى مكة وأنا أريد ان أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها ، فأتيت العباس ابن عبد المطلب وكان رجلاً تاجراً ، فأنا عنده جالس حيث أنظر الى الكعبة وقد حلقت الشمس في السماء فارتفعت وذهبت إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم قام مستقبل القبلة ، ثم لم ألبث إلاّ يسيراً حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، ثم لم ألبث إلاّ يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة .

فقلت : يا عباس امر عظيم !

قال العباس : أمر عظيم ، أتدري من هذا الشاب ؟

قلت : لا .

قال : هذا محمد بن عبد الله ، ابن أخي ، أتدري من هذا الغلام ؟ هذا علي ابن اخي ، اتدري من هذه المرأة ؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته ، إنَّ ابن اخي هذا أخبرني أنَّ ربه رب السماء والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ، ولا والله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة[1] .

---

(١) خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) ٤٥ .

في عهد الرسالة

هبت قريش في وجه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) تدافعه عن أوثانها وتقاليدها واستغلالها ، مجندة كل قواها في صده (صلى الله عليه وآله) عن دعوته ، ومنعه عن أداء رسالته ، استعملت لذلك شتى الوسائل والسبل ، وبلغت في إيذائها أقصى ما يتصور ، حتى قال عليه الصلاة والسلام : ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت .

ومن الغريب أن يكون محمد بالأمس الصادق الأمين ، ويصبح اليوم الساحر الكذاب ! ! هكذا يتنكر الإنسان لأخيه الإنسان عندما تصطدم مصالحه ، وتضرر منافعه .

وفي الوقت الذي كان فيه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يعاني الأذى ، ويكابد المصاعب ، كان هناك من يطيّب خاطره ، ويخفف عنه آلامه ، وينسيه همومه واحزانه . . انها خديجة ، انها المرأة المؤمنة ، انها المرأة العظيمة ، انها ناصرة محمد وشريكته .

كانت ابتسامتها تخفف عنه (صلى الله عليه وآله) عناءه واتعابه ، وحبها الطافي على محياها ينسيه آلامه وأتعابه ، وقلبها الكبير المفعم بالعقيدة والإيمان يشرح صدره .

كان إيمانها يوحي للرسول (صلى الله عليه وآله) بمستقبل الدعوة الزاهر ، وكانت صلابة عقيدتها دليلاً على بداية النصر .

أنا لا أقول : إنّ موقف خديجة كان يزيد من نشاط الرسول (صلى الله

عليه وآله) ، وجهاده ، ويدفع به الى تحقيق أهدافه وآماله ، فالرُسل (صلوات الله عليهم) لا يزدهم كثرة الناس حولهم عزة ، ولا تفرقهم عنهم وحشة ، فهم يسيرون وفق مخطط رسمه لهم الجليل جلّ شأنه ، ملتزمون من قبل الحق تبارك وتعالى ، ومن كان الله ناصره كفاه أمره ، وألهمه رشده ، فهم لا يستوحشون وإنْ وقفت الدنيا كلها في وجوههم ، ولا يخافون ولو تجندت الخلائق بأسرها لحربهم .

ولكنني معتقد بأن وجود خديجة كان ضرورياً في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) بما لها من إيمان وعقيدة ، وتفانٍ وإخلاص ، وحب وعطف ، وذهب وفضة وتجارة وماشية ، وعبيد واماء .

كان وجود خديجة عاملاً مهما في حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، أو في حياة الإسلام وهو لا يزال في بدء نموه ، ولو لم يكن لوجود خديجة الى جنب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هذا الأثر الكبير لما عزّ فقدها عليه ، وهد موتها ركنه ، ولما كان عام فقدها عام الأحزان ، ولما ظل يذكرها السنين المتطاولة ، يحن لذكرها ، ويبكي لفقدها ، ويذكر أياديها على الرسالة ، ومساهمتها في تحقيق النصر .

إنَّ كل من درس السنين العشر التي تلت البعثة النبوية يلمس جيداً أثر هذه المرأة في نشر الإسلام ، وما قدمته من خدمات في سبيل إعلاء كلمة الحق . إنَّ التاريخ لم يغفل موقفها البطولي ، وتضحياتها الكبيرة ، وما بذلته من أموال طائلة في نصرة الدين الجديد .

فأعظم خطر واجهه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) على الرسالة (حصار الشعب) وكانت أموال خديجة هي مفتاح الحصار ، فكانت تشتري المواد الإستهلاكية بأضعاف أثمانها غذاء لمن في الشعب ، حتى مرت سنوات الحصار بسلام على من في الشعب ، وأحبط تدبير قريش .

وليست مواقفها في المجالات الأخرى دون هذا الموقف ، فيتضح لك من هذا وغيره عظمة هذه المرأة وأثرها في نشر هذا الدين الحنيف .

سيرتها

للشخصيات الكبيرة التي استأثرت بالتاريخ قروناً طويلة ، وستبقى الى الأبد تحتل الصدارة فيه ، سيرة كريمة ساروا عليها من بداية حياتهم ، وحتى نهاية مطافهم ، ولم تكن هذه السيرة منهم وليدة الصدفة ولا هي مما تخلقوا به في أوج عظمتهم ، أو رداء تقمصوه في عنفوان زعامتهم ، بل جبلة طبعوا عليها ، وفطرة خيرة فطروا عليها ، وغريزة صالحة نشأوا عليها .

فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان يُعرف من بداية حياته بـ (الصادق الأمين) لما ظهر من صدقه وأمانته .

وشاء المهيمن أن تكون لخديجة سيرة مثلى تنفرد بها عن جميع النساء ، وتمتاز بها من بين العقائل ، فقد كانت تعرف في الجاهلية بـ (الطاهرة) وناهيك بهذا شرفاً وفخراً .

وفي هذه الصفات بعض ما ورد من سيرتها عليها السلام :

١ ـ قال ابن حجر العسقلاني : ومن مزايا خديجة أنها ما زالت تعظم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتصدق حديثه ، قبل البعثة وبعدها . . . ومن طواعيتها له قبل البعثة : أنها رأت ميله الى زيد بن حارثة بعد ان صار في ملكها ، فوهبته له (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكانت هي السبب فيما امتاز به زيد من السبق الى الإسلام[١] .

٢ ـ قال ابن اسحاق : وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله ،

---

(١) الاصابة / ٢٧٥ .

وصدقت بما جاء به ، فخفف الله بذلك عن رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له ، فيحزنه الا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته ، وتخفف عنه وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس ، (رضي الله عنها)[1] .

٣ ـ قالت خديجة لابن عمها (ورقة بن نوفل) : اعلن بأن جميع ما تحت يدي منْ مالٍ وعبيد فقد وهبته لمحمد يتصرف فيه كيف شاء . فوقف ورقة بين زمزم والمقام ونادى بأعلى صوته : يا معاشر العرب ، إنَّ خديجة تشهدكم على أنها وهبت لمحمد نفسها ، ومالها ، وعبيدها ، وجميع ما تملكه يمينها ، إجلالاً له ، وإعظاماً لمقامه ، ورغبة فيه . وأنفذت الى أبي طالب غنماً كثيراً ، ودنانير ودراهم ، وثياباً وطيباً ، ليعمل الوليمة .

أقام ابو طالب لأهل مكة وليمة عظيمة ثلاثة أيام حضرها الحاضر والبادي[2]

٤ ـ قال الزهري ، بلغنا أن خديجة أنفقت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم أربعين ألفاً وأربعين ألفا[3] .

---

(١) أسد الغابة ٥ / ٤٣٧ .

(٢) وفاة الزهراء (عليها السلام) للمقرم ٧ .

(٣) تذكرة الخواص ٣١٤ .

مكانتها عند الرسول الأعظم
(صلى الله عليه وآله)

عاش النبي (صلى الله عليه وآله) مع خديجة خمساً وعشرين سنة، بأحسن عيش، وأتم وفاق، وبقيت صورتها بعد موتها مرتسمة بمخيلته (صلى الله عليه وآله) حتى انتقل الى الرفيق الأعلى.

عاش من بعدها مع أزواج كثيرة، ولكن قلبه بقي متعلقاً بخديجة، لما رأى من إيمانها بالله، وتصديقها لرسوله، وبذلها جميع ما تملك في سبيل الإسلام، وإعلاء كلمة الله، ولما كان يجده عندها من الإكرام، والتبجيل، والحب.

وكان (صلى الله عليه وآله) يقابل هذه العواطف والشعور، ويثمن هذه المودة، فهو لم يتزوج في حياتها إكراماً لها، وإعظاماً لشأنها، فقد قضى ربيع حياته معها، لم يشرك به غيرها ويسمي عام وفاتها ـ ووفاة عمه أبي طالب ـ عام الحزن، لما دهمه من موتها، فقد عز عليه فراقها، وأوحشه فقدها.

وحديث ثنائه عليها بعد موتها حديث طويل، ذكره رواة الحديث، وأصحاب التراجم.

قالت عائشة: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلا عجوزاً، فقد أبدلك الله خيراً منها.

فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا والله ماأبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني أذ كذبني الناس ، وواستني في مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني اولاد النساء .

قالت عائشة : فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة ابداً(١) .

وقالت أيضاً : ما غرت على احد من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، وما بي أن أكون أدركتها ، وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لها ، وان كان مما يذبح الشاة يتبع بها صدائق خديجة ، فيهديها لهن(٢) .

وقالت أيضاً : ما رأيت خديجة قط ، ولا غرت على امرأة من نسائه أشد من غيرتي على خديجة ، وذلك من كثرة ما كان يذكرها(٣) .

وتكلمه أزواجه (صلى الله عليه وآله) في زواج فاطمة عليها السلام ويذكرن خديجة . تقول أم سلمة : فلما ذكرنا خديجة بكى وقال : خديجة ، وأين مثل خديجة ، وأخذ في الثناء عليها .

وخليق بامرأة تستأثر بحب النبي (صلى الله عليه وآله) وإكرامه في حياتها ومماتها ان يخلدها التاريخ ، وان يعكف الباحثون على دراسة سيرتها ، ومزاياها ، ليستوحوا منها العقيدة الصادقة ، والإيمان الثابت ، والمُثُل الرفيعة .

---

(١) الاستيعاب ٢ / ٧٢١ اسد الغابة ٥ / ٥٣٩ .

(٢) اسد الغابة ٥ / ٤٣٨ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٨٦ قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

في أحاديث الرسول الأعظم
(صلى الله عليه وآله)

من تصفح كتب الحديث ، ومعاجم الأخبار ، وجد قسماً كبيراً من هذه الأحاديث في مناقب بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، حتى ان المؤلفين أفردوا في كتبهم باباً مستقلاً للمناقب ، وتختلف هذه الأحاديث كيفية وكمية حسب اختلاف الصحابة ، وتتفاضل حسب تفاضلهم ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل علىٰ تكريم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) للسلف ، وتثمينه لجهودهم وجهادهم ، وتقييم كل واحد منهم .

ومن المؤسف ان تزعج هذه الأحاديث بعض المتأخرين من التابعين وغيرهم ، إذ يجدونها خالية من ذكر بعض من يهوون من الصحابة ، فعمدوا الى الكذب على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، والتقوّل عليه ، بأحاديث كثيرة نسبوها إليه ظلماً وافتراء . والجدير بالذكر ان محتوى بعضها لا يتمشى مع العقل السليم ، وقد يشكل طعناً في قدسية الرسول صلى الله عليه وآله) .

وقد ذكرت في الكتاب التاسع من سلسلة الأئمة عليهم السلام اسئلة يحيى بن أكثم ـ قاضي القضاة في القرن الثالث ـ للإمام محمد الجواد (عليه السلام) عن بعض هذه الأحاديث ، فبين له (عليه السلام) زيفها وكذبها .

وقد تناول الشيخ الأميني رحمه الله في كتابه (الغدير) هذه الأحاديث

بالبحث والتنقيب ، وبين بطلانها للجمهور .

وفي هذه الصفحات بعض ما ورد عنه (عليه السلام) في خديجة رضوان الله عليها :

١ ـ قال (صلى الله عليه وآله) : أتاني جبرئيل فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك ومعها اناء فيه أدام ، أو طعام ، أو شراب ، فاذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ، ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب[١] ، لا صخب فيه ولا نصب[٢] .

٢ ـ روي من وجوه : ان النبي (صلى الله عليه وآله) قال : يا خديجة جبريل يقرئك السلام .

ومن بعضها : يا محمد إقرأ على خديجة من ربها السلام[٣] .

٣ ـ إنَّ جبريل قال : يا محمد اقرأ على خديجة من ربها السلام . فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : يا خديجة هذا جبرئيل يقرئك السلام من ربك .

فقالت خديجة : الله هو السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبرئيل السلام[٤] .

٤ ـ قال (صلى الله عليه وآله) : خير نسائها مريم ابنة عمران ، وخير نسائها خديجة[٥] .

---

(١) القصب : الزبرجد الرطب المرصع بالياقوت .
(٢) أسد الغابة ٥ / ٤٣٨ .
(٣) سير اعلام النبلاء ٢ / ٨٥ .
(٤) الإستيعاب ٢ / ٧١٩ .
(٥) صحيح البخاري ٤ / ١٦٤ .

٥ ـ عن عائشة : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب[١] .

٦ ـ قال (صلى الله عليه وآله) : خديجة سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله وبمحمد[٢] .

٧ ـ قال ابن عباس : خط رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الارض أربعة خطوط ، ثم قال : أتدرون ما هذا ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أفضل نساء أهل الجنة أربع : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون[٣] .

٨ ـ قال (صلى الله عليه وآله) : خير نسائها خديجة بنت خويلد ، خير نسائها مريم بنت عمران[٤] .

٩ ـ قال (صلى الله عليه وآله) : أربع نسوة سيدات سادات عالمهن : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وأفضلهن عالماً فاطمة[٥] .

١٠ ـ قالت عائشة : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها ، واستغفار لها ، فذكرها يوماً فحملتني

---

(١) الإصابة ٤ / ٢٧٣ .
(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٨٤ .
(٣) الاستيعاب ٢ / ٧٢٠ .
(٤) اسد الغابة ٥ / ٤٣٨ .
(٥) ذخائر العقبى ٤٤ .

الغيرة فقلت : لقد عوضك الله من كبيرة السن .

قالت : فرأيته غضب غضباً فأسقط في يدي ، وقلت في نفسي : اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني لم اعد أذكرها بسوء ، فلما رأى النبي ما لقيت قال : كيف قلت ؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس ، وآوتني إذ رفضني الناس ، ورزقت منها الولد أو حرمته مني .

قالت : فغدا وراح عليّ بها شهراً[1] .

١١ ـ قال (صلى الله عليه وآله : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلاَّ مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد[2].

١٢ ـ قالت عائشة : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا ذبح الشاة يقول : ارسلوا الى اصدقاء خديجة ، فذكرت له يوماً ، فقال : إنِّي لأُحب حبيبها[3] .

١٣ ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : خير نساء العالمين : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد[4] .

١٤ ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون[5] .

---

(١) سير اعلام النبلاء ٢ / ٨٢ .
(٢) الفصول المهمة ١٢٩ .
(٣) الإصابة ٤ / ٢٧٥ .
(٤) أسد الغابة ٥ / ٥٣٧ .
(٥) الإستيعاب ٢ / ٧٢٠ .

كلمات العلماء والعظماء

ليس القصد من هذه الكلمات ان نرفع من مكانة أم المؤمنين رضوان الله عليها ، فقد كفاها رفعةً وعلواً أحاديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في فضلها وبيان منزلتها .

ان الغرض من هذه الكلمات أن يلمس المطالع الكريم تسالم العلماء ، والمؤرخين ، والكتّاب ، على ممر العصور ، واختلاف المذاهب والنحل ، على تمجيد هذه المرأة وتقديسها ، وذكرها بكل جميل ، لما لمسوه من عقيدة صادقة ، وإيمان قويم ، وتفانٍ في سبيل المبدأ ، بينما نراهم يختلفون في تقييم غيرها من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) فنراهم يغمزون بعضهن ، ويذكرون لهن مواقف لا يحسدن عليها . وهذه من الفوارق والمميزات التي بينها وبين بعض ازواجه عليه الصلاة والسلام .

نذكر من كلماتهم :

١ ـ قالت أُم سلمة للرسول (صلى الله عليه وآله) : إنّك لا تذكر من خديجة أمراً إلاّ وقد كانت كذلك ، غير أنها مضت الى ربها ، فهنأها الله بذلك ، وجمع بيننا وبينها في جنته[١] .

٢ ـ قال الزبير بن بكار: كانت خديجة تدعى في الجاهلية (الطاهرة)[٢] .

(١) أعيان الشيعة ١٥ / ٧٩ .

(٢) سير اعلام النبلاء ٢ / ٨٢ اسد الغابة ٥ / ٤٣٥ الاصابة ٤ / ٢٧٣ السمط الثمين .

٣ ـ قال ابن اسحاق : كانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام[١] .

وقال : وكانت خديجة امرأة حازمة ، شريفة ، لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته[٢] .

٤ ـ قال هشام بن محمد : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم يودها ويحترمها ، ويشاورها في أموره كلها ، وكانت وزيرة صدق ، وهي أول امرأة آمنت به ، ولم يتزوج في حياتها أبداً ، وجميع أولاده منها إلا ابراهيم[٣] .

٥ ـ قال ابن الأثير : وكانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة ، مع ما أراد الله من كرامتها ، فأرسلت الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فعرضت عليه نفسها ، وكانت أوسط نساء قريش نسباً ، وأكثرهن مالاً وشرفاً ، وكل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه[٤] .

٦ ـ قال محمد بن احمد الذهبي : أم المؤمنين ، وسيدة نساء العالمين في زمانها ، أم القاسم بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، القرشية ، الاسدية ، أم أولاد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد ، وثبتت جأشه ، ومضت به الى ابن عمها ورقة .

ومناقبها جمّة وهي ممن كمل من النساء ، كانت عاقلة جليلة ديِّنة مصونة كريمة ، من أهل الجنة ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يثني عليها ، ويفضلها على سائر نساء المؤمنين ، ويبالغ في تعظيمها ، بحيث أن

---

(١) اسد الغابة ٥ / ٤٣٩ .
(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٢٠٠ .
(٣) تذكرة الخوص ٣١٢ .
(٤) الكامل في التاريخ ٢ / ١٤ .

عائشة كانت تقول : ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة من كثرة ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) لها .

ومن كرامتها عليه (صلى الله عليه وسلم) أنه لم يتزوج امرأة قبلها ، وجاءه منها عدة أولاد ، ولم يتزوج عليها قط امرأة ، ولا تسرى ، الى ان قضت نحبها ، فوجد لفقدها ، فانها كانت نعم القرين ، وكانت تنفق عليه من مالها ، ويتجر (صلى الله عليه وسلم) لها ، وقد أمره الله ان يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب[1] .

٧ ـ قال جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي :

وجاءت النبوة فأسلمت ، فهي أول امرأة آمنت به ، ولم ينكح امرأة غيرها حتى ماتت ، وجميع أولاده منها سوى ابراهيم[2] .

٨ ـ قال عبد الملك بن هشام :

وآمنت به خديجة بنت خويلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله ورسوله ، وصدق بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك ، الا فرج الله عنه بها إذا رجع اليها[3] .

٩ ـ قال الحافظ عبد العزيز الجنابذي الحنبلي في كتابه معالم العترة النبوية :

كانت خديجة (رضي الله عنها) امرأة حازمة لبيبة شريفة ، وهي يومئذ أوسط قريش نسبا ، وأعظمهم شرفاً ، وأكثرهم مالاً ، وكل قومها قد كان

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢ / ٨١ .
(٢) صفوة الصفوة ٢ / ٢ .
(٣) السيرة النبوية ١ / ٢٥٧ .

حريصاً على تزويجها فأبت ، وعرضت نفسها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت : يا ابن عم إنّي رغبت فيك لقرابتك مني ، وشرفك في قومك ، وأمانتك عندهم ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك[1] .

١٠ ـ قال أشرف علي الهندي :

وكانت من أفضل نسائه وأحبهن اليه ، وكانت تنتظر نبوته ويسألها ابن عمها عن ذلك وعن دلائل تعرفها فيه فتخبره بذلك فيقول : هو والله النبي المنتظر[2] .

١١ ـ قال السيد عبد الحسين شرف الدين :

صديقة هذه الأمة ، وأولها إيماناً بالله ، وتصديقاً بكتابه ، ومواساةً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)... انفردت برسول الله (صلى الله عليه وآله) خمساً وعشرين سنة لم تشاركها فيه امرأة ثانية ، ولو بقيت ما شاركها فيه أخرى ، وكانت شريكته في محنته طيلة أيامها معه ، تقويه بمالها ، وتدافع عنه بكل ما لديها من قول وفعل ، وتعزيه بما يفاجئه به الكفار في سبيل الرسالة وأدائها ، وكانت هي وعلي معه في غار حراء إذ نزل عليه الوحي أول مرة[3] .

١٢ ـ قال عبد الله العلايلي :

كانت تستقبل آلام الكفاح الذي خاضه قرينها النبي وخاضته معه عاملة ماضية ، وصابرة محتسبة ، لا ينبض عندها عرق بلين أو تخوف ، بل تقطع قناطر الدموع والخطوب المتغولة في بسمة كبرياء ، لم يعهد مثلها الا بعض

---

(١) الفصول المهمة ١٣٣ .

(٢) رياض الجنان (الجنة السادسة) ٨ .

(٣) عقيلة الوحي ٢٠ .

نفر من صانعي التاريخ . بصدرها الرحب كانت تستقبل العاصفة ، وشظاياها المشتعلة ، لا ليكـون في حسها ذلك الرجع المدمر ، أو ذاك الواقع الصاعق الخ[1] .

١٣ ـ قال عمر ابو النصر :

انتهى الى خديجة بنت خويلد ، السيدة العـربية الجليلة ، شـرف النسب ، وكرم المحتد ، وسؤدد القبيل ، وعز العشيرة ، والغنى الوفير ، تتوفر بواسطته على اعالة المعدوم ، واطعام الجائع ، وكسوة العاري ، فكانت خديجة في اخلاقها ونسبها وثروتها وحيدة بين قومها ، فريدة بين اترابها[2] .

١٤ ـ قال الدكتور علي ابراهيم حسن :

إذا أردنا مثالاً للزوجة المخلصة الصالحة ، والمرأة الرزينة العاقلة ، فقد لا نجد خيراً من خديجة أم المؤمنين ، هذه السيدة العظيمة في عقليتها ، ادركت الجاهلية والإسلام ، وكان لها في كليهما مركز ممتاز ، حتى سميت الطاهرة ، فجمعت بين المال والجمال والكمال ، وهذه الصفات الثلاث إذا اجتمعت ـ وقلما تجتمع ـ فإنها تضفي على المرأة الواناً من السمو والرفعة ، وهكذا كان شأن خديجة .

وقال : وهكذا كانت خديجة (رضي الله عنها) ، أول امرأة اعتنقت الإسلام ، ومن ذلك الحين كانت تصلي مع زوجها وتواليه بتشجيعها ، وتبث فيه من روحها ثباتاً وقوة .

كان (عليه السلام) يخرج يبشر قومه بالإسلام ، فلا ينال منهم غير التكذيب والإهانة ، فيرجع الى بيته حزيناً ، يائساً ، فتزيل خديجة حزنه ،

---

(١) مثلهن الأعلى خديجة بنت خويلد ٩٨ .

(٢) فاطمة بنت محمد ٦ .

وتحيل يأسه أملاً ، وتهوِّن عليه الأمر[1] .

١٥ ـ قال عمر رضا كحالة :

ولدت سنة ٦٨ قبل الهجرة ، من بيت مجد وسؤدد ورياسة ، فنشأت على التخلق بالأخلاق الحميدة ، واتصفت بالحزم والعقل والعفة ، حتى دعاها قومها في الجاهلية الطاهرة[2] .

١٦ ـ قال (بودلي) في كتابه الرسول :

فكانت ثقتها في الرجل الذي أحبته ، وصدقته ، وآمنت به حتى الرمق الأخير ، تضفي جوا من الثقة على المراحل الاولى للعقيدة ، التي يدين بها اليوم واحد من كل ستة من سكان العالم[3] .

١٧ ـ قال سليمان كتاني :

أعطت خديجة زوجها حباً وهي لا تشعر بأنها تعطي ، بل تأخذ منه حباً ، فيه كل السعادة ، وأعطته ثروة وهي لا تشعر بأنها تعطي بل تأخذ منه هداية ، تفوق كنوز الارض ، وهو بدوره أعطاها حباً وتقديراً رفعاها إلى أعلى مرتبة ، وهو لا يشعر بأنه أعطاها ، بل يقول (ما قام الإسلام إلا بسيف علي وثروة خديجة) وأعطاها عمره وزهرة شبابه ، ولم يبدل عليها امرأة حتى غابت عن الوجود ، وهو لا يشعر بأنه أعطاها وهو يقول (لا والله ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي إذ كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس)[4] .

---

(١) نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ٢١ و ٢٣ .
(٢) أعلام النساء ١ / ٣٢٦ .
(٣) بطلة كربلاء ١٤ .
(٤) فاطمة الزهراء وتر في غمد ١١٢ .

١٨ ـ قالت الدكتورة بنت الشاطىء :

خديجة بنت خويلد ، أولى أمهات المؤمنين ، وأقرب زوجات النبي ، وأعزّهن عليه حية وميتة ، انفردت بحبه واعزازه خمساً وعشرين سنة ، لا تشاركها فيه امرأة اخرى ، ووقفت الى جانبه في سني الاضطهاد الأولى تؤازره وترعاه ، وتهوّن عليه ما يلقى من قريش في سبيل رسالته[١] .

وقالت : وستدخل في الاسلام من بعد خديجة ملايين النساء ، ولكنها ستظل منفردة دونهن بلقب المسلمة الأولى التي آثرها الله بالدور الأجل في حياة البطل الرسول ، وسيذكر لها المؤرخون ـ المسلمون منهم وغير المسلمين ـ ذلك الدور[٢] .

قالت زينب بنت علي الفواز العاملي :

وكانت امرأة حاذقة عاقلة شريفة ، من اوسط نساء قريش نسباً ، وأكثرهن مالاً وشرفاً ، وكان كل من قومها يتمنى ان يتزوج بها فلم يقدروا[٣] .

٢٠ ـ قالت سنية قراعة :

سيدة قريش وثريتها الملحوظة ، ذات المكانة العالية والنسب الرفيع .

وقالت : إنَّ خديجة لم تكن هي التي سوف تحقق للأمين امنيته تلك لأن الله تعالى أرادها وقدرها ، وكانت في علمه منذ آماد عديدة .

وقالت : إن التاريخ ليحني رأسه أمام عظمة أم المؤمنين خديجة ،

---

(١) بطلة كربلاء ١٣ .

(٢) موسوعة آل النبي ٢٣٠ .

(٣) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ١٨٠ .

ويقف أمامها خاشعاً مكتوف اليدين ، لا يدري اين يضعها في سجل العظماء[1] .

٢١ ـ قالت الاميرة قدرية حسين :

سيدة النساء خديجة الكبرى ، نموذج من أطهر نماذج الإسلام ، وأعظمه خطراً ، وأجلّه شأناً . . . الخ[2] .

---

(١) نساء محمد ١٦ و ٢٠ و ٣٧ .

(٢) شهيرات النساء في العالم الإسلامي ٢ / ٥ .

نهاية المطاف

ذكرت في مقدمة الكتاب : إنَّ الحديث عن خديجة حديث عن الإسلام في نشوئه وارتقائه ، وإذا كان الحديث عن الإسلام فهو بحاجة الى مجلدات ، فضلاً عن كتاب صغير ، وأستميح العذر من صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله) في كتابي هذا فالحديث عن قرينته وحبيبته ، ونصيرته وأستميح القارىء الكريم عذراً إذ جاء كتابي بهذه الكيفية والكمية .

وختاماً وكلي أمل ان تحذو المرأة المسلمة حذو هذه السيدة العظيمة ، وتترسم خطاها ، وتنهج نهجها ، والله ولي التوفيق .

أعلام النساء

(٢)

فاطمة بنت أسد

الاهداء

يا أمير المؤمنين .

يشرفني أن أرفع اليك كتابي هذا مستعرضاً فيه حياة أمك العظيمة ، ومآثرها الرفيعة ، وأملي يا سيدي منك القبول .

عبدك

علي محمد علي دخيل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

لفاطمة بنت أسد جوانب كثيرة من حياتها حريّة بالدرس ، جديرة بالبحث ، وبوسع الكاتب أن يؤلف في كل جانب من هذه الجوانب كتاباً مستقلاً فهي قرينة أبي طالب شيخ البطحاء ، وأم أولاده الميامين .

وهي الحاضنة للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والحانية عليه ، والمقدمة له على أولادها الاربعة وكان (صلى الله عليه وآله) لما يجده من عطفها وحنانها عليه ، ورعايتها لشؤونه يسميها (أُماه) .

وهي التي خصت بالولادة في الكعبة المكرمة ، لم يسبقها في هذه المكرمة امرأة ، ولن تعط بعدها لأنثى .

وهي في الرعيل الأول من المسلمات ، استجابت لنداء الرسول (صلى الله عليه وآله) وآمنت به .

وهي أول امرأة تهاجر الى المدينة ، فكان موكبها أول موكب يلحق بالنبي (صلى الله عليه وآله) الى دار هجرته ، وأول امرأة تقدم عليه من نساء المسلمين

وهي التي تولى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) دفنها ، وأجرى عليها من المراسيم والسنن ما لم يجره مع غيرها .

هذه بعض جوانب هذه المرأة العظيمة ، ولو لم تكن أُم علي بن أبي

طالب لطبل لها القوم وزمروا ، ولألفوا فيها وكتبوا ، لكنها أُم علي ، ولا تزال طائفة من الناس يغضبهم حتى اسم (علي) فضلاً عن الحديث عن مناقبه ومآثره .

ويشرفني أن يكون كتابي هذا أول كتاب ـ فيما أحسب ـ عن هذه المرأة الجليلة ، وأول بحث مستقل عن حياتها الكريمة ، ومن الله استمد العون والتوفيق .

في سطور

أبوها : أسد بن هاشم بن عبد مناف .

أمها : فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر ابن لؤي .

زوجها : أبو طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب .

أولادها : طالب ، عقيل ، جعفر ، علي .

بناتها : جمانة ، فاخته ـ أم هاني ـ

هي أول امرأة تلد داخل الكعبة .

وقفت لخدمة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) لما كفله زوجها أبو طالب ، فكانت تقدمه على أولادها في الخدمة والرعاية .

هي أول من اسلم من النساء بعد خديجة .

هي أول من هاجر من النساء الى المدينة .

وفاتها في السنة الرابعة من الهجرة .

كفنها النبي (صلى الله عليه وآله بقميصه) ، واضطجع في قبرها ، وكبر في الصلاة عليها ٧٠ تكبيرة .

مع أبي طالب

ليهنك ياشيخ الاباطح بزوجتك الكريمة ، أم اشبالك الميامين ، ليهنك بها وقد ولدت لك جعفراً ، الطيار مع الملائكة في الجنة ، وولدت لك علياً أمير المؤمنين ، وأشرف الخلق بعد رسول رب العالمين .

ليهنك بها وقد ميّزها الله على جميع النساء بولادتها في بيته المعظم ، وخصها بهذه الكرامة دون سائر نساء العالم ، اذ لم يولد به نبي مرسل ، ولا وصي منتجب ، ولا صديق ولا شهيد .

ليهنك هذا الغرس المثمر ، فقد شاء الله سبحانه أن يخرج منكما الأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) ، وجعلكما خير وعاء للإمامة .

أحسبك وأنت تعد نعم الله عليك ، اذ جعلك من ذرية ابراهيم (عليه السلام) ، ومن زرع اسماعيل (عليه السلام) ، وحفيد هاشم ، وابن عبد المطلب ، وسيد الحرم ، وشرفك بهذه وأمثالها .

أحسبك وانت تستعرض هذه النعم ، وتضيف لها نعمة قد تكون في نظرك اسمى من هذا كله ، انها (فاطمة) فكان من شكرك لهذه النعمة ، انك لم تشرك غيرها معها في حبك ، بل وهبتها قلبك ، وجمعت لها ودك . إن هذا التجاوب بينكما كان تجاوباً للروح قبل الجسد ، ولقاء في العقيدة ، من قبل أن ترتبطا بعقد الزواج .

فهي مؤمنة بدين جدها ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) ، قبل مبعث

الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)[1] وأنت لا شك كنت على دين (ابراهيم) (عليه السلام) ، لم تتجاوز الحنيفية ، ولم تشرك بالله سبحانه .

وهي أول امرأة تسلم ـ بعد خديجة ـ وأنت لا شك في الرعيل الأول من المسلمين ، ولولاك لما قام هذا الدين .

وإنّي لأحسبها زوجتك في الآخرة ، وقرينتك في جنات الخلود . وهي أحبت محمداً (صلى الله عليه وآله) كما أحببته ، وقدمته على أولادها كما قدمته .

إنّ الحياة التي عشتماها جديرة بأن تتبناها الأسر الإسلامية اليوم ، فيسود بينها الصفاء والوئام ، وتنعدم الخلافات ، وتسد المحاكم ، فيستنشقون جميعاً نسيم السعادة والحبور .

والأسرة لبنة من هذا المجتمع الكبير ، وبسعادتها يسعد المجتمع ، ويسود العالم الإطمئنان والرفاه .

إنّ سير هؤلاء جديرة بالأخذ والتطبيق للحصول على الخير والنعيم ، والله المسدد للصواب .

---

(١) انظر فصل ولادتها من هذا الكتاب .

رعايتها للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

إنّي لأستعرض مناقب هذه المرأة ، وما خصت به من الكرامة الإلهية ، والمواهب الربانية ، فأجد كل منقبة من هذه المناقب تفوق أعمال أمة من الخلق ، ولا تساويها عبادة أكثر الأولياء والصالحين .

لقد شاء الله تبارك وتعالى لنبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) اليتم ، والحرمان من عطف الأبوين ورعايتهما ، فعوضه عن ذلك بعطف جده عبد المطلب أولاً ، ثم برعاية عمه أبي طالب وزوجته فاطمة بنت أسد ثانياً .

لقد حصل إجماع أهل السير والتاريخ على حدب أبي طالب على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بعد وفاة أبيه عبد المطلب ، وانتقال الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى بيته ، وأنه لم يكن يفارقه حباً به ، وحناناً عليه ، ورعاية لوصية أبيه فيه ، وعلماً بما ينتظره من مستقبل عظيم .

وكانت فاطمة بنت أسد شريكة أبي طالب في هذه الرعاية للرسول (صلى الله عليه وآله)، فقد كانت تقدمه على أولادها براً به ، وعطفاً عليه ، حتى كان يسميها (أماه) .

وقد ذكرها الرسول (صلى الله عليه وآله) مرة فقال : إنّها كانت من أحسن خلق الله صنيعاً بي ، بعد أبي طالب ، كانت أمي بعد امي التي ولدتني . ان أبا طالب كان يصنع الصنيع ، وتكون له المأدبة ، وكان يجمعنا

على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعود فيه[1] .

وليس أدل على ذلك ما ذكره المؤرخون وأهل السير من صنعه (صلى الله عليه وآله) عند وفاتها واستغراب بعض الصحابة ، فيسأل عن سبب ذلك فيقول (ص) : لم يكن احد بعد أبي طالب أبرّ بي منها .

وإذا حق لحليمة السعدية أن تفخر برضاعتها للرسول (صلى الله عليه وآله) مدة وجيزة من الزمن ـ وهي مستأجرة ـ فحق لفاطمة بنت أسد أن تتباهى برعايتها وخدمتها للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) زهاء عشرين عاماً ، طاعة لله ، وحباً لرسوله .

---

(١) الإمام علي رجل الإسلام المخلد ٣٣ .

ولادتها في الكعبة

لقد شاء الله سبحانه وتعالى لفاطمة بنت أسد من الأكرام والتعظيم ما لم يعطه لجميع نساء العالم ، فهو يختص برحمته من يشاء من عباده ، ويهب الكرامة لمن أحب من أوليائه .

شاءت ارادة المهيمن سبحانه بفاطمة أن تضع جنينها في الكعبة المعظمة ، لخصوصية رآها جل شأنه ، ومصلحة اقتضتها حكمته ، فكانت أول ولادة فيها ، وآخر ولادة بها .

قال يزيد بن قعنب : كنت جالساً والعباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) ، وفريق من بني عبد العزى ، بازاء بيت الله الحرام ، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد ، أم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكانت حاملاً به لتسعة أشهر ، وقد أخذها الطلق ، فقالت : يا رب إنّي مؤمنة بك ، وبما جاء من عندك ، من رسل وكتب ، وإني مصدقةٌ بكلام جدي ابراهيم الخليل (عليه السلام) ، وانه بنى البيت العتيق ، فبحق الذي بنى هذا البيت ، والمولود الذي في بطني الا ما يسرت عليّ ولادتي .

قال يزيد بن قعنب : فرأيت البيتَ قد انشق عن ظهره ، ودخلت فاطمة فيه ، وغابت عن أبصارنا ، وعاد إلى حاله ، فرُمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح ، فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالىٰ ، ثم خرجت في اليوم الرابع ، وعلى يدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، ثم قالت :

اني فُضلت علىٰ من تقدمني من النساء ، لأن آسية بنت مزاحم قد عبدت الله سراً في موضع لا يحب الله ان يعبد فيه إلا اضطراراً ، وان مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة حتى أكلت منها رطباً جنياً ، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها ، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف وقال : يا فاطمة سميه عليا ، فهو علي ، والله العلي الأعلى يقول :

شققت اسمه من اسمي ، وأدبته بأدبي ، وأوقفته على غامض علمي ، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي ، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدسني ويمجدني ، فطوبى لمن أحبه وأطاعه ، وويل لمن أبغضه وعصاه[1] .

وحديث ولادة فاطمة بنت أسد في الكعبة أمر مستفيض ، صرح به المئات من المؤرخين وأهل السير ، وقد جمع العلامة المحقق الشيخ محمد علي الأوردوبادي طاب ثراه في كتابه (علي وليد الكعبة) أكثر من مائة مصدر مصرحة بذلك .

نذكر في هذه الصفحات بعض أسماء الكتب التي ذكرت ولادتها (عليها السلام) في الكعبة :

١ ـ ارشاد القلوب ٢ / ٤ / الحسن بن محمد الديلمي .
٢ ـ إعلام الورى ٩٣ / الفضل بن الحسن الطبرسي .
٣ ـ أعيان الشيعة ج ٣ القسم الأول ص ٤ / محسن الأمين العاملي .
٤ ـ الإرشاد ٢ / الشيخ المفيد .
٥ ـ الأمالي ٨٠ / ابن الشيخ الطوسي .
٦ ـ الأمالي ١٥ / الشيخ الصدوق .

---

(١) كشف الغمة ١٩ .

٧ ـ الإمام علي أسد الإسلام وقديسه ٢٦ / روكس بن زائد العزيزي .
٨ ـ الإمام علي رجل الإسلام المخلد ٣٧ / عبد المجيد لطفي .
٩ ـ بحار الأنوار ٩ / ٣ / محمد باقر المجلسي .
١٠ ـ بشارة المصطفى ٨ / محمد الطبري .
١١ ـ بطل العلقمي ١ / ٦٩ / عبد الواحد المظفر .
١٢ ـ تحفة العالم ١ / ٢٢٩ / جعفر بحر العلوم .
١٣ ـ تذكرة الخواص ١٢ / سبط ابن الجوزي .
١٤ ـ تلخيص المستدرك على الصحيحين ٣ / ٤٨٣ / محمد بن أحمد الذهبي .
١٥ ـ تهذيب الأحكام ٦ / ١٩ / الشيخ الطوسي .
١٦ ـ جامع المقال ١٨٧ / فخر الدين الطريحي .
١٧ ـ جلاء العيون ١ / ٢٣٢ / عبد الله شبر .
١٨ ـ جنات الخلود ١٦ / محمد رضا المدرس .
١٩ ـ جنة المأوى ١٢١ / محمد الحسين آل كاشف الغطاء .
٢٠ ـ الحدائق الوردية ١ / ١٧ / أحمد بن حميد .
٢١ ـ حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) ٢٨ / محمد صادق الصدر .
٢٢ ـ الخرايج والجرايح ١٤٦ / قطب الدين الراوندي .
٢٣ ـ الدمعة الساكبة ٧٥ / محمد باقر النجفي .
٣٤ ـ ديوان ابي الحب ١٢٧ / الشيخ محسن ابو الحب .
٢٥ ـ ديوان الحويزي ١ / ٩ / عبد الحسين الحويزي .
٢٦ ـ ديوان السيد نصر الله الحائري ١٢ .
٢٧ ـ الذخائر ٢٣ / محمد علي اليعقوبي .
٢٨ ـ ذكرى الحسين (عليه السلام) ١ / ١٨ / حبيب آل ابراهيم المهاجر .

٢٩ ـ ذكرى مولد الإمام (عليه السلام) منهج الاحتفال العظيم الرائع بالذكرى الخالدة لميلاد الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، الذي أقامه جماعة العلماء في النجف الأشرف ، عصر يوم الميلاد الجمعة ١٣رجب ١٣٧٨ هـ ٢٢ / ١ / ١٩٥٩ / صفحة ٦٤ .

٣٠ ـ روضة الواعظين ١ / ٧٦ محمد بن الفتال النيسابوري .

٣١ ـ ريحانة الأدب ٣ / ١٧٧ / محمد علي التبريزي .

٣٢ ـ زينب الكبرى ١٨ / جعفر النقدي .

٣٣ ـ سفينة البحار ٢ / ٢٢٩ / عباس القمي .

٣٤ ـ السيدة زينب ٣٠ / حسن محمد قاسم .

٣٥ ـ شرح نهج البلاغة ١ / ١٤ / ابن ابي الحديد

٣٦ ـ شعراء الغري ٦ / ٤٣٦ / علي الخاقاني .

٣٧ ـ عرف الولاء ٢ / ٤١ / عبد الحسين صادق .

٣٨ ـ علل الشرايع ١ / ١٣٥ / الشيخ الصدوق .

٣٩ ـ علي من المهد الى اللحد ١٥ / محمد كاظم القزويني .

٤٠ علي مولود كعبة / فارسي / محمود فاضل /صفحة ٢٦٤ / قطع الربع .

٤١ ـ علي والحاكمون ١٢ / الدكتور محمد الصادقي .

٤٢ ـ علي وكعبة / مهدي لكهنوي[1] .

٤٣ ـ العمدة ١٤ / يحيى بن الحسن البطريق .

٤٤ ـ عمدة الطالب ٤٣ / احمد بن علي الداودي .

٤٥ ـ الغدير ٦ / ٢٢ / عبد الحسين أحمد الأميني[2] .

---

(١) الكتاب في ١٢٨ صفحة باللغة الاوردية / طبع كراجي / ذكر ولادته (عليه السلام) عن عشرات المصادر .

(٢) ذكر ولادته (عليه السلام) في الكعبة عن أكثر من مائة مصدر .

٤٦ ـ الغزوات والفضائل ٣ / جعفر النقدي .
٤٧ ـ الفصول المهمة ١٢ / علي بن الصباغ المالكي .
٤٨ ـ الفضائل ٥٦ / شاذان بن جبرائيل القمي .
٤٩ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١ / ١٧٦ / مرتضى الفيروز أبادي .
٥٠ ـ قبس من حياة امير المؤمنين (عليه السلام) ٥٧ / جواد شبر .
٥١ ـ كشف الغمة ١٩ / علي بن عيسى الاربلي .
٥٢ ـ الكشكول فيما جرى على آل الرسول٤٢ / حيدر بن علي العبيدي .
٥٣ ـ كفاية الطالب ٢٦١ / محمد بن يوسف الكنجي الشافعي .
٥٤ ـ كنز الفوائد ١١٦ / الكراجكي .
٥٥ ـ مثير الأحزان ٢٠٦ / شريف الجواهري .
٥٦ ـ المعاجز ص ٥ / السد هاشم البحراني .
٥٧ ـ مروج الذهب ٢ / ٣٤٩ / علي بن الحسين المسعودي .
٥٨ ـ المزار الكبير ﴿ مخطوط ﴾ محمد بن المشهدي .
٥٩ ـ مسار الشيعة / الشيخ المفيد .
٦٠ ـ المستدرك على الصحيحين ٣ / ٤٨٣ / الحاكم .
٦١ ـ مشارق انوار اليقين / رجب بن محمد البرسي .
٦٢ ـ مشهد الإمام أو مدينة النجف ١ / ٣١ / محمد علي جعفر التميمي .
٦٣ ـ المصباح :٢٧ / ابراهيم الكفعمي .
٦٤ ـ مصباح المتهجد ٥٦٠ / الشيخ الطوسي .
٦٥ ـ المضامير ١١ / عبد الحسين صادق .
٦٦ ـ مطالب السؤول ١١ / محمد بن طلحة الشافعي .

٦٧ ـ معاني الأخبار ١ / ٦٠ / الشيخ الصدوق .
٦٨ ـ مفاتيح الجنان ١٤٢ / عباس القمي .
٦٩ ـ مفاتيح الدرر في احوال الانوار الاربعة عشر ١٤ / حسين بن علي الفتوني .
٧٠ ملخص المقال ٣ / ابراهيم بن الحسين الخوئي .
٧١ ـ مواهب الواهب ٢٥ / جعفر النقدي .
٧٢ ـ مولد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) / رواية أبي مخنف / صفحة ٢٢٢ ط النجف .
٧٣ ـ المهرجان العالمي بمولد الإمام بطل الإسلام أمير المؤمنين (عليه السلام / في أكثر الخطب والقصائد .
٧٤ ـ نزهة الجليس ١ / ١٠٣ / عباس المكي .
٧٥ ـ نزهة المحبين في فضائل امير المؤمنين (عليه السلام) / جعفر النقدي ،
٧٦ ـ نقدِ الرجال ٤١٤ / مير مصطفى التفريشي .
٧٧ ـ نور الأبصار ٨٥ / مؤمن الشبلنجي .

اسلامها

يكاد يقع الإجماع بأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو أول من أسلم ، فقد قال (عليه السلام) : أنا الصديق الأكبر ، وأنا الفاروق الأول ، أسلمت قبل اسلام الناس ، وصليت قبل صلاتهم[1] .

وقال أهل السير : استنبىء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الإثنين وصلى علي يوم الثلاثاء[2] .

وكانت خديجة بنت خويلد ثاني من اسلم .

وعن عفيف الكندي ـ أخي الأشعث بن قيس ـ قال : رأيت شاباً يصلي ، ثم جاء غلام فقام عن يمينه ، ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما ، فقلت للعباس ، هذا امر عظيم !

قال : ويحك ، هذا محمد ، وهذا علي ، وهذه خديجة ، ان ابن أخي هذا حدثني ان ربه رب السماوات والارض أمر بهذا الدين ، والله ما على ظهر الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

وكان عفيف يقول بعد اسلامه : لو كنت أسلمت يومئذ كنت ثانياً مع علي بن أبي طالب[3] .

---

(١) نهج البلاغة ١ / ٣٠ .
(٢) الاستيعاب ٣ / ٣٢ .
(٣) المناقب ١ / ٢٥٠ .

وشاء المهيمن ان يكون بيت أبي طالب أول بيت يدخله الإسلام ، يبدأ بعلي ، ثم يتلاحق أفراد العائلة واحد بعد واحد .

روى ابن ابي الحديد : أنَّ ابا طالب فقد النبي (صلى الله عليه وآله) يوماً ، وكان يخاف عليه من قريش أن يغتالوه ، فخرج ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي (صلى الله عليه وآله)، فوجده قائماً في بعض شعاب مكة يصلي وعلي (عليه السلام) معه عن يمينه ، فلما رآهما أبو طالب قال لجعفر : تقدم وصل جناح ابن عمك .

فقام جعفر عن يسار محمد (صلى الله عليه وآله) ، فلما صاروا ثلاثة تقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وتأخر الأخوان ، فبكى أبو طالب وقال :

ان علياً وجعفراً ثقتي   عند ملم الخطوب والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما   اخي لامي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا   يخذله من بني ذو حسب[1]

وكل من ترحم لفاطمة بنت اسد ذكر انها من أول المسلمات ، فقد ذكر ابن الجوزي : أنها أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة بعد خديجة[2] .

وروى ابن أبي الحديد انها اسلمت بعد عشر من المسلمين فكانت الحادية عشر[3] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٣ / ٢٦٩ .
(٢) الفصول المهمة ١٤ .
(٣) شرح نهج البلاغة ١ /٥ .

وبقي أبو طالب ، ناصر الإسلام الأول ، وأبو بطل الإسلام المخلد ، وقائل :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير اديان البرية دينا

غير مسلم ، وفي ضحضاح من نار ! إلى غير ذلك من اتهامات القوم له ، والافتراء عليه .

مسكين هذا الرجل ، جاءه ما جاءه لأن ابنه علي ، ولو قدر أن يكون ابنه معاوية ، لتغير رأي التاريخ فيه ، ولكان المسلم الأول ، وفي جنات الخلود ، ولألف محمد السباعي الحفناوي ـ مؤلف ابو سفيان بن حرب شيخ الأمويين ـ كتاباً فيه .

في القرآن الكريم

من يستعرض تفاسير القرآن الكريم وكتب الحديث والتراجم يجد كثيراً من الآيات النازلة في أهل البيت (عليهم السلام) ، حتى ورد عن ابن عباس : انه نزل في الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ثلاثمائة آية[1] .

كل ذلك لطف منه سبحانه وتعالى بآل محمد (صلى الله عليه وآله) ، وتثمين لمواقفهم في سبيل اعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ، والدفاع عن الإسلام والرسول (صلى الله عليه وآله) .

نذكر في هذا الفصل بعض ما وجدناه في فاطمة بنت اسد رضوان الله عليها .

١ ـ قوله ـ تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ﴾[2] .

وخرج علي (عليه السلام) ـ الى المدينة مهاجراً ـ بفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وقد قيل : هي ضباعة ، وتبعهم ايمن بن أم أيمن مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وابو واقد رسول رسول الله (صلى

---

(١) تاريخ بغداد ٦ / ٢٢١ .

(٢) آل عمران : ١٩١ .

الله عليه وآله ، فجعل يسوق بالرواحل فيهم . فقال علي (ع) : ارفق بالنسوة يا ابا واقد انهن من الضعائف ، قال : اني أخاف ان يدركنا الطلب ، أو قال : الطالب ، فقال علي (عليه السلام) : اربع عليك ، فان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي : يا علي انهم لن يصلوا من الآن اليك بما تكرهه ، ثم جعل - يعني علياً (عليه السلام) - يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول :

ليس إلّا الله فارفع ظنكا   يكفيك ربّ الناس ما أهمكا

وسار فلما شارف ضجنان أدركه الطلب وهم سبعة فرسان متلثمين ، وثامنهم مولى لحرب بن امية يدعى جناحا ، فأقبل علي (عليه السلام) على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم وقال لهما : انيخا الإبل واعقلاها ، وتقدم فانزل النسوة ، ودنا القوم فاستقبلهم (عليه السلام) منتضياً سيفه ، فأقبلوا عليه ، فقالوا : أظننت انك يا غدار ناجٍ بالنسوة ارجع لا أباً لك ، قال : فإن لم أفعل؟ قالوا : لترجعن راغماً أو لترجعن بأكثرك شعراً ، وأهون بك من هالك ، ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها فحال علي (عليه السلام) بينهم وبينها ، فأهوى له جناح سيفه فراغ علي (عليه السلام) عن ضربته ، وتختله (عليه السلام) فضربه على عاتقه فأسرع السيف مضياً فيه حتى وصل الى كاتبة فرسه ، فكان (عليه السلام) يشد على قدميه شد الفرس أو الفارس على فرسه ، فغار على أصحابه فشد عليهم بسيفه شدة ضيغم وهو يرتجز ويقول :

خلّو سبيل الجاهد المجاهد   آليت لا أعبد إلّا الواحد

فتصدع عنه القوم وقالوا : احبس نفسك عنا يا ابن أبي طالب ، قال : فإني منطلق الى اخي وابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فمن سره أن أفري لحمه واريق دمه فليدن مني ، ثم اقبل على صاحبيه ايمن وأبي

واقد وقال لهما : اطلقا مطايكما ، ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان ، فلبث بها قدر يومه وليلته ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين وفيهم ام ايمن مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فصلى ليلته تلك هو والفواطم ، طوراً يصلون ، وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر ، فصلى (عليه السلام) بهم صلاة الفجر ثم سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله ، والفواطم كذلك وغيرهم ممن صحبه حتى قدموا المدينة ، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالى : ﴿ **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض** ﴾ الى قوله : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** ﴾ الذكر علي والأُنثى الفواطم المتقدم ذكرهن ، فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وفاطمة بنت أسد ، وفاطمة بنت الزبير الخ[1].

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم** ﴾[2] .

عن جعفر بن محمد : أنَّ فاطمة بنت اسد أول أمرأة هاجرت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مكة الى المدينة على قدميها ، وعن مقاتل الطالبين عن جعفر بن محمد : إنَّ فاطمة بنت أسد أم علي كانت حادية عشرة في السابقة إلى الإسلام وكانت بدرية ، ولما نزلت هذه الآية ﴿ **يا أيُّها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك** ﴾ كانت فاطمة أول امرأة بايعت رسول الله (صلى

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ٣٠١ .

(٢) الممتحنة / ١٢ .

الله عليه وآله[1] .

وقال ابن عباس : وفيها نزلت : ﴿ يا أيُّها النبي إذا جاءكَ المؤمنات يبايعنك ﴾ الآية .

وقال : هي أول امرأة هاجرت من مكة الى المدينة ماشية حافية ، وهي أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة بعد خديجة[2] .

---

(١) البرهان في تفسر القرآن ٤ / ٣٢٧ .

(٢) تذكرة الخواص / ١٠ .

هجرتها

وسمعت قريش الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يدعوها لشهادة أن لا إله إلاّ الله ، ونبذ الأصنام ، فهبت تدافعه بكل ما أوتيت من حول وقوة ، مستخدمة كل طاقاتها لصده (عليه السلام) عن رسالته ، متفننة في أذاه ، حتى قال (صلى الله عليه وآله) ما أوذي نبي بمثل ما أُوذيت .

ولم تقتصر في أذاها على شخصه الكريم ، بل شمل جميع المسلمين ، وتشتد الحال على الموالي والعبيد والمستضعفين ، لعدم وجود ناصر لهم ، ومدافع عنهم ، حتى قتلت بعضهم . ولهذا وغيره أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعض أصحابه بالهجرة الى الحبشة ، فهاجر إليها نيف وثمانون مسلماً ومسلمة ، بزعامة جعفر بن ابي طالب رضوان الله عليه ، وتبعتهم قريش إلى الحبشة لارجاعهم ، ولكنها رجعت خائبة ، لالتزام النجاشي ـ ملك الحبشة ـ لهم وتبنيه أفكارهم وعقيدتهم .

وبعد وفاة أبي طالب يشتد أذى قريش للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وللمسلمين ، وكانت نهاية المطاف تدبيرهم لقتله (عليه الصلاة والسلام)، وقد أطلعه الله سبحانه على ذلك ، وأمره بالهجرة الى المدينة ، بعد أن امتد إليها الإسلام .

فهاجر (صلى الله عليه وآله) ، وبات أمير المؤمنين (عليه السلام) على فراشه ، موهماً لقريش أن الرسول (صلى الله عليه وآله) هو النائم في الفراش ، وبعد أن يتبين لقريش ذلك تخرج في طلبه (صلى الله عليه وآله) فلا تهتدي إليه ، ويرجع الإمام (عليه السلام) ودائع قريش التي كانت عند الرسول (صلى الله عليه وآله) ألى أهلها ، ثم يخرج الى المدينة معلناً ، ومعه أمه فاطمة بنت أسد ، وفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وغيرهما ، فكانوا أول من هاجر من المسلمين .

وإذا كان المسلمون يتفاضلون بالهجرة ، فالمهاجرون أفضل من الذين لم يهاجروا ، وكلاً وعد الله الحسنى ، والمهاجرون الأولون هم أفضل من اللاحقين ، فهم نواة هذا الدين ، وأسسه الذي قام عليه ، ففاطمة هي أول مهاجرة الى الله ورسوله . .

﴿ الَّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾[1] .

---

(١) التوبة : ٢٠ .

في أحاديث الرسول الأعظم
(صلى الله عليه وآله)

كان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يكرّم أصحابه ويثني عليهم ، فهو يتحدث عن مناقب بعض ، ويشيد بمآثر آخرين ، سواء كانوا رجالاً أو نساءً ، مهاجرين أو أنصاراً ، قريبين منه أم بعيدين . فقد ذكر أهل السير ثناء الرسول (صلى الله عليه وآله) على نسيبة بنت كعب لموقفها المشرف يوم أحد ، ودفاعها عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فقال : لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان[1] .

ومن تصفح كتب السير والتراجم يجدها طافحة بأحاديثه الشريفة في تكريم بعض أصحابه (رضي الله عنهم) ، والثناء على مواقفهم .

لقد ساء بعض المتأخرين هذه الأحاديث في أولئك النفر ، وهو لا يجد مثلها فيمن يتولاهم ، فعمد على الكذب على الله ورسوله ، باختلاق أحاديث نسبها الى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ناسياً قوله تعالى : ﴿ **إنَّما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما**

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣ / ٣٧٧ .
(٢) النحل ١٠٥ .

يكسبون ﴾[1] .

ومن تدبر هذه الأحاديث الموضوعة وجدها مخالفة للقرآن الكريم ، وللسنة ، وللعقل ، ولكن الهوى يعمي ويصم ، ونعم الحكم الله .

نذكر في هذه الصفحات بعض ما ورد من الأحاديث في فضل فاطمة بنت أسد رضي الله عنها :

١ ـ سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : يحشر الناس يوم القيامة عراة .

فقالت : واسوأتاه .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فإنّي أسأل الله ان يبعثك كاسية .

وسمعته يقول ، أو يذكر عذاب القبر .

فقالت : واضعفاه .

فقال (صلى الله عليه وآله) إنّي أسأل الله أن يكفيك ذلك[2] .

٢ ـ قال (صلى الله عليه وآله) :

٢ ـ قال (صلى الله عليه وآله) : لم نلق بعد أبي طالب ابر بي منها[3] .

٣ ـ قال (صلى الله عليه وآله) : اضطجعت في قبرها لأخفف عنها ضغطة القبر ، والبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة[4]

---

(١) سورة البقرة ٧٩ .

(٢) تذكرة الخواص / ١٢ .

(٣) الاصابة ٤ / ٣٦٩ .

(٤) شرح حجة المحافل ١ / ٢٣٢ .

٤ ـ قال (صلى الله عليه وآله) بعد دفنها : ان الملائكة قد ملأت الأفق ، وفتح لها باب من الجنة ، ومهد لها مهاد الجنة ، وبعث إليها بريحان من رياحين الجنة ، فهي في روح وريحان ، وجنة ونعيم ، وقبرها روضة من رياض الجنة[١] .

٥ ـ قال (صلى الله عليه وآل) : رحمك الله يا أمي ! كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني ، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني ، تريدين بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة[٢] .

---

(١) البحار ٩ / ١٧ .

(٢) مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي / ١ / ٣٣ .

مشهد الوفاة

ذكرنا في الفصل السابق تكريم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لأصحابه (رضوان الله عليهم) ، حتى جاء في وصفه يعطي كل جلسائه بنصيبه ، ولا يحسب جليسه أنَّ أحداً أكرم عليه ممن جالسه[1] .

وكان يخص البعض من الصحابة بالمزيد من العناية والإكرام والتبجيل ، تثميناً لما بذلوه من جهد في سبيل الإسلام ، وترغيباً للمسلمين ليحذوا حذو هؤلاء الصفوة ، لما يشاهدوه من إكرام النبي (صلى الله عليه وآله) لهم ، وعنايته بهم ، واهتمامه بأمرهم .

فقد صنع في تشييع الصحابي الجليل سعد بن معاذ صنيعاً غريباً لم يصنعه مع غيره من المسلمين ، مشىٰ (صلى الله عليه وآله) خلف جنازته حافياً ، بغير رداء ، يأخذ على يمين السرير مرة وعلى يساره اخرى[2] .

وسئل (عليه السلام) : رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد : تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء فقال (صلى الله عليه وآله) : إن الملائكة كانت كذلك فتآسيت بهم .

قالوا : وتأخذ يمنة السرير مرة ويسرته مرة ؟

---

(١) مرآة الجنان ١ / ٢٥ .

(٢) سفينة البحار ١ / ٦٢١ .

فقال (صلى الله عليه وآله) : كانت يدي في يد جبريل ، فآخذ حيثما أخذ[1] .

وممن كان يخصهم (صلى الله عليه وآله) بالاكرام والتعظيم هي فاطمة بنت أسد ، فقد كان (صلى الله عليه وآله) يزورها ويُقيل في بيتها ، ويحترمها احتراماً عظيماً[2] .

وقد أجمع أهل الحديث والتاريخ على ما خصها به بعد وفاتها من إكرام وإعظام .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قميصه ، وصلى عليها ، وكبر عليها سعين تكبيرة ، ونزل في قبرها ، فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ، ويسوي عليها ، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان ، وحثا في قبرها ، فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب : يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد .

فقال : يا عمر إنَّ هذه المرأة كانت أمي بعد أمي التي ولدتني ، إنَّ أبا طالب كان يصنع الصنيع ، وتكون له المأدبة ، وكان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعود فيه ، وإنَّ جبريل (عليه السلام) أخبرني عن ربي عز وجل أنها من أهل الجنة ، وأخبرني جبريل (عليه السلام) أن الله تعالى أمر سبعين الفاً من الملائكة يصلون عليها[3] .

ويسأله عمار بن ياسر أيضاً فيقول : فداك أبي وأمي يا رسول الله لقد

---

(١) أعيان الشيعة ٣٤ / ٢١٨ .

(٢) اعلام النساء ١١٣٧ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٠٨ .

صليت عليها صلاة لم تصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة .؟

فقال (صلى الله عليه وآله) : يا أبا اليقضان ، وأهل ذلك هي مني ، لقد كان لها من ابي طالب ولد كثير ، ولقد كان خيرهم كثيراً ، وكـان خيرنا قليلاً ، فكانت تشبعني وتجيعهم وتكسوني وتعريهم ، وتدهنني وتشعثهم[1] .

وروى ابن الأثير : أنَّ رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) كفن فاطمة بنت اسد في قميصه ، واضطجع في قبرها ، وجزاها خيراً .

وروي عن ابن عباس نحو هذا وزاد ، فقالوا ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه !

قال : إنَّه لم يكن بعد ابي طالب ابر بي منها ، انما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنـة ، واضطجعـت في قبرهـا ليهون عليهـا عذاب القبر[2] .

إنَّ هذه العناية منه (صلى الله عليه وآله)بهذه المرأة العظيمة يدل على مدى إيمانها وتفانيها في سبيل الله ، وإخلاصها للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) .

---

(١) البحار ٩ / ١٧ .

(٢) أسد الغابة ٥ / ٥١٧ .

كلمات العلماء والعظماء

نضع أمام القارىء الكريم مختارات من كلمات العلماء ورجال الفكر وغيرهم في الإشادة بهذه المرأة العظيمة ، وإكبارهم لمقامها الرفيع ، وأحسب انها في غنى عن هذا كله بعد إشادة الرسول (صلى الله عليه وآله) بها ، وصنيعه معها ، حتى لفت انتباه الصحابة ، فكان مدعاة للتساؤل عن عظمة هذه المرأة وكرامتها على الله ورسوله .

نعود فنذكر بعض كلماتهم :

١ ـ قال عبد الله بن عباس : وهي أول امرأة هاجرت من مكة الى المدينة ، ماشية حافية ، وهي أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة بعد خديجة[1] .

٢ ـ قال الزهري : وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يزورها ، ويقيل في بيتها ، وكانت صالحة[2] .

٣ ـ قال الزبير : هي أول هاشمية ولدت لهاشمي ، وقد أسلمت وهاجرت الى الله ورسوله ، وماتت بالمدينة في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ، وشهدها رسول الله (صلى الله عليه وآله)[3] .

٤ ـ قال مصعب بن عبد الله الزبيري : كانت فاطمة بنت أسد بن هاشم

(١) تذكرة الخواص / ١٣ .
(٢) تذكرة الخواص ١٢ .
(٣) الاستيعاب ٢ / ٧٥٣ .

أول هاشمية ولدت من هاشمي ، وكانت بمحل عظيم من الايمان في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتوفيت في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1] .

٥ ـ قال الإمام الصادق (عليه السلام) : إنَّ فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت أول امرأةهاجرت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مكة الى المدينة على قدميها ، وكانت من أبر الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقول : ان الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا ، فقالت : واسوأتاه فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اسأل الله ان يبعثك كاسية .

وسمعته يذكر ضغطة القبر ، فقالت : واضعفاه ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : فإنّي أسأل الله أن يكفيك . . . الخ[2] .

٦ ـ قال أبن دأب : فاطمة بنت أسد بن هاشم التي خاطبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في لحدها ، وكفنها في قميصه ، ولفها في ردائه ، وضمن لها على الله أن لا تبلى أكفانها ، وأن لا تبدي لها عورة ، ولا يسلط عليها ملكي القبر ، واثنى عليها عند موتها ، وذكر حسن صنيعها به ، وتربيتها له وهو عند عمه أبي طالب ، وقال : ما نفعني نفعها أحد[3] .

٧ ـ قال محمد بن سعد : أسلمت فاطمة بنت أسد ، وكانت امرأة صالحة ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) يزورها ، ويقيل في بيتها[4] .

٨ ـ قال علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي (ابن‌الصباغ) : فاطمة

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ /١٠٨ .
(٢) اصول الكافي ١ / ٤٢٢ .
(٣) الاختصاص ١٤٣ .
(٤) الطبقات ٨ / ٢٢٢ .

بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف ، تجتمع هي وأبو طالب في هاشم ، أسلمت وهاجرت مع النبي (صلى الله عليه وآله) ، وكانت من السابقات الى الإيمان ، وبمنزلة الأم من النبي (صلى الله عليه وآله) ، فلما كفنها النبي (صلى الله عليه وآله) بقميصه ، وأمر أسامة بن زيد ، وأبا ايوب الأنصاري ، وعمر بن الخطاب ، وغلاماً أسود ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا لحدها حفره رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده ، وأخرج ترابه ، فلما فرغ اضطجع فيه وقال : الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك محمد ، والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين . . . الخ[1] .

٩ ـ قال أبو الفرج الاصبهاني : وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، أول هاشمية تزوجت هاشمياً ، وولدت له ، وأدركت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فأسلمت ، وحسن اسلامها وأوصت اليه حين حضرتها الوفاة فقبل وصيتها ، وصلى عليها ، ونزل في لحدها ، واضطجع معها فيه ، وأحسن الثناء عليها . . . الخ[2] .

١٠ ـ قال جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي :

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، أم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، أسلمت وكانت صالحة ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يزورها ، ويقيل في بيتها ، ولما ماتت نزع رسول الله (صلى الله عليه وآله) قميصه فألبسها اياه[3] .

١١ ـ قال شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية ، والدة علي بن أبي طالب ،

---

(١) الفصول المهمة /١٤

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤ .

(٣) صفة الصفوة ٢ / ٢٨ .

هي حماة فاطمة ، كانت من المهاجرات الأُول ، وأول هاشمية ولدت هاشمياً[1] .

١٢ ـ قال علي بن عيسى الاربلي : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، كانت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنزلة الأم ، ربته في حجرها ، وكانت من السابقات الى الإيمان ، وهاجرت معه الى المدينة ، وكفنها النبي (صلى الله عليه وآله) بقميصه ليدرأ به عنها هوام الأرض ، وتوسد في قبرها لتأمن بذلك ضغطة القبر ، ولقنها الإقرار بولاية ابنها ، كما اشتهرت الرواية[2] .

١٣ ـ قال عز الدين عبد الحميد بن ابي الحديد المدائني : أسلمت فاطمة بنت أسد بعد عشر من المسلمين ، فكانت الحادي عشر ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكرمها ويعظمها ، ويدعوها أمي ، وأوصت اليه حين حضرتها الوفاة ، فقبل وصيتها ، وصلى عليها ، ونزل في لحدها ، واضطجع معها فيه ، بعد أن ألبسها قميصه ، فقال له أصحابه : إنّا ما رأيناك صنعت يا رسول الله بأحد ما صنعت بها ؟ .

فقال (صلى الله عليه وآله) : إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها ، إنّما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة ،واضطجعت معها ليهون عليها ضغطة القبر .

وفاطمة أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من النساء[3] .

١٤ ـ قال عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري : توفيت فاطمة بنت أسد رحمها الله ، أم علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، وهي أول هاشمية

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢ / ٨٧ .
(٢) كشف الغمة / ١٩ .
(٣) شرح نهج البلاغة ١ / ٥ .

ولدت هاشمياً ، ولدت لأبي طالب طالباً وعقيلاً وجعفراً وعلياً (رضي الله عنهم) ، وأم هانىء وجمانة ، وكان بين كل واحد من بنيها الرجال وبين أخيه عشر سنين ، وكانت محسنة الى النبي (صلى الله عليه وآله) إذ كان في حجر عمه أبي طالب ، فلما ماتت تولى دفنها ، واضطجع في قبرها ، وأشعرها قميصه ، وقال : اضطجعت في قبرها لأُخفف عنها ضغطة القبر ، وألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة[1] .

١٥ ـ قال السيد محسن الأمين : سبقت الى الإسلام ، وهاجرت الى المدينة في أول الهجرة[2]

١٦ ـ قال السيد محمد علي شرف الدين الموسوي : كانت فاطمة بنت أسد من فضليات الهاشميات ، بزغت في عصرها في سماء الكمال ، تنتقل في ابراجه ، شرف حسب ، فكرم محتد ، فمكارم أخلاق ، فذكاء قلب ، فرجاحة حجى ، فطهارة نفس ، فجمال ذات ، ففضيلة صفات ، تلك حلية هذه السيدة الجليلة[3] .

١٧ ـ قال عمر رضا كحالة : راوية من راويات الحديث ، روت عن النبي (صلى الله عليه وآله) ٤٦ حديثاً ، أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه ، وكانت ذات صلاح ودين ، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يزورها ، ويقيل في بيتها ، ويحترمها احتراماً عظيماً ، توفيت بالمدينة ، وألبسها رسول الله (صلى الله عليه وآله) قميصه ، واضطجع معها في قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ؟ !

فقال (صلى الله عليه وآله) : انه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرَّ بي

---

(١) شرح بهجة المحافل ١ / ٢٣٢ .

(٢) أعيان الشيعة ٤٢ / ٢٥٠ .

(٣) شيخ الابطح ١١ .

منها ، إنّما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة . . . الخ[1] .

١٨ ـ قال عبد المجيد لطفي : فاطمة بنت أسد سيدة فضلى ، من الهاشميات الراقيات المكانة ، وهي أول هاشمية يتزوجها هاشمي ، احتضنت الرسول برفق ومودة ، وشملته بما تشمل الأُم أحب أولادها إليها ، وأسلمت عن ايمان صادق ، وظلت متمسكة بإيمانها ، ورعة الى أقصى حدود الورع ، ومخافة الله ، ولقيت في سبيل ذلك ما لقى الأوائل من الأهل والصحابة ، من جور وجوع ، ومضايقة ومقاطعة وأذى . هاجرت مع الرسول الى المدينة ، فكانت الى جانبه في مدلهمات أيامه ، حتى توفاها الله ، فتجلت عندئذ مكانتها في قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلقد أمر بحفر قبرها ، وهو حزين جازع ، وظل يرقب الحفرة ، حتى اذا ما أتمت نزل فيها ، وأخذ يوسع في أطراف القبر ، وتوسد فيه ، ثم خرج معفراً ، مغرورق العينين ، وصلى عليها طويلاً ، وكبر سبعين مرة ، وغطاها بقميصه ، وأظهر من لواعج الحزن ما لفت نظر من كان حوله ، فقال يرد عجبهم ، إنّها كانت من أحسن خلق الله صنيعاً بي بعد أبي طالب ، كانت أمي بعد أمي التي ولدتني ، إنّ أبا طالب كان يصنع الصنيع ، وتكون له المأدبة ، وكان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعود فيه .

وكان الرسول يسميها (أمي) وكانت هي بدورها تفضله على أولادها في البر ، فكان أولادها يصبحون شعثاً رمصا ، ويصبح الرسول كحيلاً دهيناً ، وهكذا كانت معه كل صباح ، برة بمن معها ، كريمة في صنيعها ، على ما وصفها الرسول .

واذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد قال عنها ما تقدم فلقد بادلها مودة بمودة ، وعطف بعطف ، فكان شديد الأكبار لها ، ممجداً لعملها ، فعبر عن ذلك عملياً ، بما شمل به علياً منذ ولادته[2] .

---

(١) أعلام النساء / ١١٣٧ .

بمودة ، وعطفاً بعطف ، فكان شديد الأكبار لها ، ممجداً لعملها ، فعبر عن ذلك عملياً ، بما شمل به علياً منذ ولادته[1] .

١٩ ـ قالت زينب بنت علي الفواز العاملي : وفاطمة هذه لها فضائل مشهورة ، ومآثر مشكورة ، مذكورة في كتب التاريخ ، ولشهرتها وكثرة تداولها اكتفينا بذكر هذا اليسير منها[2] .

٢٠ ـ قالت الدكتورة بنت الشاطىء : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، زوجة ابي طالب عم الرسول ، وأول هاشمية تزوجت هاشمياً وولدت له ، أدركت النبي (صلى الله عليه وآله) فأسلمت ، وحسن إسلامها ، وأوصت اليها حين حضرتها الوفاة فقبل وصيتها ، وصلى عليها ، ونزل في لحدها ، واضطجع معها فيه ، وأحسن الثناء عليها[3] .

٢١ ـ قال روكس بن زائد العزيزي : فكانت أم الإمام علي للرسول بمنزلة الأُم ، لأنه ربّي في حجرها وهو ابن ثمان سنين ، وكان شاكراً لبرها ، ويسميها أُمي ، ولما توفيت كفنها الرسول بقميصه ، وأمر من يحفر قبرها ، فلما بلغوا لحدها حفره بيده ، واضطجع فيه ، وقال : اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها .

فقيل : يا رسول الله رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه بأحد قبلها ؟ فقال : ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة ، واضطجعت في قبرها ليوسعه الله عليها ، وتأمن من ضغطة القبر ، انها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إليَّ بعد أبي طالب[4] .

---

(١) الامام علي رجل الاسلام المخلد ٣٣ .

(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ٣٥٩ .

(٣) بطلة كربلاء /١٧ .

(٤) الإمام علي اسد الإسلام وقديسه / ٢٦ .

نهاية المطاف

كانت هذه الصفحات قبس من حياة هذه السيدة الجليلة ، واشادة ببعض جوانب عظمتها ومآثرها في خدمة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، ثم استجابتها لندائه ، ولحقوها مهاجرة اليه ، الى غير ذلك مما قرأته في فصول الكتاب .

وليست مهمتي في هذه السلسلة ـ فيما أحسب ـ أنْ أجلي حياة هذه السيدات ، فهن أسمى من أن يجليهن قلمي ، وأرفع من أن ترفعهن كتابتي لكنني ـ والله يشهد ـ أؤمّل ان تكون كتابتي هذه دعوة لنساء المسلمين للسير على نهج هذه السيدات ، والإقتداء بهن ، والتخلق بأخلاقهن ﴿ **قلْ هذه سبلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾[1] .

---

(١) يوسف / ١٠٨ .

أعلام النساء

(٣)

فاطمة الزهراء عليها السلام

الاهداء :

يا رسول الله .

هذه المامة بحياة بضعتك وحبيبتك فاطمة (عليها السلام)، واستعراض لسيرتها الكريمة ، اقدمها اليك مؤملاً يا سيدي منك القبول .

عبدك
علي محمد علي دخّيل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

دراسة مختصرة لحياة سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام) . يستعرض الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية فيها ، كما يتناول جانباً من عبادتها وسيرتها وخطبها .

ويعتبر هذا الكتاب تاريخ لأحرج فترة مر بها المسلمون ، ولا نزال نعاني مرارتها حتى اليوم ، وسوف تستمر حتى يأذن الله تعالى في جمع شمل الأمة بقيادة قائدها المنتظر الإمام المهدي (عليه السلام) .

إن الفصل الأخير من الكتاب بحث تفصيلي عن الحلقة الأخيرة من حياتها (عليها السلام) ، فهي على قصرها حافلة بالاحداث الجسام ، فقد عاشت (عليها السلام) تلك الفترة من الزمن ، وحاولت جاهدة ان تساهم في تقويم ما اعوج ، وإصلاح ما فسد ، فقد حاججت ، وخطبت .

لقد أدت (عليها السلام) ثمن ذلك الجهاد غالياً ، فقد اصابها من جراء ذلك تعسّف واضطهاد فماتت وهي غضبىٰ علىٰ قوم من المهاجرين والأنصار .

إن هذا الكتاب بقدر ما هو نظرة في حياتها الكريمة ، وآثارها الخالدة ، شرح للموقف الانقلابي الذي حدث بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، والذي أشار إليه القرآن الكريم مسبقاً **﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾** .

في سطور

أبوها : رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

أمها : خديجة بنت خويلد .

ولادتها : يوم الجمعة في العشرين من جمادى الثانية بعد البعثة بخمس سنين .

صفتها : كانت أشبه الناس وجهاً وحديثاً وسمتاً وهدياً برسول الله (صلى الله عليه وآله) .

اسماؤها : فاطمة ، الصديقة ، المباركة ، الطاهرة ، الزكية ، الراضية ، ، المرضية ، المحدثة ، الزهراء ، الحرة ، السيدة ، العذراء ، الحوراء ، مريم الكبرىٰ ، البتول .

كنيتها : أُم أبيها .

هجرتها : هي أول أمرأة هاجرت الى المدينة .

زوجها : أمير المؤمنين (عليه السلام)[1] ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد زوجه بها بأمر من الله تعالى .

مهرها : ٤٨٠ درهماً .

أولادها : الحسن ، الحسين ، المحسن[2] .

---

(١) كان البناء بها أول ذي الحجة في السنة الثانية للهجرة .

(٢) اسقطته

بناتها : زينب ، أم كلثوم .

نقش خاتمها : أمن المتوكلون .

بوابتها : فضة أمتها .

وفاتها : يوم الثلاثاء ، الثالث من جمادى الآخرة سنة ١١هـ .

بقاؤها بعد أبيها : ٩٥ يوماً .

عمرها : ١٨ سنة .

دفنها الامام (عليه السلام) ليلاً بوصية منها .

ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر .

آثارها : خطبتها في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وثانية أمام جمهور نساء المهاجرين والأنصار .

أوقافها : سبعة بساتين .

كرامة

روى السيد ابن طاووس رحمه الله هذه الزيارة للزهراء (عليها السلام) وقال : فقد روي : أن من زارها بهذه الزيارة واستغفر الله غفر الله له وأدخله الجنة .

السلام عليك يا سيدة نساء العالمين .
السلام عليك يا والدة الحجج على الناس أجمعين .
السلام عليك أيتها المظلومة الممنوعة حقها .

اللهم صل على أمتك وابنة نبيك ، وزوجة وصي نبيك صلاة تزلفها فوق زلفىٰ عبادك المكرّمين ، من أهل السماوات وأهل الأرضين[1] .

---

(١) الأقبال / ٩٨ .

في القرآن الكريم

لقد مدح القرآن الكريم أناساً سلفوا في قديم الزمان ، خلدهم بآيات تتلى آناء الليل وأطراف والنهار ، وبعضهم خصهم بسور مستقلة تثميناً لواقعيتهم ، وإكباراً لمواقفهم وتفانيهم في سبيل الحق . فلو تصفحنا القرآن الكريم وجدنا سورة الكهف ، وسورة لقمان ، وسورة غافر ، مضافاً إلى السور التي باسم الأنبياء (عليهم السلام) . كما ان هناك آيات تناولت الثناء على أشخاص آخرين .

واذا كان القرآن الكريم يمتدح قوماً تطاولت عليهم القرون والأزمنة ، فهو أولى بمدح من نزل القرآن الكريم في بيتهم .

لقد خص سبحانه وتعالى أهل البيت بآيات كثيرة[1] أجمع المسلمون على نزولها فيهم (عليهم السلام) ، اهتماماً منه سبحانه بشأنهم ، وإكباراً لمقامهم ، وترغيباً لغيرهم من المسلمين في السير على هداهم ، والإقتداء بهم .

نذكر من ذلك :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل**

---

(١) قال الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) : نزل القرآن أرباعاً : فربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع سير وأمثال ، وربع فرائض وأحكام ، ولنا كرائم القرآن كشف الغمة / ٩٢ ينابيع المودة ١٤٨ .

فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾[1] أجمع أهل القبلة حتى الخوارج على ان النبي (صلى الله عليه وآله) لم يدع للمباهلة من النساء سوى ابنته فاطمة (عليها السلام) .

روى مسلم والترمذي : أن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص : ما منعك أن تسب أبا تراب ؟ !

فقال سعد : أما ذكرت فلثلاث قالهن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلن أسبه ، ولئن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول وقد خلفه في بعض مغازيه ، فقال علي : خلفتني مع النساء والصبيان ؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ .

وسمعته (صلى الله عليه وسلم) يقول يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا اليها ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : ادعوا علياً ، فأتي به أرمد ، فبصق في عينيه فبرأ ، ودفع اليه الراية ، ففتح الله على يديه .

ولما نزلت هذه الآية : ﴿ **قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم** ﴾ فدعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال : اللهم هؤلاء أهلي[2] .

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) : لما نزلت هذه الآية ﴿ **قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم** ﴾ دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، وقال : هؤلاء أهلي ، اخرجه مسلم والترمذي[3] .

---

(١) سورة آل عمران / ٦١ .

(٢) الفصول المهمة / ١٠٩ .

(٣) ذخائر العقبى / ٢٥

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال : لما نزلت هذه الآية (ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً وفاطمة وحسنا وحسينا (رضي الله عنهم) ، فقال : اللهم هؤلاء أهلي [1] .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾[2] .

روى أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أنزلت هذه الآية في خمسة . فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة وروى ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه ، وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه عن أنس : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يمر ببيت فاطمة إذا خرج الى صلاة الفجر يقول : الصلاة أهل البيت ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ .

وفي رواية ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري : أنه (صلى الله عليه وسلم) جاء أربعين صباحاً إلى باب فاطمة يقول : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، يرحمكم الله ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ .

وفي رواية له عن ابن عباس : سبعة أشهر .

وفي رواية لابن جرير وابن المنذر والطبراني : ثمانية أشهر[3] .

وعن أنس : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يمر ببيت فاطمة ستة

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٠ .

(٢) سورة الأحزاب / ٣٣ .

(٣) اسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار / ١١١ .

أشهر إذا خرج الى الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[1] .

وعن أنس أيضاً : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر اذا خرج لصلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل بيت محمد ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾[2] .

قالت أم سلمة : في بيتي نزلت ﴿ **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ الآية فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الىٰ علي وفاطمة والحسن والحسين فقال : هؤلاء أهل بيتي[3] .

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) في قوله تعالىٰ ﴿ **إنما يريد الله** ﴾ الآية قال : نزلت في خمسة : في رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين .

اخرجه أحمد في المناقب وأخرجه الطبراني[4] .

وعن أنس بن مالك : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يمر ببيت فاطمة (رضي الله عنها) ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه[5] .

وقال ابن حجر : أكثر المفسرين على انها نزلت في علي وفاطمة

---

(١) كنز العمال بهامش سند أحمد ٥ / ٩٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٩٧ أسد الغابة ٥ / ٥٢١ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٤٦ .

(٤) ذخائر العقبى / ٢٤ .

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٨ .

والحسن والحسين[1] .

وسئلت عائشة (رضي الله عنها) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فقالت : وما عسيت أن أقول فيه وهو أحب الناس الىٰ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد جمع شملته علىٰ علي وفاطمة والحسن والحسين وقال : هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً[2] .

٣ ـ قوله تعالىٰ : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربىٰ ﴾[3] .

عن ابن عباس قال : قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذي وجبت علينا مودتهم ؟

قال : علي وفاطمة وابناهما . أخرجه أحمد في المناقب وفي رواية انه قال (صلى الله عليه وسلم) : إنَّ الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي ، وإني سائلكم غداً عنهم ، أخرجه الملا في سيرته[4] .

وأخرج أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس : أن هذه الآية لما نزلت قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذي وجبت علينا مودتهم ؟

قال : علي وفاطمة وابناهما[5] .

---

(١) الصواعق المحرقة / ٨٥ .

(٢) المحاسن والمساوىء للبيهقى ١ / ٢٣٢ .

(٣) سورة الشورى / ٢٣

(٤) ذخائر العقبى / ٢٦ .

(٥) الصواعق المحرقة / ١٠١ .

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾[١] .

قال ابن عباس : مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعادهما عامة العرب ، فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت علىٰ ولديك نذراً .

فقال علي : إن برئا مما بهما صمت لله عز وجل ثلاثة أيام شكراً ، وقالت فاطمة كذلك ، وقالت جارية يقال لها فضة نوبية : أن برأ سيداي صمت لله عز وجل شكراً ، فالبس الغلامان العافية ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، فانطلق علي الى شمعون الخيبري ، فاقترض منه ثلاثة أصع من شعير ، فجاء بها فوضعها ، فقامت فاطمة الىٰ صاع فطحنته واختبزته ، وصلى علي مع رسول الله ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد ، مسكين من أولاد المسلمين ، أطعموني أطعمكم الله عز وجل علىٰ موائد الجنة ، فسمعه علي فأمر فأعطوه الطعام ، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء ، فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة الىٰ صاع وخبزته ، وصلى علي مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم يتيم فوقف بالباب ، وقال : السلام عليكم أهل بيت محمد ، يتيم بالباب من أولاد المهاجرين ، استشهد والدي ، أطعموني . فأعطوه الطعام ، فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء ، فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة الى الصاع الباقي فطحنته واختبزته ، فصلى علي مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب ، وقال : السلام عليكم أهل بيت النبوة ، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعمونا ، أطعموني فإني أسير .

---

(١) سورة الانسان / ٧ .

فأعطوه الطعام ، ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء ، فأتاهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرأى ما بـهم من الجوع ، فأنزل الله تعالى عليه : ﴿ **هل أتى على الانسان حين من الدهر** ـ الى قوله ـ **لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً** ﴾[1] .

---

(١) أسد الغابة ٥ / ٥٣١ .

في الحديث الشريف

يسمو المرء وترتفع منزلته بشهادة أهل الفضل في حقه ، وتزكيتهم له ، ولم يخلق الله سبحانه مخلوقاً هو أكرم عليه من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا أفضل منه ، فكل ملك كريم ، ونبي مرسل ، وإمام صدق ، إلا وهو دونه ، ناهيك بسائر الخلق . وقد تكررت شهادته (صلى الله عليه وآله) في فضل فاطمة (عليها السلام)، وسمو منزلتها ، ورفعة مقامها ، حتى أن المتتبع يستطيع أن يجمع من أحاديثه (صلى الله عليه وآله) فيها كتاباً كبيراً ، فقد أفرد مؤلفوا الصحاح وموسوعات الاخبار أبواباً في كتبهم لذكر الأحاديث الواردة عنه (صلى الله عليه وآله) في فضل فاطمة (عليها السلام) ، نسجل منها :

١ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) : حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد[1] .

٢ ـ قال عمران بن حصين : إن النبي (صلى الله عليه وسلم) عاد فاطمة (رضي الله عنها) وهي مريضة ، فقال : كيف تجدينك يا بنيّة ؟

قالت : اني لوجعة ، وإنه ليزيدني أني مالي طعام آكله قال : يا بنية أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين ؟ !

---

(١) الاستيعاب ٢ / ٧٢٠ .

قالت : يا أبت فأين مريم بنت عمران ؟

قال : تلك سيدة عالمها وأنت سيدة نساء عالمك ، أما والله لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة[1] .

٣ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) : أول شخص يدخل عليّ الجنة فاطمة بنت محمد[2] .

٤ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) لفاطمة : إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك[3] .

٥ ـ نظر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال : أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم[4] .

٦ ـ اقبلت فاطمة فوقفت بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنظر اليها وقد ذهب الدم من وجهها ، وعليها صفرة من شدة الجوع ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أدن يا فاطمة ، فدنت حتى قامت بين يديه ، فوضع يده موضع القلادة ، وفرج بين أصابعه ، ثم قال : اللهم مشبع الجاعة ، ورافع الضيق ، إرفع فاطمة بنت محمد[5] .

٧ ـ قال النبي (صلى الله عليه وآله) : أذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش : يا أهل الجمع نكسوا رؤ وسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط ، فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق[6] .

---

(١) الاستيعاب ٢ / ٧٥٠ .

(٢) الفصول المهمة ١٢٩ .

(٣) المشرع الروي ٨٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء / ٨٦ .

(٥) اعلام النساء ٣ / ١٢١٦ .

(٦) الصواعق المحرقة / ١١٣ .

٨ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) : أما أنها سيدة النساء يوم القيامة[١] .

٩ ـ قال (صلى الله عليه وسلم : إن هذا ملك لم ينزل الى الأرض قبل هذه الليلة ، استأذن ربه أن يسلم عليّ ، يبشرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[٢] .

١٠ ـ عن عكرمة عن ابن عباس قال : خط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الأرض أربع خطوط ، وقال : أتدرون ما هذا ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، امرأة فرعون[٣] .

١١ ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لفاطمة : يا فاطمة تدرين لم سميت فاطمة ؟

قال علي : لم سميت فاطمة ؟

قال : إن الله عز وجل قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة ، اخـرجه الحافظ الدمشقي وقد رواه الامام علي بن موسى الرضا في مسنده ، ولفظه : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : إن الله عز وجل فطم ابنتي فاطمة وولدها ومن احبهم من النار ، فلذلك سميت فاطمة .

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إنَّ ابنتي فاطمة حوراء لم تطمث ، وإنما سماها فاطمة لأن الله

---

(١) حلية الأولياء ٢ / ٤٢ .

(٢) مطالب المسؤول ٦ المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥١ .

(٣) أسد الغابة ٥ / ٤٣٧ .

عز وجل فطمها ومحبيها عن النار[1] .

١٢ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) : إن فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني[2] .

١٣ ـ قال علي (رضي الله عنه) : أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين ، قلت : يا رسول الله فمحبونا ؟

قال : من ورائكم .

قال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه[3] .

١٤ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) : إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك[4] .

١٥ ـ اخرج أحمد والترمذي والحاكم عن ابن الزبير : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ، وينصبني ما أنصبها[5] .

١٦ ـ عن أم سلمة : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لفاطمة : ائتني بزوجك وابنيك ، فجاءت بهم ، فألقى عليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كساء كان تحتي خيبرياً ، أصبناه من خيبر ، ثم رفع يديه فقال : اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم انك حميد مجيد . فرفعت الكساء لأدخل

---

(١) ذخائر العقبى / ٢٦ .

(٢) خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) / ١٢١ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥١ .

(٤) أسد الغابة ٥ / ٥٢٢ .

(٥) الصواعق المحرقة / ١١٤ .

فجذبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من يدي وقال : إنك على خير[1] .

١٧ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) لفاطمة : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء الجنة أو نساء المؤمنين[2] .

١٨ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[3] .

١٩ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) : فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني[4] .

٢٠ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) : إنها بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها[5] .

٢١ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) : إن الله يغضب لفاطمة ويرضى لرضاها[6] .

٢٢ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) : إنما فاطمة شجنة[7] مني يبسطني ما يبسطها ، ويقبضني ما يقبضها[8] .

٢٣ ـ قال بلال بن حمامة : طلع علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) ذات يوم يضحك ، فقام اليه عبد الرحمن بن عوف فقال : يا رسول الله ما أضحكك ؟ قال : بشارة أتتني من الله عز وجل في أخي وابن عمي وابنتي ،

---

(١) كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥ / ٩٦ .

(٢) صحيح البخاري ٤ / ٢٠٤ .

(٣) صحيح البخاري ٥ / ٢٠ .

(٤) صحيح البخاري ٥ / ٢١ .

(٥) صفة الصفوة ٢ / ٥ .

(٦) كنز الدقائق .

(٧) الشجنة : الشعبة

(٨) سير أعلام النبلاء ٢ / ٩٦ .

ان الله عز وجل لما أراد أن يزوج علياً من فاطمة (رضي الله عنهما) أمر رضوان فهز شجرة طوبىٰ فنثرت رقاقاً ـ يعني صكاكاً ـ بعد محبينا أهل البيت ، ثم أنشأ من تحتها ملائكة من نور ، فأخذ كل ملك رقاقاً ، فإذا استوت القيامة غداً بأهلها ، ماجــت الملائكة في الخلائق ، فلا يلقون محباً لنا أهل البيت إلا أعطوه رقاً فيه براءة من النار ، فنثار أخي وابن عمي فكاك رجال ونساء من أُمتي من النار[1] .

٢٤ ـ قال المسور بن مخرمة : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على المنبر يقول : فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما رابها[2] .

٢٥ ـ قال (صلى الله عليه وسلم) لفاطمة : أنا وإياك وهذين ـ يعني حسناً وحسينا ـ وهذا الراقد ـ يعني علياً ـ في مكان واحد يوم القيامة . أخرجه أحمد[3] .

٢٦ ـ قالت عائشة : إن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال وهو في مرضه الذي توفي فيه : يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين ، وسيدة نساء هذه الأمة ، وسيدة نساء المؤمنين[4] .

٢٧ ـ قالت عائشة : اقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : مرحبا بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر إليها حديثاً فبكت ، ثم أسر إليها حديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت : لا أفشي سر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فلما قبض سألتها فأخبرتني : انه

---

(١) اسد الغابة ٥ / ٢٠٦ .

(٢) الاصابة ٤ / ٣٦٦ .

(٣) ذخائر العقبى / ٢٥ .

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٦ .

أسرّ إليّ فقال : إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين ، وما أراه إلا وقد حضر أجلي ، وإنك أول أهلي لحوقاً بي ، ونعم السلف أنا لك فبكيت . فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين[1] .

(١) أسد الغابة ٥ / ٥٢٢

فاطمة بضعة مني

أحاديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في فضل بضعته فاطمة (عليها السلام) كثيرة ، ملأت كتب الصحاح والسنن ومعاجم الحديث والسير ، وقد مر عليك في الفصل السابق نموذج منها .

لم تستوقفني هذه الأحاديث الكثيرة كما استوقفني حديث واحد أخرجه جل أصحاب الحديث حتى البخاري ، وهو قوله (صلى الله عليه وآله) : فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني[1] .

ولا أدعك تمر على هذا الحديث دون تأمل وانتباهة ، فرضاء الرسول (صلى الله عليه وآله) رضاء الله جل شأنه ، وغضبه (صلى الله عليه وآله) غضب الله تعالى .

أظن أن هذا الأمر بديهي لا يختلف فيه اثنان .

بقي شيء آخر : إن الأحداث التي تلت وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) خصوصاً ما يتعلق بالزهراء (عليها السلام) من أخذ فدك وغيرها قد أغضبتها ، وقد روى البخاري نفسه : فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها[2] .

---

(١) (صحيح البخاري ٥ / ٢١ المطبعة الخيرية ١٣٢٠ .

(٢) (صحيح البخاري ٥ / ١٣٩ (باب غزوة خيبر) .

ويروي أيضاً عن عروة بن الزبير : أن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) أخبرته : أن فاطمة (عليها السلام) ابنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يقسم لها ميراثها ، ما ترك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، فغضبت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت[1] .

ويفصل ابن قتيبة بعض تلك الأحداث التي دارت بين فاطمة وأبي بكر فيقول : وإن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجه ، فبعث إليهم عمر ، فجاء فناداهم وهم في دار علي ، فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب وقال : والذي نفسي بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها .

فقيل له : يا أبا حفص إن فيها فاطمة !

فقال : وإن .

فخرجوا فبايعو إلا علياً ، فإنه زعم أنه قال : حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن . فوقفت فاطمة (رضي الله عنها) على بابها فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ، ولم تردوا لنا حقاً .

فأتى عمر أبا بكر فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة ؟

فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له : إذهب فأدع لي علياً فذهب إلى علي فقال : ما حاجتك ؟

قال : يدعوك خليفة رسول الله

---

(١) صحيح البخاري ٤ / ٧٩ .

فقال علي (عليه السلام) : لسريع ما كذبتم على رسول الله (صلى الله عليه)

فرجع فأبلغ الرسالة

فبكىٰ أبو بكر طويلاً

فقال عمر الثانية : لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة .

فقال أبو بكر لقنفذ : عد إليه فقل له : أمير المؤمنين يدعوك لتبايع .

فجاءه قنفذ ، فأدىٰ ما أمر به

فرفع علي صوته فقال : سبحان الله لقد ادعى ما ليس له !

فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة .

فبكى أبو بكر طويلاً .

ثم قام عمر فمشىٰ ومعه جماعة حتى أتوا باب فاطمة ، فدقوا الباب ، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلىٰ صوتها : يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة .

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تنصدع ، وأكبادهم تنفطر ، وبقي عمر ومعه قوم فاخرجوا علياً ، فمضوا به الى أبي بكر .

فقالوا له : بايع .

فقال : وإن لم أفعل فمه ؟

قالوا : إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك .

قال : إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله .

قال عمر : أما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا ، وأبو بكر ساكت لا يتكلم .

فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك ؟

فقال : لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه .

فلحق علي بقبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصيح ويبكي

وينادي : يا ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني .

فقال عمر لأبي بكر : إنطلق بنا الى فاطمة فإنا قد أغضبناها .

فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما ، فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها ، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط ، فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام ، فتكلم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله ، والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي ، وإنك لأحب اليّ من عائشة إبنتي ، ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده ، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله ، إلا أني سمعت أباك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة فقالت : أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تعرفانه وتفعلان به ؟

قالا : نعم .

فقالت : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب فاطمة إبنتي أحبني ، ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟ قالا : نعم ، سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت ، فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه .

فقال أبو بكر : أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ، ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق ، وهي تقول : والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها ، ثم خرج باكياً فاجتمع أليه الناس فقال لهم : يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته ، مسروراً بأهله ، وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي .

قالوا : يا خليفة رسول الله إن هذا الأمر لا يستقيم وأنت أعلمنا بذلك ، أنه إن كان هذا لم يقم لله دين .

فقال : والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة .

قال : فلم يبايع علي كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها ، ولم تمكث بعد ابيها إلا خمسا وسبعين ليلة[1] .

ويذكر ابن قتيبة وآخرون تأسف الخليفة في ساعته الأخيرة على تصرفاته إزاء الزهراء (عليها السلام) .

قال أبو بكر عندما حضره الموت : والله ما آسي إلا على ثلاث فعلتهن ليتني كنت تركتهن ، وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن ، وثلاث ليتني سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنهن : فاما اللاتي فعلتهن وليتني لم أفعلهن فليتني تركت بيت علي وإن كان أعلن عليّ الحرب[2] .

---

(١) الامامة والسياسة ١ / ١٤ وفي اعلام النساء ٣ / ١٢١٤ بلفظ مقارب .

(٢) الامامة والسياسة ١ / ١٨ الغدير ٧ / ١٧٠ عن مصادر كثيرة .

مكانتها عند الرسول الأعظم
(صلى الله عليه وآله)

للزهراء عليها السلام مكانة خاصة تنفرد بها عند الرسول (صلى الله عليه وآله) ، لا يشاركها فيها غيرها من الناس ، فهي أحب الناس اليه ـ كما تقول عائشة ـ واعزهم عليه .

وقد مر عليك في الفصل السابق ـ في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) ـ بعض ما أورده أهل الحديث والسير من الأحاديث الواردة عنه (صلى الله عليه وآله) في فضلها ، فهو يشيد بها في كل ناد ومحفل ، ومنتدى ومجمع ، ويذكرها في كل مناسبة ، ولو تأملت قوله (صلى الله عليه وآله) (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ويريبني ما يريبها) عرفت مكانتها عنده (صلى الله عليه وآله) ، ومنزلتها لديه .

ومضافاً لاحاديثه (عليه السلام) التي كان يتوجها بها في كل وقت كان له معها سلوك خاص ، نذكر بعضه :

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يكثر القبل لفاطمة ، فقالت له عائشة : إنك تكثر تقبيل فاطمة ؟ ! فقال (صلى الله عليه وسلم) : ان جبريل ليلة أسرى بي أدخلني الجنة ، فأطعمني من جميع ثمارها ، فصار ماء في صلبي فحملت خديجة بفاطمة ، فاذا اشتقت لتلك الثمار قبلت فاطمة ، فأصبت من رائحة جميع الثمار التي أكلتها [1] .

---

(١) ذخائر العقبى / ٣٦ .

٢ ـ كانت اذا دخلت عليه قام اليها فقبلها ورحب بها ، كما كانت تصنع هي به[١] .

٣ ـ كان إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يأتي فاطمة ، ثم يأتي أزواجه[٢] .

٤ ـ قال ابن عمر : ان النبي (صلى الله عليه وآله) كان اذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة ، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة (رضي الله عنها)[٣] .

٥ ـ ان هذا السلوك الذي كان يسلكه (صلى الله عليه وآله) مع فاطمة سلام الله عليها دليل على عظمتها وفضلها ، وقربها من المولىٰ جل شأنه ، فالنبي (صلى الله عليه وآله) أبعد من أن يتأثر بوشائج القربىٰ ، أو يغلبه عطف ، أو تستأثر به رحم .

---

(١) الاستيعاب ٢ / ٧٥١ .

(٢) الاستيعاب ٢ / ٧٥٠ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٦

زواجها

للزهراء (عليها السلام) فضائل ومميزات علىٰ جميع النساء باعتبارها سيدة نساء العالمين ، ومن هذه الفضائل ـ وما أكثرها ـ زواجها من أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأنه كان بأمر من الله تعالىٰ ، وان مراسيمه تمت في السماء قبل الأرض ، وفي العالم العلوي قبل السفلي ، روى ذلك الخاص والعام ، وتواتر به الحديث .

لقد ردّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) كل من خطبها من المهاجرين بقوله : انتظر بها القضاء ، فعن علياء اليشكري ، ان أبا بكر خطب فاطمة الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا أبا بكر انتظر بها القضاء ، فذكر ذلك أبو بكر لعمر فقال له عمر : ردك يا أبا بكر ، ثم إن أبا بكر قال لعمر : إخطب فاطمة الى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فخطبها ، فقال له مثل ما قال لابي بكر ، فأخبره ، فقال له : ردك يا عمر[1] .

وروى المحب الطبري عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) قال : أتاني ملك فقال : يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك : إني قد زوجت ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلىٰ فزوجها منه في الأرض[2] .

وأخرج أيضاً عن عمر وقد ذكر عنده علي قال : ذلك صهر رسول الله

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ١٩ .

(٢) ذخائر العقبى / ٣٢

(صلى الله عليه وسلم) ، نزل جبريل فقال : يا محمد ان الله يأمرك ان تزوج فاطمة ابنتك من علي . اخرجه ابن السماك في الموافقة[1] .

وروى الخطيب البغدادي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أصاب فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صبيح العرس رعدة فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يا فاطمة إني زوجتك سيداً في الدنيا وإنه في الآخرة من الصالحين ، يا فاطمة اني لما أردت أن أملّك لعلي أمر الله جبريل فقام في السماء الرابعة فصف الملائكة صفوفاً ثم خطب عليهم جبريل فزوجك من علي ، ثم امر شجر الجنان فحملت الحلي والحلل ثم أمرها فنثرته على الملائكة ، فمن أخذ منهم يومئذ أكثر مما أخذ صاحبه أو أحسن افتخر به الى يوم القيامة .

قالت أم سلمة : فلقد كانت فاطمة تفخر على النساء حيث أن أول من خطب عليها جبريل[2] .

وروى الشيخ الطوسي عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : لما زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة من علي أتاه أناس من قريش فقالوا : إنك زوجت علياً بمهر خسيس فقال : ما أنا زوجت علياً ولكن الله عز وجل زوجه ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى ، أوحى الله الى السدرة أن انثري ما عليك ، ونثرت الدر والجواهر والمرجان ، فابتدر الحور العين فالتقطن ، فهن يتهادينه ويتفاخرن به ويقلن : هذا من نثار فاطمة بنت محمد[3] .

وروى ابن الأثير عن بلال قال : طلع علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يضحك ، فقام اليه عبد الرحمن بن عوف فقال : يا رسول الله ما أضحكك ؟

قال : بشارة اتتني من الله عز وجل في أخي وابن عمي وابنتي ، إن الله

---

(١) ذخائر العقبى / ٣١ وأخرج المحب روايات كثيرة بهذا المضمون .

(٢) تاريخ بغداد ٤ / ١٢٩ .

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ١٦٢ .

عز وجل لما أراد أن يزوج علياً من فاطمة (رضي الله عنهما) أمر رضوان فهز شجرة طوبىٰ فنثرت رقاقاً ـ يعني صكاكاً ـ بعدد محبينا أهل البيت ، ثم أنشأ من تحتها ملائكة من نور ، فأخذ كل ملك رقاقاً ، فإذا استوت القيامة غداً بأهلها ماجت الملائكة في الخلائق فلا يلقون محباً لنا أهل البيت ألا أعطوه رقاقاً فيه براءة من النار ، فنثار اخي وابن عمي فكاك رجال ونساء من أمتي من النار[1] .

وقال ابن أبي الحديد : وإن إنكاحه علياً إياها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة[2] .

وروى علي المتقي الهندي : إنّ الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي[3] وتحدث ابن شهر اشوب عن مراسيم الزواج في السماء ، فروى خطبة راحيل في البيت المعمور في جمع من اهل السماوات السبع ، فقال : الحمد لله الأول قبل أولية الأولين ، والباقي بعد فناء العالمين ، نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيين ، وبربوبيته مذعنين ، وله على ما أنعم علينا شاكرين ، حجبنا من الذنوب ، وسترنا من العيوب ، اسكننا في السماوات ، وقربنا الى السرادقات ، وحجب عنا التهم للشهوات ، وجعل نهمتنا وشهوتنا في تقديسه وتسبيحه ، الباسط رحمته ، الواهب نعمته ، جل عن إلحاد أهل الأرض من المشركين ، وتعالى بعظمته عن إفك الملحدين . . .

ثم قال : اختار الملك الجبار صفوة كرمه ، وعبد عظمته ، لأمته سيدة النساء ، بنت خير النبيين ، وسيد المرسلين ، وإمام المتقين ، فوصل حبله بحبل رجل من أهل صاحبه ، المصدق دعوته ، المبادر الى كلمته ، علي الوصول ، بفاطمة البتول ، ابنة الرسول[4] .

---

(١) أسد الغابة ١ / ٢٠٦ تاريخ بغداد ٤ / ٢١٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٩ / ١٩٣ .

(٣) كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥ / ١٠٠ .

(٤) المناقب ٣ / ١٢٥ .

وعقد النبي (صلى الله عليه وسلم) حفلاً لإعلان الزواج ، فعن أنس قال : دعاني النبي (صلى الله عليه وآله) بعد أيام ـ من خطبة أبي بكر وعمر لها ـ فقال ، أدع أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن ، وعدة من الأنصار ، فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان علي غائباً قال (صلى الله عليه وآله) : الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع سلطانه ، المرهوب من عذابه وسطواته ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الـذي خلق الخلق بقدرته ، وميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد ، إن الله تبارك اسمه ، وتعالت عظمته ، جعل المصاهرة سبباً لاحقاً ، وأمراً مفترضاً ، أوشج به الأرحام[1] وألـزم الأنام ، فقال عز من قائل : ﴿ **وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً** ﴾ فأمر الله تعالى يجري الى قضائه ، وقضاؤه يجري الى قدره ، ولكل قضاء قدر ، ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ ثم ان الله تعالى امرني ان أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي .

ثم دعا (صلى الله عليه وآله) بطبق من بسر قال : فانتهبوا ، فانتهبنا ، ودخل علي فتبسم النبي (صلى الله عليه وآله) في وجهه ثم قال : إن الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك ؟

قال : قد رضيت بذلك يا رسول الله .

قال (صلى الله عليه وآله) : جمع الله شملكما ، وأعز جدكما ، وبارك عليكما ، وأخرج منكما كثيراً طيباً[2] .

وخطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : الحمد لله الذي

---

(١) أي ألف بينها وجعلها مختلطة مشتبكة .

(٢) ذخائر العقبى / ٣١ الصواعق المحرقة / ٨٥ ينابيع المودة ٢٠٧ تاريخ الخميس ١ / ٣٦٢ .

قرب من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعد الجنة من يتقيه ، وأنذر بالنار من يعصيه ، نحمده على قديم احسانه واياديه ، حمد من يعلم أنه خالقه وباريه ، ومميته ومحييه ، ومسائله عن مساويه ، ونستعينه ونستهديه ، ونؤمن به ونستكفيه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغه وترضيه ، وأن محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله) ، صلاة تزلفه وتحظيه ، وترفعه وتصطفيه ، والنكاح ما أمر الله به ويرضيه ، واجتماعنا مما قدره الله وأذن فيه ، وهذا رسول الله زوجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم وقد رضيت ، فاسألوه واشهدوا[1] .

وقد أجمع أهل الحديث والتاريخ على تعيين المهر المذكور ، وبقي أهل البيت (عليهم الصلاة السلام) ملتزمين في زواجهم بهذا المهر ، حتى أن المأمون العباسي لما زوج الامام محمد الجواد (عليه السلام) ابنته أم الفضل ، وانفق الملايين على حفل الزواج ، لكن الإمام (عليه السلام) لم يزد المهر على الخمسمائة درهم[2] .

وبقي شيء آخر يجب ان تفهمه عن هذا الزواج العظيم ، هو جهاز الزواج ، وأثاث البيت ، فقد كان يتألف من :

١ ـ قميص بسبعة دراهم .
٢ ـ خمار بأربعة دراهم .
٣ ـ قطيفة سوداء خيبرية .
٤ ـ سرير مزمل بشريط .
٥ ـ فراشان من خيش مصر حشو أحدهما ليف ، وحشو الآخر من جز الغنم .

---

(١) المناقب ٣ / ١٢٧ تاريخ الخميس ١ / ٣٦٢ بلفظ مقارب . وفي الرواية السابقة أربعمائة مثقال فضة وهي تساوي خمسمائة درهم ، لأن المثقال يساوي درهماً وربعاً .

(٢) نور الأبصار ١٤٧ .

٦ - أربع مرافق من ادم الطائف حشوها أذخر
٧ - ستر من صوف
٨ - حصير هجري
٩ - رحى لليد .
١٠ - سقاء من ادم .
١١ - مخضب من نحاس .
١٢ - قعب للبن .
١٣ - شن للماء .
١٤ - مطهرة مزفتة .
١٥ - جرة خضراء .
١٦ - كيزان خزف .
١٧ - نطع من ادم .
١٨ - عباءة قطواني .
١٩ - قربة ماء .

وكان تجهيز علي داره :
١ - نثره برمل لين .
٢ - نصب خشبة من حائط الى حائط للثياب .
٣ - بسط أهاب كبش .
٤ - مخدة ليف[١] .

ثم كانت ليلة الزفاف ، فعن ابن عباس : لما زفت فاطمة الى علي كان النبي (صلى الله عليه وسلم) قدامها ، وجبريل عن يمينها ، وميكائيل عن يسارها ، وسبعون ألف ملك خلفها يسبحون الله ويقدسونه حتى طلع الفجر[٢] .

---

(١) المناقب ٢ / ١٠٩ .
(٢) تاريخ بغداد ٥ / ٧

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري : لما كانت ليلة الزفاف أتى النبي (صلى الله عليه وآله) ببغلته الشهباء ، وثنىٰ عليها قطيفته ، وقال لفاطمة اركبي ، وأمر ، سلمان أن يقودها ، والنبي (صلى الله عليه وآله) يسوقها ، فبينما هم في بعض الطريق إذ سمع النبي (صلى الله عليه وآله) وجبة ، فإذا جبرئيل في سبعين ألفاً ، وميكائيل في سبعين ألفاً ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : ما أهبطكم الى الارض ؟ ! .

قالوا : جئنا نزف فاطمة الى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فكبّر جبرئيل ، وكبّر ميكائيل ، وكبّرت الملائكة ، وكبّر محمد (صلى الله عليه وآله) ، فوقع التكبير على العرائس من تلك الليلة[1] .

وتحدث ابن شهر اشوب عن بقية مراسيم الزواج ، فروىٰ عن كتاب مولد فاطمة لابن بابويه : أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن مضين في صحبة فاطمة ، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن ولا يقولن ما لا يرضي الله . . . ونساء النبي (صلى الله عليه وآله) قدامها يرجزن ، فأنشأت أم سلمة :

سرن بعون الله جاراتي ... واشكرنه في كل حالات
واذكرن ما أنعم رب العلىٰ ... من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفر وقد ... أنعشنا رب السماوات
وسرن مع خير نساء الورى ... تفدى بعمات وخالات
يا بنت من فضله ذو العلى ... بالوحي منه والرسالات

ثم قالت عائشة :

يا نسوة استرن بالمعاجز ... واذكرن ما يحسن في المحاضر
واذكرن رب الناس إذ خصنا ... بدينه مع كل عبد شاكر
فالحمد لله على أفضاله ... والشكر لله العزيز القادر

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١٦٢ .

سرن بها فالله أعلىٰ ذكرها وخصها منه بطهر طاهر

ثم قالت حفصة :

فاطمة خير نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمر
فضلك الله على كل الورى بفضل من خص بآي الزمر
زوجك الله فتى فاضلاً أعنى علياً خير من في الحضر
فسرن جاراتي بها إنها كريمة بنت عظيم الخطر

ثم قالت معاذة أم سعد بن معاذ :

أقول قولاً فيه ما فيه وأذكر الخير وأبديه
محمد خير بني آدم ما فيه من كبر ولا تيه
بفضله عرفنا رشدنا فالله بالخير مجازيه
ونحن مع بنت نبي الهدى ذي شرف قد مكنت فيه
في ذروة شامخة أصلها فما أرى شيئاً يدانيه

وكانت النسوة يرجعن أول كل بيت من كل رجز ثم يكبرن(١) .

ونختم هذا الفصل بالحديث عن المأدبة التي أقامها (عليه السلام) للمناسبة السعيدة .

روى الشيخ الطوسي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا علي إصنع لأهلك طعاماً فاضلاً ، ثم قال : من عندنا اللحم والخبز وعليك التمر والسمن ، فاشتريت تمراً وسمناً ، فحسر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ذراعه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذ حيساً ، وبعث الينا كبشاً سميناً فذبح ، وخبز لنا خبزاً كثيراً ، ثم قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أدع من أحببت ، فأتيت المسجد وهو مشحن بالصحابة فاستحييت أن أشخص قوماً وأدع قوماً ، ثم صعدت على ربوة هناك وناديت : أجيبوا الى وليمة فاطمة ، فأقبل الناس ارسالاً

(١) المناقب ٣ / ١٣١ .

فاستحيت من كثرة الناس وقلة الطعام ، فعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما تداخلني فقال لي : يا علي سأدعوا الله بالبركة .

قال علي (عليه السلام) : وأكل القوم عن آخرهم طعامي وشربوا شرابي ، ودعوا لي بالبركة ، وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل ولم ينقص من الطعام شيء ، ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالصحاف فملئت ووجه بها الى منازل أزواجه ، ثم أخذ صحفة وجعل فيها طعاماً وقال : هذا لفاطمة وبعلها[1] .

وعن جابر قال : حضرنا وليمة علي وفاطمة (رضي الله عنهما) فما رأيت وليمة أطيب منها[2] .

وعن أسماء قالت : لقد أولم علي على فاطمة فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته[3] .

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي / ٢٦ .

(٢) ينابيع المودة ٢٣٣ .

(٣) ذخائر العقبى / ٣٣ الطبقات الكبرى ٨ / ١٤ .

عبادتها

مما دأب عليه أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) هي العبادة ، فكل من تحدث عنهم تحدث عن عبادتهم ، وقيامهم الليل ، وصومهم النهار ، الى غير ذلك من أنواع العبادات والطاعات .

وليس هذا بكثير عليهم بعدما شاهدوا جدهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يقوم في محرابه حتى تورمت قدماه ، ونزل عليه قوله تعالى : ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ رأفة به ، وإبقاء عليه .

وورثت الزهراء (عليها السلام) فيما ورثته من أبيها (صلى الله عليه وآله) العبادة ، نذكر بعض ما ورد من عبادتها :

١ ـ قال الحسن البصري : ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة ، كانت تقوم حتى تورمت قدماها[١] .

٢ ـ قال الحسن بن علي (عليهما السلام) : رأيت أمي فاطمة (عليها السلام) قامت في محرابها ليلة جمعة ، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح ، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم ، وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء ، فقلت لها : يا أُماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟

---

(١) أعيان الشيعة ٢ / ٥٥٠

فقالت : يا بني الجار ثم الدار[1] .

٣ ـ لما سمعت قوله تعالى : ﴿ **وإنَّ جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل بابٍ منهم جزء مقسوم** ﴾ سقطت على وجهها وهي تقول : الويل ثم الويل لمن دخل النار[2] .

---

(١) بيت الأحزان / ١٢

(٢) بيت الأحزان / ١٥ .

سيرتها

من أروع ما تركه أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) هي سيرتهم الغراء ، فهي صفحات مشرقة وضاءة ، تفيض نبلاً وشهامة ، وجوداً وأريحية ، وعفة وزهادة ، وتواضعاً وأدباً ، وهي الغاية في مكارم الأخلاق ، وأعالي الصفات ، وهي خير درس عملي للمسلمين لو اقتفوا أثره ، وسلكوا منهجه .

وفي هذه الصفحات بعض ما ورد من سيرة الصديقة (عليها السلام) :

١ ـ قال ابن أعبد : قال لي علي (عليه السلام) : يا ابن أعبد ألا أخبرك عني وعن فاطمة ، كانت أبنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي ، فجرت بالرحى حتى أثرت الرحى بيدها ، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها ، وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها ، وأصابها من ذلك ضرر[1] .

٢ ـ دخل النبي (صلى الله عليه وآله) على فاطمة وهي تطحن بالرحىٰ ، وعليها كساء من وبر الإبل ، فبكىٰ وقال : تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة[2] .

٣ ـ عن أبي سعيد الخدري : أصبح علي بن أبي طالب سابغاً فقال : يا فاطمة هل عندك شيء تغذينيه ، قالت : لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك

---

(١) صفة الصفوة ٢ / ٦ .

(٢) أعلام النساء ٣ / ١٢١٦

بالوصية ، ما أصبح الغداة عندي شيء ، وما كان شيء أطعمناه من يومين إلا شيء كنت أُوثرك به على نفسي وعلى ابني هذين الحسَن والحسين .

فقال (عليه السلام) : يا فاطمة ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئاً .

فقالت : يا أبا الحسن إني لأستحي من إلهي أن أُكلفك ما لا تقدر عليه[1] .

٤ ـ قال عطاء بن أبي رباح : كانت فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتعجن وإنَّ قصتها[2] تضرب الجفنة[3] .

٥ ـ قال سلمان (رضي الله عنه) : كانت فاطمة جالسة قدامها رحىٰ تطحن بها الشعير ، وعلىٰ عمود الرحىٰ دم سائل ، والحسين (عليه السلام) في ناحية الدار يتضور من الجوع ، فقلت يا بنت رسول الله دبرت كفاك ، وهذه فضة !

فقالت : أوصاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تكون الخدمة لها يوماً ، فكان أمس يوم خدمتها[4] .

٦ ـ قالت (عليها السلام) : لما نزلت ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ رعبت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أقول له يا أبه ، فكنت أقول : يا رسول الله ، فأعرض عني مرة أو اثنتين أو ثلاثة ، ثم أقبل عليّ فقال : يا فاطمة إنها لم تنزل فيك ، ولا في أهلك ، ولا نسلك ، وأنت مني وأنا منك ، إنما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش ،

---

(١) بيت الأحزان ١١ .

(٢) القص : الصدر

(٣) صفة الصفوة ٢ / ٦ .

(٤) بيت الأحزان / ١١ .

أصحاب البذخ والكبر ، قولي يا أبه ، فإنها أحيىٰ للقلب ، وأرضى للرب[1] .

٧ ـ قال الزهري : لقد طحنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى مجلت يدها ، وربى أثر قطب الرحىٰ في يدها[2] .

٨ ـ قال جابر الأنصاري : رأى النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة وعليها كساء من اجلّه الإبل ، وهي تطحن بيديها ، وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : يا بنتاه تجرعي مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة .

فقالت : الحمد لله علىٰ نعمائه ، والشكر لله على آلائه[3] .

٩ ـ قالت أم جعفر : ان فاطمة قالت لاسماء بنت عميس : إني استقبح ما يصنع بالنساء ، يطرح على المرأة الثوب فيصفها .

قالت : يا بنت رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة ، فدعت بجرائد رطبة فحنتها ، ثم طرحت عليها ثوباً . فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله ، إذا مت فغسليني انت وعلي ، ولا يدخلنّ أحد عليّ .

فلما توفيت جاءت عائشة لتدخل فقالت اسماء : لا تدخلي ، فشكت الى أبي بكر ، فجاء فوقف على الباب فكلم أسماء فقالت : هي امرتني .

قال : فاصنعي ما أمرتك ، ثم انصرف[4] .

قال ابن عبد البر : هي أول من غطي نعشها من النساء في الإسلام[5] .

---

(١) بيت الأحزان ١٠ .

(٢) حلية الأولياء ٢ / ٤١ .

(٣) سفينة البحار ١ / ٥٧١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢ / ٩٤ .

(٥) الاستيعاب ٤ / ٣٦٧ .

١٠ ـ أوصت لأزواج النبي (صلى الله عليه وآله) لكل واحدة منهن أوقية ولنساء بني هاشم مثل ذلك ، ولامامة بنت أبي العاص بشيء[1] .

١١ ـ قال عمرو بن دينار : إن فاطمة لم تضحك بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله) حتى قبضت[2] .

١٢ ـ قال علي (عليه السلام) : فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل إليه ، ولا أغضبتني ، ولا عصت لي أمراً ، ولقد كنت أنظر إليها فيكشف عني الهموم والأحزان[3] .

---

(١) دلائل الامامة / ٤٢ .

(٢) الفصول المهمة ١٣٢

(٣) بيت الاحزان ٢٠ .

تسبيحها (عليها السلام)

كان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يتحف أهل بيته (عليهم السلام) ، ويخصهم بتعليم بعض الأدعية والعبادات ، كما يتحف الملوك والسلاطين ذويهم بالمال والولايات .

ولعل السبب الذي من أجله كان يخصهم (صلى الله عليه وآله) بمثل هذه الأمور هو أهليتهم لها ، فالهدية يجب أن تكون مناسبة للمهدى اليه .

فقد علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ابن عمه جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) الصلاة المعروفة باسمه ، وعلم ابنته فاطمة (عليها السلام) التسبيح الذي يعرف باسمها .

وللأئمة (عليهم السلام) عناية كبيرة بهذا التسبيح ، وهو المقدم عندهم في التعقيب بعد كل فريضة ، بل وحتى بعد الصلاة المستحبة .

نذكر رواية ابن الجوزي في هذا التسبيح عن علي (عليه السلام) : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ، ووسادة ادم حشوها ليف ، ورحائين ، وسقاء ، وجرتين ، فقال علي لفاطمة ذات يوم : والله لقد سنوت[1] حتى اشتكيت صدري ، وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه .

فقالت : وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي .

---

(١) سنو الدلو : جرها من البئر .

فأتت النبي (صلى الله عليه وسلم) : فقال : ما جاء بك وما حاجتك أي بنية ؟

قالت : جئت لأسلم عليك ، واستحييت أن أسأله ، فرجعت .

فقال : ما فعلت ؟

قالت : استحييت أن أسأله .

فأتياه جميعاً ، فقال علي : يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري .

وقالت فاطمة : لقد طحنت حتى مجلت يداي ، وقد جاءك الله عز وجل بسبي وسعة فأخدمنا .

فقال (صلى الله عليه وسلم) : لا أُعطيكما وأدع أهل الصفة تطوىٰ بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكن أبيعهم ، وأنفق عليهم أثمانهم .

فرجعا ، وأتاهما النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد دخلا في قطيفتهما ، إذا غطيا رأسيهما تكشف أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما تكشف رؤوسهما ، فثارا .

فقال (صلى الله عليه وسلم) : مكانكما ، ثم قال : ألا أخبركما بخير مما سألتماني ! قالا : بلىٰ .

قال : كلمات علمنيهن جبريل : تسبحان الله في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان عشراً ، وتكبران عشراً ، وإذا أويتما الىٰ فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين .

قال علي : فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[١] .

---

(١) صفة الصفوة ٢ / ٤ .

والذي عليه الشيعة هو التكبير أربعاً وثلاثين ، والتحميد ثلاثاً وثلاثين ، والتسبيح ثلاثاً وثلاثين ، فعن الامام الباقر (عليه السلام) : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لفاطمة (عليها السلام) : يا فاطمة إذا أخذت مضجعك من الليل فسبحي الله ثلاثاً وثلاثين ، واحمديه ثلاثاً وثلاثين ، وكبريه أربعاً وثلاثين ، فذلك مئة ، هي أثقل في الميزان من جبل احد ذهباً[1] .

نعود فنذكر بعض ما جاء في فضل هذا التسبيح وعناية أهل البيت (عليهم السلام) به .

١ ـ قال الامام الصادق (عليه السلام) لأبي هارون المكفوف : يا أبا هارون انا نأمر صبياننا بتسبيح الزهراء (عليها السلام) كما نأمرهم بالصلاة فالزمه ، فانه لا يلزمه عبد فيشقى[2] .

٢ ـ قال الامام الباقر (عليه السلام) : من سبح تسبيح الزهراء(عليها السلام) ثم استغفر غفر له ، وهي مائة باللسان ، وألف في الميزان ، وتطرد الشيطان ، وترضي الرحمن[3] .

٣ ـ قال الامام الصادق (عليه السلام) : تسبيح فاطمة الزهراء (عليها السلام) في كل يوم ، في دبر كل صلاة أحب إليّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم[4] .

٤ ـ قال الامام الصادق (عليه السلام) : من سبح تسبيح فاطمة (عليها السلام) قبل أن يثني رجليه من صلاة الفريضة غفر الله له ، ويبدأ بالتكبير[5] .

---

(١) تزويج فاطمة (عليها السلام) للامام الباقر (عليه السلام) ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، بيروت .

(٢) ثواب الاعمال / ١٦٣ .

(٣) ثواب الاعمال / ١٦٣ .

(٤) ثواب الاعمال / ١٦٣ .

(٥) ثواب الاعمال / ١٦٤ .

٥ ـ قال الامام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿ **والذاكرين الله كثيراً والذاكرات** ﴾ من بات على تسبيح فاطمة (عليها السلام) كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات[1] .

٦ ـ قال الامام الصادق (عليه السلام) : من سبح الله في دبر الفريضة قبل أن يثني رجليه تسبيح فاطمة (عليها السلام) المائة ، واتبعها بلا اله الا الله مرة واحدة غفر له[2] .

٧ ـ قال الامام الصادق (عليه السلام) : من سبح تسبيح فاطمة (عليها السلام) في دبر المكتوبة قبل أن يبسط رجليه أوجب الله له الجنة[3] .

---

(١) مجمع البيان ٨ / ٣٥٨ .

(٢) المحاسن ٣٠ .

(٣) فلاح السائل ١٥٢ .

ادعيتها

تكاد أن تكون الأدعية من اختصاص أهل البيت (عليهم الصلاة السلام) ، لا يشاركهم فيها أحد من الصحابة أو التابعين ، وبقية علماء الاسلام ، فهم (عليهم السلام) منشأ هذا الفن .

قال الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل : ولم يكن أحد أقدر علىٰ هذه الصناعة ـ صناعة الدعاء ـ من أهل البيت[1] .

فهم (صلوات الله عليهم) يعلِّمون الأُمة بهذه الأدعية على الفضائل ، ويوجهونها نحو الله سبحانه ، ويصقلون العقول الخيرة ، ويهذبون النفوس الرفيعة ، فهي غذاء للروح وراحة للنفس .

وكم رأينا من دأب على هذا التراث النفيس كيف شرفت أفعاله وزكت أعماله .

ولعل من اسباب إقبال الناس في شهر رمضان المبارك على الله سبحانه ، والاسراع إلى طاعته ، هـي أدعية الشهر التي خلفها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) للأمة يدعون بها ليلاً ونهاراً .

وفي هذه الصفحات بعض ما ورد من أدعية الزهراء (عليها السلام) الصغيرة :

من دعاء لها (عليها السلام) : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا حي يا

---

(١) جعفر بن محمد / ٨٤ .

قيوم برحمتك أستغيث فأغثني ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً ، وأصلح لي شأني كله[1] .

٢ ـ من دعاء لها (عليها السلام) : اللهم قنعني بما رزقتني ، واسترني وعافني أبداً ما أبقيتني ، واغفر لي وارحمني . اللهم لا تعييني في طلب ما لا تقدِّر لي ، وما قدرته علي فاجعله ميسراً سهلاً . اللهم كاف عني والدي وكل من له نعمة علي خير مكافأة . اللهم فرِّغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما تكلفتَ لي به ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك ، ولا تحرمني وأنا أسألك . اللهم ذلل نفسي في نفسي ، وعظم شأنك في نفسي ، وألهمني طاعتك والعمل بما يرضيك والتجنب لما يسخطك يا أرحم الراحمين[2] .

٣ ـ من دعاء لها(عليها السلام): اللهم بحق العرش ومن علاه ، وبحق الوحي ومن أوحاه ، وبحق النبي ومن نباه ، وبحق البيت ومن بناه . يا سامع كل صوت ، يا جامع كل فوت ، يا بارىء النفوس بعد الموت ، صل على محمد وأهل بيته وآتنا وجميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها فرجاً من عندك عاجلاً بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدك ورسولك صلى الله عليه وعلى ذريته الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً[3] .

٤ ـ ذكر السيد ابن طاووس (رحمه الله) في كتابه فلاح السائل ثلاثة أدعية مطولة للزهراء (عليها السلام) ، نقتصر على واحد منها :

قال : ومن المهمات أيضاً بعد صلاة العشاء الآخرة الدعاء المختص بهذه الفريضة من أدعية مولاتنا فاطمة (عليها السلام) : سبحان من تواضع كل شيء لعظمته ، سبحان من ذل كل شيء لعزته ، سبحان من خضع كل شيء لأمره وملكه ، سبحان من انقادت له الأُمور بأزمتها ، الحمد لله الذي لا

---

(١) مهج الدعوات / ٦ .

(٢) مهج الدعوات ١٧٥ .

(٣) مهج الدعوات ١٧٧ .

ينسىٰ من ذكره ، الحمد الله الذي لا يخيب من دعاه ، الحمد لله الذي من توكل عليه كفاه ، الحمد لله سامك السماء ، وساطح الأرض ، وحاصر البحار ، وناضد الجبال ، وبارىء الحيوان ، وخالق الشجر ، وفاتح ينابيع الأرض ، ومدبر الأمور ، ومسير السحاب ، ومجري الريح والماء والنار من أغوار الأرض متصاعدات في الهواء ، ومهبط الحر والبرد ، الـذي بنعمته تتم الصالحات ، وبشكره تستوجب الزيادات ، وبأمره قامت السماوات ، وبعزته استقرت الراسيات ، وسبحت الوحوش في الفلوات ، والطير في الوكنات ، الحمد لله رفيع الدرجات ، منزل الآيات ، واسع البركات ، ساتر العورات ، قابل الحسنات ، مقيل العثرات ، منفس الكربات ، منزل البركات ، مجيب الدعوات ، محيي الأموات ، إله من في الأرض والسماوات ، الحمد لله على كل حمد وذكر وشكر وصبر وصلاة وزكاة وقيام وعبادة وسعادة وبركة وزيادة ورحمة ونعمة وكرامة وفريضة وسراء وضراء وشدة ورخاء ومصيبة وبلاء وعسر ويسر وغناء وفقر وعلى كل حال ، وفي كل أوان وزمان ، وفي كل مثوى ومنقلب ومقام . اللهم إني عائذ بك فأعذني ، ومستجير بك فأجرني ، ومستعين بك فأعني ، ومستغيث بك فأغثني ، وداعيك فأجبني ، ومستغفرك فاغفر لي ، ومستنصرك فانصرني ، ومستهديك فاهدني ، ومستكفيك فاكفني ، وملتجٍ إليك فآوني ، ومتمسك بحبلك فاعصمني ، ومتوكل عليك فأكفني ، واجعلني في عبادك وجوارك وحوزك وكنفك وحياطتك وحراستك وكلائتك وحرمتك وأمنك وتحت ظلك وتحت جناحك ، واجعل عليّ جنة واقية منك ، واجعل حفظك وحياطتك وحراستك وكلائتك من ورائي وأمامي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي وحواليّ حتى لا يصل أحد من المخلوقين الى مكروهي وأذاي ، لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام ، اللهم أكفني حسد الحاسدين ، وبغي الباغين ، وكيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، وحيلة المحتالين ، وغيلة المغتالين ، وغيبة المغتابين ، وظلم الظالمين ، وجور الجائرين ، واعتداء المعتدين ، وسخط المتسخطين ، وتسحب المتسحبين ، وصولة الصائلين ، واقتسار المقتسرين ،

وغشم الغاشمين ، وخبط الخابطين ، وسعاية الساعين ، ونمامة النمامين ، وسحر السحرة والمردة والشياطين ، وجور السلاطين ، ومكروه العالمين اللهم إني أسألك باسمك المخزون الطيب الطاهر الذي قامت به السماوات والأرض ، وأشرقت له الظلم ، وسبحت له الملائكة ، ووجلت منه القلوب ، وخضعت له الرقاب ، وأحييت به الموتى ، أن تغفر لي كل ذنب أذنبته في ظلم الليل وضوء النهار ، عمداً أو خطأً ، سراً أو علانية ، وأن تهب لي يقيناً وهدياً ونوراً وعلماً وفهماً حتى أقيم كتابك ، وأحل حلالك وأحرم حرامك ، وأؤدي فرائضك ، وأقيم سنة نبيك . اللهم الحقني بصالح من مضى ، واجعلني من صالح من بقي ، واختم لي عملي بأحسنه إنك غفور رحيم . اللهم اذا فنى عمري ، وتصرمت أيام حياتي ، وكان لا بد لي من لقائك فأسألك يا لطيف أن توجب لي من الجنة ، منزلاً يغبطني به الأولون والآخرون اللهم اقبل مدحتي والتهافي ، وارحم ضراعتي وهتافي ، وإقراري على نفسي واعترافي ، فقد اسمعتك صوتي في الداعين ، وخشوعي في الضارعين ، ومدحتي في القائلين ، وتسبيحي في المادحين ، وأنت مجيب المضطرين ، ومغيث المستغيثين ، وغياث الملهوفين ، وحرز الهاربين ، وصريخ المؤمنين ، ومقيل المذنبين ، وصلى الله على البشير النذير ، والسراج المنير ، وعلى جميع الملائكة والنبيين . اللهم داحي المدحوات ، وبارىء المسموكات ، وجبّال القلوب على فطرتها ، شقيها وسعيدها ، إجعل شرايف صلواتك ونوامي بركاتك ، وروافة تحياتك على محمد عبدك ورسولك وأمينك على وحيك ، القائم بحجتك ، والذاب عن حرمك ، والصادع بأمرك ، والمشيد بآياتك ، والموفي لنذرك . اللهم فاعطه بكل فضيلة من فضائله ، ومنقبة من مناقبه ، وحال من أحواله ، ومنزلة من منازله رأيت محمداً لك فيها ناصراً ، وعلى مكروه بلائك صابراً ، ولمن عاداك معادياً ، ولمن والاك موالياً ، وعما كرهت نائياً ، وإلى ما أحببت داعياً ، فضائل من جزائك ، وخصائص من عطائك وحبائك تسني بها أمره وتعلي بها درجته ، مع القوام بقسطك ، والذابين عن حرمك ، حتى لا يبقى سناء ولا بهاء ولا رحمة ولا كرامة إلا

خصصت محمداً بذلك ، وأتيته منه الذرى ، وبلغته المقامات العلى ، آمين رب العالمين . اللهم اني أستودعك ديني ونفسي وجميع نعمتك عليّ ، واجعلني في كنفك وحفظك وعزك ومنعك ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، وتقدست أسماؤك ، ولا إله غيرك ، حسبي أنت في السراء والضراء والشدة والرخاء ونعم الوكيل ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ، ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاما ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ، ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا أصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً[1]

(١) فلاح السائل ٢٣٠

فدك

فدك قرية في الحجاز ، بينها وبين المدينة ثلاثة أيام ، وكانت لليهود ، وبعد فتح خيبر ألقى الله سبحانه وتعالىٰ في قلوب أهلها الرعب فصالحوا النبي (صلى الله عليه وسلم) على النصف ، فقبل منهم ، فكانت له (صلى الله عليه وسلم) خالصة لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب .

وبعد أن نزل عليه قوله تعالى : ﴿ **وآت ذا القربى حقه** ﴾ دفعها إلى فاطمة (عليها السلام) ، فكانت تتصرف فيها أربع سنين في حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبعد وفاته (عليه السلام) قبضها أبو بكر فطالبت بها بإصرار ولكن مطالبتها منيت بالفشل .

وفي خلافة عمر بن الخطاب أرجعت فدك الى آل الرسول(صلى الله عليه وآله) ثم قبضت منهم في خلافة عثمان واعطاها عثمان لصهره مروان بن الحكم .

ثم أرجعها عمر بن عبد العزيز الى ورثة الرسول (صلى الله عليه وآله) ثم انتزعها يزيد بن عبد الملك وبقيت في قبضة الأمويين حتى نهاية دولتهم .

وبعد قيام الدولة العباسية سلمها السفاح الى أولاد فاطمة (عليها السلام) ثم انتزعها منهم المنصور ، ورجعت اليهم في عهد المهدي ثم انتزعها منهم مـوسى الهادي ورجعت أليهم في عهد المأمون سنة ٢١٠ بعد أن شكل محكمة نصب فيها وكيلاً عن فاطمة (عليها السلام) وآخر عن أبي بكر ثم نظر في الدعوى ، وبعد صدور الحكم كتب الى عامله على المدينة

(قثم بن جعفر) :

أما بعد فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، والقرابة به ، أولىٰ من استن بسنته ، وسلم لمن منحه منحة ، وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته ، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته ، وإليه في العمل بما يقربه اليه رغبته . وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أعطى فاطمة بنت رسول الله فدكاً ، وتصدق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولم تدعِ منه ما هو أولى به من صدق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردها الى ورثتها ويسلمها اليهم تقرباً الى الله تعالى بإقامة حقه وعدله ، والى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتاب الى عماله ، فلئن كان ينادي في كل موسم بعد ان قبض نبيه (صلى الله عليه وسلم) أن يذكّر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك فيقبل قوله وتنفذ عدته ، إن فاطمة (رضي الله عنها) لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لها ، وقد كتب أمير المؤمنين الى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة اليها وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك وتسليمها الى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لتوليه أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها ، فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وما ألهمه الله من طاعته ووفقه له من التقرب اليه والىٰ رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وأعلمه من قبلك ، وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله والسلام . وأنشد دعبل الخزاعي فرحاً بهذه البادرة .

أصبح وجه الزمان قد ضحكا   بـرد مـأمـون هـاشم فـدكـا

وفي عهد المتوكل انتزعها من الفاطميين وأقطعها عبد الله بن عمر بن البازيار وكان فيها احدى عشرة نخلة غرسها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيده الكريمة فوجه عبد الله رجلاً يقال له بشر بن أبي أمية الثقفي فصرمها ، ثم عاد ففلج[1] فكان آخر عهد للتاريخ بهذه المقاطعة الكبيرة التي كانت غلتها في العصر الاسلامي الأول ٢٤ ألفاً والتي بقيت ثلاثة قرون تتنقل بين أصحابها الشرعيين والحكام ، والتي كانت ولا تزال حديث التاريخ .

وقبل الخوض في البحث عن فدك هناك أمور بديهية لا يختلف فيها اثنان أعرضها أمام القارىء الكريم .

١ ـ أجمع المسلمون علىٰ جلالة فاطمة (عليها السلام) وعظمتها ، وروى جميع علماء الاسلام على اختلاف مذاهبهم ونحلهم احاديثه (صلى الله عليه وآله وسلم فيها[2] وأجمعوا ـ الا من شذ ـ على نزول قوله تعالى ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ في جماعة هي أحدهم .

٢ ـ أجمع المسلمون على مطالبتها بفدك ، ومنع القوم إياها .

٣ ـ أجمع المسلمون على هجرانها (عليها السلام) لأولياء الأمر وغضبها عليهم ووصيتها بأن تدفن ليلاً ، وان لا يشهدوا جنازتها[3] كل هذه من المسلمات التي لا يختلف فيها اثنان وأجمع عليها التاريخ والحديث .

بقي سؤال يلاحق الباحث عن سبب تعنت الأوائل في الاصرار علىٰ منع فاطمة (عليها السلام) فدك رغم المطالبة الشديدة والانتقال بالدعوىٰ فهي تطالب بها كونها نحلة وتقيم علىٰ ذلك البينة وتفشل المحاولة ، فتطالب بها

(١) ملخصاً عن معجم البلدان ٦ / ٣٤٣ و ٣٤٥ وفدك للصدر ٢٤ وشرح نهج البلاغة ١٢ / ٢١٠ .

(٢) انظر فصل (في أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله) من هذا الكتاب .

(٣) أنظر فصل (دفنها ليلاً) من هذا الكتاب .

ثانية كونها سهم ذي القربى .

وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله انه (رضي الله عنه) كتب لها بفدك ودخل عليه عمر (رضي الله عنه) فقال : ما هذا ؟ فقال : كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها .

فقال : ماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى ؟ ثم أخذ عمر الكتاب فشقه[1] .

فتطالب ثالثة بالميراث وتقيم الدنيا وتقعدها بخطبها ومواقفها .

ان هذا الاصرار في المطالبة وذلك الاصرار في المنع له علاقة وثيقة بالمطالبة بالخلافة ، واقتنع أولياء الأمر أن الباب يجب أن يوصد الآن مهما كان الثمن خوفاً من المطالبة بالقضية الكبرىٰ .

قال ابن ابي الحديد :

وسألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال : نعم . قلت : فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة ؟ فتبسم ثم قال كلاما لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته قال : لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت اليه غداً وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء لأنه يكون قد سجل على نفسه انها صادقة فيما تدعي كائناً ما كان من غير حاجة الى بيِّنة ولا شهود وهذا كلام صحيح وإن كان اخرجه مخرج الدعابة والهزل[2] .

وقال المفكر العربي سليمان كتاني في سبب مطالبة الزهراء بفدك :

ويقول أيضاً هل كانت المطالبة بفدك غير المطالبة بالخلافة للامام

---

(١) السيرة الحلبية ٣ / ٤٠٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢٨٤ .

علي ؟ وهل أن اقتطاع (فدك) من يد فاطمة هو غير قطع المدد عن المطالبين بالخلافة ؟ .

هذه حقيقة البيت الذي يطالب بفدك ، يطالب بها لا ليزيد لنفسه ثروة بل ليزيد من متانة الاسلام ، ليزيد من أعمال البر ، وتفريق الحسنات على كل هؤلاء الذين يعيشون في الجزيرة على مجاعات وأشدها مجاعة الفكر ومجاعة الروح .

لذلك هبت فاطمة تطالب بالارث لا لتحصل على الإرث بل لترهف حساً جماعياً لا يزال يهجع في الذل ، ويرضى بالاستكانة ، لتظهر للحاكم ! أنه لن يتمكن من القيادة وفي عينيه دكنة من ظلم ، ومسحة من اغتصاب لتظهر له أن فدكاً وكل شبيه بفدك شوكة في عين الخلافة ـ وكل خلافة ـ الى أن تنزع إن ألم فاطمة لم يكن مصدره موت أبيها أكثر مما كان مصدره أن رسالة ابيها ما أن عاشت حتى دخلت في حشرجة . . .

وها هي الرسالة اخذوها للاستعمال ولم يأخذوها للإكتمال ، أخذوها أداة ولم يأخذوها صفوة أناة .

إن الذين يختصبون خلافة ليس كثيراً عليهم أن يختلسوا قطعة أرض، وان الذين يعيشون في رهافة الحس ـ كفاطمة وعلي ـ ليس كثيراً عليهم أن يضنيهم التبرم والألم وهم يشاهدون بأعينهم مشاهدالمأساة(١). ويقول أيضاً هل كانت المطالبة بفدك غير المطالبة بالخلافة للامام علي ؟ وهل أن اقتطاع (فدك) من يد فاطمة هو غير قطع المدد عن المطالبين بالخلافة ؟ .

ولقد كانت تعلم فاطمة تمام العلم أن المطالبة بفدك لن تعيد أليها الأرض ، ولم تكن لتطلب أرضاً فيها نخيل ، إنها كانت تطالب بإرث آخر فيه عزة النفس ، فيه أصالة الحق ، فيه عنفوان الرسالة ، فيه امتداد ابيها . . . هذا هو الإرث الذي جاءت تنادي به في ساحة المسجد . . .

---

(١) فاطمة وتر في غمد / ١٠٧ .

إن ما دونه التاريخ من ذلك الخطاب هو المعنى ـ هو الفكر ـ هو التمرد على كل ما هو ظلم وجور.

لقد شرحت في الخطاب رسالة أبيها ـ لا لتشرح الرسالة ـ بل لتعين مركزها من الرسالة ـ مركز علي منها ـ[1].

وقال أيضاً: إن (فدكاً) كانت بخدمة القضية الكبرىٰ وقطعها لا يعتبر إلا بمثابة انتهاك تلك القضية بالذات لذلك كانت المطالبة بفدك مفتاحاً للوصول إلى صلب الموضوع، ولو لم تكن (فدك) موجودة لكان التفتيش عن مفتاح آخر له نفس السرعة ونفس الغاية مع العلم بأن (فدكاً) لم تؤثر لا بقليل ولا بكثير على سير القضية التي نشأت لتنفجر أزمتها رويداً رويداً مع السنين ومع كل فرصة سانحة، إن اليوم الحاضر لا يزال يلاحق القضية من خلال اسم (فدك) وليس من تحت فيء نخلة في قرية بالحجاز تسمىٰ (فدك)[2].

ونختم هذا الفصل بكلام السيد المرتضى رحمه الله، قال:

نحن نبتدىء فندل على أن فاطمة (عليها السلام) ما ادعت من نحلة فدك إلا ما كانت مصيبة فيه، وإن مانعها ومطالبها بالبينة معنت عادل عن الصواب، لأنها لا تحتاج الى شهادة ولا بينة، ثم نعطف على ما ذكرته على التفصيل فنتكلم عليه والذي يدل على ما ذكرناه أنها كانت معصومة من الغلط، مأموناً منها فعل القبيح، ومن هذه صفته لا يحتاج فيما يدعيه إلى شهادة ولا بينة، فإن قيل: دلوا على الأمرين، قلنا: أما الذي يدل على عصمتها قوله تعالى: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾. وقد بينا فيما سلف من هذا الكتاب أن هذه الآية تتناول جماعة منهم فاطمة (عليها السلام)، وإنما تدل على عصمة من تناولته

---

(١) فاطمة وتر في غمد / ١١٨.

(٢) فاطمة وتر في غمد / ١٦٠.

وطهارته ، وأن الارادة هـاهنا دلالة على وقوع الفعل المراد ، ولا طايل في إعادته .

ويدل أيضاً على عصمتها : قوله (عليه السلام) : فاطمة بضعة مني ، فمن آذى فاطمة فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل ، وهذا يدل على عصمتها لأنها لو كانت ممن تقارف الذنوب لم يكن من يؤذيها مؤذياً له على كل حال ، بل كان من فعل المستحق من ذمها ، وإقامة الحد ان كان الفعل يقتضيه ، ساراً له ومطيعاً ، على أنا لا نحتاج فيما نريد أن نبنيه على هذا الكلام الى القطع على عصمتها ، بل يكفي في هذا الموضوع العلم بصدقها فيما ادعته وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين لأن أحداً لا يشك أنها (عليها السلام) لم تدَّع ما ادعته كاذبة ، وليس بعد أن لا تكون كاذبة إلا أن تكون صادقة ، وإنما اختلفوا في انه هل يجب مع العلم بصدقها تسليم ما ادعته بغير بينة أم لا يجب ذلك ، والذي يدل على الفصل الثاني أن البينة إنما تراد ليغلب في الظن صدق المدعي ، ألا ترى أن العدالة معتبرة في الشهادة لما كانت مؤثرة في غلبة الظن لما ذكرناه ، ولهذا جاز أن يحكم الحاكم بعلمه من غير شهادة لأن علمه أقوى من الشهادة ، ولهذا كان الإقرار أقوى من البينة من حيث كان أبلغ في تأثير غلبة الظن ، واذا قدم الإقرار على الشهادة لقوة الظن عنده فأولى أن يقدم العلم على الجميع ، وإذا لم يحتج مع الإقرار الى شهادة لسقوط حكم الضعيف مع القوي فلا يحتاج أيضاً مع العلم الى ما يؤثر الظن من البينات والشهادات ، والذي يدل أيضاً على صحة ما ذكرناه : انه لا خلاف بين أهل النقل في أن أعرابياً نازع النبي (صلى الله عليه وآله) في ناقة فقال (صلى الله عليه وآله) : هذه لي وقد خرجت إليك من ثمنها ، فقال الإعرابي : من يشهد لك بهذا ؟ فقام خزيمة بن ثابت فقال : أنا أشهد بذلك ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : من أين علمت ؟ أحضرت ابتياعي لها ؟ فقال : لا ، ولكن علمت ذلك من حيث علمت أنك رسول الله ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : قد أجزت شهادتك وجعلتها

شهادتين ، فسمي خزيمة بذلك ذا الشهادتين ، وهذه القصة مشبهة لقصة فاطمة (عليها السلام) ، لأن خزيمة بن ثابت اكتفى في العلم بأن الناقة له (صلى الله عليه وآله) ، وشهد بذلك من حيث علم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يقول إلا حقاً ، وأمضى النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك على هذا الوجه ، فلم يدفعه عن الشهادة من حيث لم يحضر ابتياعه ، فقد كان يجب على من علم أن فاطمة (عليها السلام) لا تقول إلا حقاً ألا يستظهر عليها بطلب شهادة أو بينة ، هذا وقد روي أن أبا بكر لما شهد لها أمير المؤمنين (عليه السلام) وكتب بتسليم فدك اليها فاعترض عمر قضيته فخرق ما كتبه .

روى ابراهيم بن الثقفي عن أبراهيم بن ميمون قال : حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن جد أبيه علي (عليه السلام) قال : جاءت فاطمة الى أبي بكر وقالت : إن أبي اعطاني فدكاً وعلي يشهد لي وأُم أيمن ، قال : ما كنت لتقولي إلا الحق نعم قد أعطيتك أياها ، ودعا بصحيفة من ادم فكتب لها فيها ، فخرجت فلقيت عمر فقال : من أين جئت يا فاطمة ؟ من عند أبي بكر ، اخبرته أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعطاني فدكاً وعلي يشهد وأم أيمن فأعطانيها وكتبها لي ، فأخذ عمر منها الكتاب ثم رجع الى أبي بكر فقال ، أعطيت فاطمة فدكاً وكتبت بها لها ؟ ! قال : نعم قال عمر : علي يجر الى نفسه ، وأم أيمن امرأة ، وبصق في الصحيفة ومحاها .

وقد روي هذا المعنى من وجوه مختلفة من أراد الوقوف عليها واستقصائها أخذ من مواضعها الخ[1] .

لقد اتضح لك سبب قبض الأوائل لفدك ، وجاء الملوك والأمراء بعد الصدر الأول وليس البغض لذرية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحده

(١) الشافي / ٢٣٦ .

المبرر في انتزاعها من أصحابها الشرعيين ، بل لتصحيح عمل السلف .

ومشكلة تصحيح عمل السلف مشكلة مهمة تواجه الكتاب والعلماء دائماً ، فالباحث ربما يرى الحق واضحاً ولكن الإقرار به تخطئة لعمل السلف ، فيصمت ويصمت .

حتى ان أحد أعلام السنة اقتنع تماماً بالحجج التي أوردها عليه زميله ، ولم يمنعه عن الاعتراف بالحق إلا مشكلة تخطئة السلف **﴿ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدّي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون ﴾**[1] .

---

(١) يونس / ٣٥ .

خطبها

للصديقة الزهراء (سلام الله عليها) شأن في الحياة هو غير الخطب ، فهي مضافاً لواجباتها البيتية ملتزمة بعبادة واوراد مر عليك قسم منها ، ومسؤولة عن توجيه نساء المسلمين وتهذيبهن ، لكن الأحداث التي أعقبت وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) حتمت عليها الخروج والخطبة وعلى كل حال تركت لنا الزهراء (سلام الله عليها) خطبتين مهمتين ، ومضافاً لما يتصفان به من بلاغة وفصاحة وإعجاز يعدان من أهم الوثائق التاريخية لتلك الفترة بالذات ، بل ويكشفان عن سبب ما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم من تأخر وتقهقر واضطراب .

ذكر هذين الخطبتين جمهور من أعلام السنة والشيعة بأسانيد متعددة ، فقد ذكر الخطبة الكبرىٰ :

١ ـ أحمد بن أبي طاهر المتوفى ٢٨٠ في بلاغات النساء ١٢ .

٢ ـ محمد بن جرير الطبري ـ من أعلام القرن الرابع ـ في دلائل الإمامة ٣٠ .

٣ ـ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي المتوفى حدود ٦٢٠ ـ في الاحتجاج ١ / ١٤٦ .

٤ ـ علي بن عيسىٰ الاربلي المتوفى ٦٩٣ في كشف الغمة ٢ / ١٠٨ نقلاً عن كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري[1] .

---

(١) نقل ابن أبي الحديد عنه كثيراً في شرح النهج وأثنى عليه .

وذكر بعض الأعلام قسماً منها :

٥ ـ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ـ الشيخ الصدوق ـ المتوفى ٣٨١ في الفقيه ٣ / ٣٧٢ .

٦ ـ علي بن الحسين الموسوي ـ السيد المرتضى ـ المتوفى ٤٣٦ في الشافي ٢٣٠ .

٧ ـ محمد بن الحسن ـ الشيخ الطوسي ـ المتوفى ٤٦٠ في تلخيص الشافي ٣ / ١٤٠ .

٨ ـ محمد بن علي ـ ابن شهراشوب ـ المتوفى ٥٨٨ في المناقب ١ / ٣٨١ .

٩ ـ عبد الحميد بن محمد ـ إبن أبي الحديد ـ المتوفى ٦٥٥ في شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢١١ .

١٠ ـ علي بن موسى بن جعفر ـ إبن طاووس ـ المتوفى ٦٦٤ في الطرائف ٧٤ .

١١ ـ ميثم بن علي ـ إبن ميثم البحراني ـ المتوفى ٦٧٩ في شرح نهج البلاغة ٥ / ١٠٤ .

ونحن سجلناها من الاحتجاج :

روىٰ عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه (عليهم السلام) : أنه لما أجمع أبو بكر وعمر علىٰ منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً وبلغها ذلك لاثت خمارها علىٰ رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها ، تطأ ذيولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، فجلست ثم أنت أنة أجهش القوم لها بالبكاء ، فارتج المجلس ، ثم أمهلت هنيئة حتى أذا سكن نشيج القوم ، وهدأت فورتهم افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة علىٰ رسوله ، فعاد القوم في

بكائهم ، فلما أمسكوا عادت في كلامها ، فقالت (عليها السلام) : الحمد لله علىٰ ما أنعم ، وله الشكر علىٰ ما ألهم ، والثناء بما قدم ، من عموم نعم ابتداها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام منن أولاها ، جم عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الإدراك أبدها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها ، واستحمد الى الخلائق باجزالها ، وثنى بالندب إلى امثالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الاخلاص تأويلها ، وضمّن القلوب موصولها ، وأنار في التفكير معقولها ، الممتنع من الإبصار رؤيته ، ومن الألسن صفته ، ومن الأوهام كيفيته ، إبتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها ، كونها بقدرته ، وذرأها بمشيته ، من غير حاجة منه الى تكوينها ، ولا فائدة له في تصويرها ، إلا تثبيتاً لحكمته ، وتنبيهاً علىٰ طاعته ، وإظهاراً لقدرته ، وتعبداً لبريته ، وإعزازاً لدعوته ، ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ذيادة لعباده من نقمته ، وحياشة لهم إلىٰ جنته ، وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله ، إختاره قبل أن أرسله ، وسماه قبل أن أجتباه ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علماً من الله تعالىٰ بمآلي الأمور ، وإحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بمواقع الأمور ، ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمة على إمضاء حكمه ، وإنقاذاً لمقادير حتمه ، فرأى الأمم فرقاً في أديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدة لأوثانها ، منكرة لله مع عرفانها ، فأنار الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ظلمها ، وكشف عن القلوب بهمها ، وجلى عن الأبصار غممها ، وقام في الناس بالهداية ، فأنقذهم من الغواية ، وبصرهم من العماية ، وهداهم الى الدين القويم ، ودعاهم الى الصراط المستقيم ، ثم قبضه الله اليه قبض رأفة واختيار ، ورغبة وإيثار ، فمحمد (صلى الله عليه وآله) من تعب هذه الدار في راحة ، قد حف بالملائكة الأبرار ، ورضوان الرب الغفار ، ومجاورة الملك الجبار ، صلى الله على أبي نبيه وأمينه ، وخيرته من الخلق وصفيه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ثم التفتت الى أهل المجلس وقالت : أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم ، وبلغاءه الى الأُمم ، زعيم حق له فيكم ، وعهد قدمه إليكم ، وبقية استخلفها عليكم : كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بينة بصائره ، منكشفة سرائره ، منجلية ظواهره مغتبطة أشياعه ، قائداً الى الرضوان أتباعه ، مؤد الى النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنورة ، وعزائمه المفسرة ، ومحارمه المحذرة ، وبيناته الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة . فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ، ونماء في الرزق ، والصيام تثبيتاً للاخلاص ، والحج تشييداً للدين ، والعدل تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا نظاماً للملة ، وإمامتنا اماناً من الفرقة ، والجهاد عزا للاسلام ، والصبر معونة على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة ، والنهي عن المنكر تنزيهاً للدين ، وبر الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام منساة في العمر ومنماة للعدد ، والقصاص حقنا للدماء ، والوفاء بالنّذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخس ، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة ، وترك السرقة إيجاباً للعفة ، وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية ، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنما يخشى الله من عباده العلماء .

ثم قالت ، أيها الناس أعلموا : أني فاطمة وأبي محمد (صلى الله عليه وآله) أقول عوداً وبدوا ، ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططاً ، لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم ، ولنعم المعزى إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فبلّغ الرسالة ، صادعاً بالنذارة ، مائلاً عن مدرجة المشركين ، ضارباً ثبجهم ، أخذاً بأكظامهم ، داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يجذ

الأصنام ، وينكث الهام ، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر ، حتى تفرى الليل عن صبحه ، وأسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشياطين ، وطاح وشيظ النفاق ، وانحلت عقد الكفر والشقاق ، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص ، وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطىء الأقدام ، تشربون الطرق ، وتقتاتون القد أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله) بعد اللتيا والتي ، وبعد ان مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، أو نجم قرن الشيطان ، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها ، فلا ينكفىء حتى يطأ صماخها بأخمصه ، ويخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريباً من رسول الله سيداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً ، مجداً كادحاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون ، فاكهون ، آمنون ، تتربصون بنا الدوائر ، وتتوكفون الأخبار ، وتنكصون عند النزال ، وتفرون من القتال فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ، ومأوى اصفيائه ، ظهرت فيكم حسيكة النفاق ، وسمل جلباب الدين ،ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الأقلين ، وهدر فنيق المبطلين ، فخطر في عرصاتكم ، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم ، فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحمشكم فألفاكم غضاباً ، فوسمتم غير ابلكم ، ووردتم غير مشربكم ، هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل ، والرسول لما يقبر ، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ، فهيهات منكم ، وكيف بكم ، وأنى تؤفكون ، وكتاب الله بين أظهركم ، أموره ظاهرة ، وأحكامه زاهرة ، وأعلامه باهرة ، وزواجره لايحة ، وأوامره واضحة ، وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون ؟ ! أم بغيره تحكمون ؟ بئس للظالمين بدلاً ، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ،

ويسلس قيادها ، ثم أخذتم تورون وقدتها ، وتهيجون جمرتها ، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي ، وإطفاء أنوار الدين الجلي ، وإهمال سنن النبي الصفي ، تشربون حسواً في ارتغاء ، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء ، ونصبر منكم علىٰ مثل حز المدى ، ووخز السنان في الحشا ، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ، أفحكم الجاهلية تبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ ! أفلا تعلمون ؟ بلىٰ قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته .

أيها المسلمون أأُغلب على إرثي ؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي ؟ ! لقد جئت شيئاً فرياً ! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال : ﴿ **فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾ وقال : ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله** ﴾ وقال : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين** ﴾ وقال : ﴿ **ان ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين** ﴾ وزعمتم : ان لا حظوة لي ولا إرث من أبي ، ولا رحم بيننا ، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها ؟ أم هل تقولون : إنا أهل ملتين لا يتوارثان ؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من ابي وابن عمي ؟ فدونكها مخطومة مرحولة ، تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إذ تندمون ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت : يا معشر النقيبة ، وأعضاد الملة ، وحضنة الاسلام ، ما هذه الغميزة في حقي ، والسنة عن ظلامتي ؟ أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبي يقول : المرء يحفظ في ولده ؟ سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا أهالة ، ولكم طاقة بما أحاول ، وقوة علىٰ ما أطلب

وأزاول . أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله) فخطب جليل استوسع وهنه ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه ، واظلمت الأرض لغيبته ، وكسفت الشمس والقمر ، وانتثرت النجوم لمصيبته ، وأكدت الآمال ، وخشعت الجبال ، وأُضيع الحريم ، وأُزيلت الحرمة عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرىٰ ، والمصيبة العظمىٰ ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة ، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم ، وفي ممساكم ومصبحكم ، يهتف في أفنيتكم هتافاً وصراخاً ، وتلاوة وألحاناً ، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل ، وقضاء حتم ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ إيها بني قيلة أأهضم تراث أبي ؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع ، ومنتدى ومجمع ، تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدة ، والاداة والقوة ، وعندكم السلاح والجنة ، توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التي انتخبت ، والخيرة التي أختيرت لنا أهل البيت ، قاتلتم العرب ، وتحملتم الكد والتعب ، وناطحتم الأمم ، وكافحتم البهم ، لا نبرح وتبرحون ، نأمركم فتأتمرون ، حتى إذا دارت بنا رحى الاسلام ، ودر حلب الأيام ، وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة الإفك ، وخمدت نيران الكفر ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام الدين ، فأنى حرتم بعد البيان ، وأسررتم بعد الاعلان ، ونكصتم بعد الاقدام ، وأشركتم بعد الايمان ، بؤساً لقوم نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة اتخشونهم فالله أحق ان تخشوه إن كنتم مؤمنين . ألا وقد أرى أن قد أخلدتم الى الخفض ، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض ، وخلوتم بالدعة ، ونجوتم بالضيق من السعة ، فمججتم ما وعيتم ، ودسعتم الذي تسوغتم ، فإن تكفروا انتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ، ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم ، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، ونفثة

الغيظ ، وخور القناة ، وبثة الصدر ، وتقدمة الحجة ، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر ، نقبة الخف ، باقية العار ، موسومة بغضب الجبار ، وشنار الأبد ، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة . فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وأنا أبنة نذير لكم من بين يدي عذاب شديد ، فاعملوا إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون .

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان وقال : يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، وعلى الكافرين عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً ، ان عزوناه وجدناه أباك دون النساء ، وأخا إلفك دون الأخلاء ، آثره على كل حميم ، وساعده في كل أمر جسيم ، لا يحبكم الا سعيد ، ولا يبغضكم إلا شقي بعيد ، فأنتم عترة رسول الله الطيبون ، الخيرة المنتجبون على الخير أدلتنا ، وإلى الجنة مسالكنا ، وأنت يا خيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقك ، ولا مصدودة عن صدقك ، والله ما عدوت رأي رسول الله ولا عملت إلا بإذنه ، والرائد لا يكذب أهله ، وأني أشهد الله وكفىٰ به شهيداً ، أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة ، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا يحكم فيه بحكمه) وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح ، يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار ، ويجالدون المردة الفجار ، وذلك باجماع من المسلمين لم أنفرد به وحدي ، ولم استبد بما كان الرأي عندي ، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك ، لا تـزوى عنك ، ولا تدخر دونك ، وإنك وأنت سيدة أمة أبيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا ندفع مالك من فضل ، ولا يوضع في فرعك وأصلك ، حكمك نافذ فيما ملكت يداي ، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك (صلى الله عليه وآله) ؟

فقالت (عليها السلام) : سبحان الله ما كان أبي رسول الله (صلى الله

عليه وآله) عن كتاب الله صادفاً ، ولا لأحكامه مخالفاً ، بل كان يتبع أثره ، ويقفو سوره ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته ، هذا كتاب الله حكم عدل ، وناطق فصل يقول : ﴿ **يرثني ويرث من آل يعقوب** ﴾ ويقول : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ وبين عز وجل فيما وزع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث ، ما أزاح به علة المبطلين ، وأزال التظني والشبهات في الغابرين ، كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان علىٰ ما تصفون .

فقال أبو بكر : صدق الله ورسوله ، وصدقت ابنته ، أنت معدن الحكمة ، وموطن الهدىٰ والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك ، هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلدوني ما تقلدت ، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت ، غير مكابر ولا مستبد ، ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود .

فالتفتت فاطمة (عليها السلام) الى الناس وقالت :

معاشر المسلمين المسرعة الىٰ قيل الباطل ، المغضية على الفعل القبيح الخاسر ، أفلا تتدبرون القرآن أم علىٰ قلوب اقفالها ؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم ، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ، ولبئس ما تأولتم ، وساء ما به أشرتم ، وشر ما منه اغتصبتم ، لتجدن والله محمله ثقيلاً ، وغبه وبيلاً ، اذا كشف لكم الغطاء ، وبان باورائه الضراء ، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون ، وخسر هنالك المبطلون .

ثم عطفت على قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وقالت :

قد كان بعدك انباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
وكل أهل له قربى ومنزلة ... عند الاله على الأدنين مقترب

ابدت رجال لنا نجوى صدورهم	لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنــا رجـال واستخف بنــا	لما فقدت وكل الأرض مغتصب
وكنت بـدراً ونوراً يستضـاء به	عليك ينزل من ذي العزة الكتب
وكـان جبريـل بالآيـات يـونسنـا	فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا	لما مضيت وحالت دونك الكثب

ثم انكفأت (عليها السلام) وأمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقع رجوعها اليه ، ويتطلع طلوعها عليه ، فلما استقرت بها الدار قالت لأمير المؤمنين (عليه السلام) : يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين ، وقعدت حجرة الظنين ، نقضت قادمة الأجدل ، فخانك ريش الأعزل ، هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي وبلغة ابني ، لقد أجهد في خصامي ، وألفيته ألدّ في كلامي ، حتى حبستني قيلة نصرها ، والمهاجرة وصلها ، وغضت الجماعة دوني طرفها ، فلا دافع ولا مانع ، خرجت كاظمة ، وعدت راغمة ، اضرعت خدك يوم اضعت حدك ، افترست الذئاب ، وافترشت التراب ، ما كففت قائلاً ، ولا اغنيت طائلاً ، ولا خيار لي ، ليتني مت قبل هنيئتي ، ودون ذلتي ، عذيري الله منه عادياً ، ومنك حامياً ، ويلاي في كل شارق ، ويلاي في كل غارب ، مات العمد ، ووهن العضد ، شكواي إلى أبي ، وعدواي الى ربي . اللهم إنك أشد منهم قوة وحولاً ، وأشد بأساً وتنكيلاً .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : لا ويل لك ، بل الويل لشانئك ، ثم نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة ، وبقية النبوة ، فما ونيت عن ديني ، ولا أخطأت مقدوري ، فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون ، وكفيلك مأمون ، وما أعد لك أفضل مما قطع عنك ، فاحتسبي الله .

فقالت : حسبي الله وأمسكت[1] .

---

(١) الاحتجاج ١/ ١٤٦ .

الخطبة الثانية

ذكر هذه الخطبة أعلام السنة والشيعة القدامى :

١ ـ أحمد بن أبي طاهر المتوفى في ٢٨٠ في بلاغات النساء ١٩ .

٢ ـ محمد بن جرير الطبري ـ من أعلام القرن الرابع ـ في دلائل الامامة ٤٠

٣ ـ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ـ الشيخ الصدوق ـ المتوفى ٣٨١ في معاني الأخبار ١٠١ طـ ايران (ملحق بكتابه علل الشرايع) .

٤ ـ محمد بن الحسن الطوسي التوفى ٤ ـ ٤٦٠ في الامالي ٢٣٨ .

٥ ـ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي المتوفى حدود ٦٢٠ في الاحتجاج ١/ ١٤٩ .

٦ ـ عبد الحميد بن محمد ـ إبن أبي الحديد ـ المتوفى ٦٥٥ في شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢٣٤ .

٧ ـ علي بن عيسى الإربلي المتوفى ٦٩٣ في كشف الغمة ٢ / ١١٤ .

ونحن سجلناها من الاحتجاج :

قال سويد بن غفلة : لما مرضت فاطمة (سلام الله عليها) المرضة التي توفيت فيها ، دخلت عليها نساء المهاجرين والانصار يعدنها ، فقلن لها : كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله ؟ فحمدت الله وصلت علىٰ أبيها ، ثم قالت : أصبحت والله عائفة لدنياكن ، قالية لرجالكن ، لفظتهم بعد أن عجمتهم ، وسئمتهم بعد ان سبرتهم ، فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد

الجد ، وقرع الصفات ، وصدع القناة ، وختل الآراء ، وزلل الأهواء ، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . لاّ جرم لقد قلدتهم ربقتها ، وحملتهم أوقتها ، وشننت عليهم غارتها ، فجدعاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين ، ويحهم أنى زعزعـوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والطبين بأمور الدنيا والدين ؟ ! ألا ذلك هو الخسران المبين ، وما الذي نقموا من أبي الحسن ؟ ! نقموا والله منه نكير سيفه ، وقلة مبالاته لحتفه ، وشدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات الله ، وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة ، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة ، لردهم إليها ، وحملهم عليها ، ولسار بهم سيراً سجحاً ، لا يكلم خشاشه ، ولا يكل سائره ، ولا يمل راكبه ، ولأوردهم منهلاً نميراً ، صافياً روياً ، تطفح ضفتاه ، ولا يترنق جانباه ، ولأصدرهم بطاناً ، ونصح لهم سراً وإعلاناً ، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير ري الناهل ، وشبعة الكافل ، ولبان لهم الزاهد من الراغب ، والصادق من الكاذب ، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون . والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين . ألا هلم فاسمع ، وما عشت أراك الدهر عجباً !! وإن تعجب فعجب قولهم !! ليت شعري إلى أي سناد استندوا ؟ ! وإلى أي عماد اعتمدوا ؟ ! وبأية عروة تمسكوا ؟ ! وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا ؟ ! لبئس المولىٰ ولبئس العشير ، وبئس للظالمين بدلاً . استبدلوا والله الذنابىٰ بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . ويحهم أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ؟ ! أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ، ثم احتلبوا ملء القعب دما عبيطاً ، وذعافاً مبيدا ، هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف التالون غبَّ ما أسس الأولون ، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً ، واطمأنوا للفتنة جاشا ، وأبشروا بسيف صارم ، وسطوة معتد غاشم ، وبهرج شامل ، واستبداد

من الظالمين ، يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرة لكم ، وأنّى بكم وقد عمّيت عليكم انلزمكموهـا وأنتم لها كارهون .

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها (عليها السلام) على رجالهن ، فجاء اليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين ، وقالوا : يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل ان يبرم العهد ، ويحكم العقد ، لما عدلنا عنه إلى غيره .

فقالت (عليها السلام) : إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم ، ولا أمر بعد تقصيركم[1] .

---

(١) الاحتجاج ١ / ١٤٩ .

شِعرها

جل الشعر الذي ذكره أهل السير للزهراء (عليها السلام) هو في رثاء الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وحق لها ان ترثيه ، فهي مع ما عانته من الم الفاجعة وشدة المصيبة ، وعظيم النازلة بفقده (عليه الصلاة والسلام) ، تشاهد انحراف الأمة وانتكاستها ، وانقلابها الذي أشار له القرآن الكريم مسبقاً ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ وحتى بكاؤها (عليها السلام) الذي ضجر منه أهل المدينة كان للأمرين معاً . ولعل انقلاب الأمة وانحرافها كان أوجع لقلبها ، وأجرى لمدامعها . وعلى كل نسجل بعض ما ورد من شعرها في رثاء الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) :

١ ـ قالت (عليها السلام) :

اغبر آفاق السماء فكورت	شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبة	أسفاً عليه كثيرة الأحزان
فليبكه شرق العباد وغربها	وليبكه مضر وكل يماني
وليبكه الطود الأشم وجوده	والبيت والأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوءه	صلى عليك منزل القرآن[1]

وقالت (عليها السلام) بعد أن أخذت قبضة من قبره الشريف فشمتها :

---

(١) الفصول المهمة ١٣٢ .

ماذا علىٰ من شم تربة أحمد   أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها   صبت علىٰ الأيام عدن لياليا[1]

٣ ـ وقالت (عليها السلام) وقد لحقت أمير المؤمنين (عليه السلام) لتخلصه فلم تتمكن من ذلك ، فعدلت إلىٰ قبر أبيها (صلى الله عليه وآله) فأشارت إليه بحرقة ونحيب قائلة :

نفسي علىٰ زفراتها محبوسة   يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما   أبكي مخافة أن تطول حياتي[2]

٤ ـ ولها (عليها السلام) بعد الخطبة وقد انعطفت على قبر أبيها (صلى الله عليه وآله) :

قد كنت ذات حمية ما عشت لي   أعشى البراح وأنت كنت جناحي
فاليوم أخضع للذليل وأتقي   منه وأدفع ظالمي بالراح
وإذا بكت قمرية شجنا لها   ليلاً على غصن بكيت صباحي[3].

٥ ـ ولها (عليها السلام) وقد دنت من قبره الشريف :

إن حزني عليك حزن جديد   وفؤادي والله صب عنيد
كل يوم يزيد فيه شجوني   واكتئابي . عليك ليس يبيد[4]

٦ ـ ولها (عليها السلام) :

قلَّ صبري وبان عني عزائي   بعد فقدي لخاتم الأنبياء
عين يا عين أسكبي الدمع سحا   ويك لا تبخلي بفيض الدماء
يا رسول الله الإله يا خيرة الله   وكهف الأيتام والضعفاء

---

(١) الفصول المهمة / ١٣٢ المشرع الروي / ٨٨ الدر المنثور / ٣٦٠ .
(٢) بيت الاحزان ٤٨ .
(٣) الدر النظيم .
(٤) بيت الأحزان / ٧٠ .

لو ترى المنبر الذي كنت تعلوه — علاه الظلام بعد الضياء
يا إلهي عجل وفاتي سريعاً — قد بغضت الحياة يا مولائي[1]

٧ ـ ولها (عليها السلام) :

إذا مات يوماً ميت قل ذكره — وذكر أبي مذ مات والله أزيد
تذكرت لما فرق الله بيننا — فعزيت نفسي بالنبي محمد
فقلت لها إنّ الممات سبيلنا — ومن لم يمت في يومه مات في غد[2]

٨ ـ ولها (عليها السلام) :

إذا اشتد شوقي زرت قبرك باكياً — انوح وأشكو لا أراك مجاوبي
فيا ساكن الغبراء علمتني البكا — وذكرك أنساني جميع المصائب
فإن كنت عني في التراب مغيباً — فما كنت عن قلبي الحزين بغائب[3]

---

(١) بيت الاحزان / ٧٠ .

(٢) بيت الاحزان / ٧١ .

(٣) بيت الاحزان / ٧١ .

أوقافها

وشأن العظماء السبق في جميع المجالات الخيرة ، والإسهام بأكبر قدر ممكن من الفضيلة ، حتى لا تفوتهم مكرمة ، ولا تزوى عنهم منقبة .

ومضافاً لما قرأته من عبادة وسيرة للصديقة الزهراء (عليها السلام) فلها جوانب اخر لا تقل عنها ، ومن هذه الجوانب أوقافها ، فقد كان لها سبعة بساتين أوقفتها علىٰ بني هاشم والمطلب ، معلمة للمسلمين علىٰ هذا السلوك ، وأن يبادر أصحاب الأموال لعمل الخيرات لتكون صدقة جارية لهم ، ومثوبة باقية الأجر والثواب .

قال السيد الأمين (رحمه الله) : كان لها سبعة بساتين وقفتها على بني هاشم وبني المطلب ، وجعلت النظر فيها والولاية عليها لعلي (عليه السلام) مدة حياته ، وبعده للحسن ، وبعده للحسين ، وبعده للاكبر من ولدها[1] .

وروى الكليني عن الصادق (عليه السلام) : إن فاطمة (عليها السلام) جعلت صدقتها لبني هاشم وبني المطلب ، وبسنده عن الباقر (عليه السلام) أنه أخرج حقاً أو سفطا فأخرج منه كتاباً فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصت بحوائطها السبعة: العواف والدلال والبرقة والمثيب والحسنى والصافية ومـا لام ابراهيم ، إلى علي بن أبي طالب ، فإن مضىٰ علي فإلى الحسن ،

(١) أعيان الشيعة ٢ / ٤٨٨ .

فإن مضى الحسن فإلى الحسين ، فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من ولدي .
شهد الله على ذلك والمقداد بن الأسود ، والزبير بن العوام ، وكتب علي بن أبي طالب[1] .

---

(١) الكافي ٧ / ٤٨ .

جاريتها فضة

جدير بشخص يعيش مع أهل البيت (عليهم السلام) الثقل الذي تركه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بين ظهراني الأمة وقرنه بالقرآن بالكريم أن يكـون مثل هذه المرأة الصالحة التي ألزمت نفسها أن لا تتكلم إلا بآي من القرآن المجيد ، ولا غرو في ذلك بعد أن نظرت الى سادتها وتعلقهم بالقرآن قراءة وعلماً وعملاً ، فكانوا لا يفارقونه .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ما من آية من كتاب الله أنزلت في سهل أو جبل إلا وأنا أعلم متى نزلت وفيمن نزلت[1] .

وقال أبن أبي الحديد : وأما قراءته القرآن واشتغاله به فهو المنظور إليه في هذا الباب . اتفق الكل على انه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو أول من جمعه[2] والحديث طويل عن تعلق أئمة الهدىٰ (عليهم السلام) بالقرآن الكريم ، فقد ألزموا انفسهم بتلاوته والعمل به ، بينما كان أعداؤهم يعيشون لياليهم الحمراء بين خمر وبغي وغناء .

ورحم الله أبا فراس إذ يقول :

تتلى التلاوة في أبياتهم سحرا   وفي بيـوتكم الأوتـار والـنغم

---

(١) أعيان الشيعة ٣ ق ١ / ١٠٦ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١ / ٢٧ .

تذكر لك هذا المشهد الرائع لفضة جارية الزهراء (عليها السلام) .

روى أبو القاسم القشيري في كتابه : قال بعضهم : إنقطعت في البادية عن القافلة ، فوجدت امرأة فقلت لها : من أنت ؟

فقالت : ﴿ وقل سلام فسوف تعلمون ﴾

فسلمت عليها ، فقلت : ما تصنعين هاهنا ؟

قالت : ﴿ من يهدي الله فلا مضل له ﴾ .

فقلت : أمن الجن أنت أم من الإنس ؟

قالت : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم ﴾

فقلت : من أين أقبلت ؟

قالت : ﴿ ينادون من مكان بعيد ﴾

فقلت : أين تقصدين ؟

قالت : ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾

فقلت : متى انقطعت ؟

قالت : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض في ستة أيام ﴾

فقلت : أتشتهين طعاماً ؟

فقالت : ﴿ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ﴾

فأطعمتها ، ثم قلت : هرولي وعجلي

فقالت : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾

فقلت : اردفك ؟

فقالت : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾

فنزلت وركبتها

فقالت : ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا ﴾

فلما أدركنا القافلة قلت : ألك أحد فيها ؟

قالت : ﴿ يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ ﴿ يا يحيى خذ الكتاب ﴾ ﴿ يا موسى إني أنا الله ﴾ .

فصحت بهذه الأسماء فإذا أنا بأربعة شباب متوجهين نحوها ، فقلت : من هؤلاء منك ؟

قالت : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة ألدنيا** ﴾

فلما أتوها قالت : ﴿ **يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين** ﴾ .

فكافؤوني بأشياء

فقالت : ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء** ﴾

فزادوا عليّ : فسألتهم عنها فقالوا : هذه أمنا فضة ، جارية الزهراء (عليها السلام) ، ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن[1] .

---

(١) بيت الاحزان / ١٤ .

دفنها (عليها السلام) ليلاً

أجمع أهل الحديث والتاريخ على دفن الزهراء (عليها السلام) ليلاً روى البخاري عن عائشة : فوجدت فاطمة أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، وصلى عليها[1] .

ذكر الرواية مسلم في صحيحه ٢ / ٥٤ والبيهقي في السنن الكبرى ٦ / ٣٠٠ والطبري في تاريخه ٣ / ٢٠٣ والكنجي في كفاية الطالب ٣٧٠ والديار بكري في تاريخ الخميس ٢ / ١٧٤ وابن كثير في البداية والنهاية ٥ / ٢٨٦ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢١٨ .

وروى علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي عن الواقدي قال : وثبت عندنا أن علياً كرم الله وجهه دفنها (رضي الله عنها) ليلاً ، وصلى عليها ومعه العباس والفضل (رضي الله عنهم) ولم يعلموا بها أحداً[2] .

وذكر ابن عبد البر : وكانت اشارت عليه أن يدفنها ليلاً[3] .

وقال ابن الأثير : وأوصت ان تدفن ليلاً ففعل ذلك بها[4] وقال في شرحه

---

(١) صحيح البخاري ٥ / ١٣٩ .

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ٣٩٩ .

(٣) الاستيعاب ٢ / ٧٥١ .

(٤) أسد الغابة ٥ / ٥٢٤ .

لصحيح البخاري : دفنها ليلاً بوصية منها كما عند أبن سعد[1] .

وقال المحب الطبري : وكانت أشارت علىٰ علي (رضي الله عنه) أن يدفنها ليلاً[2] .

وبين أيدينا مصادر سنية أخرى تنص علىٰ دفنها (سلام الله عليها ليلاً) :

١ ـ رسائل الجاحظ للسندوبي ٣٠٠ .
٢ ـ الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨ / ١٩
٣ ـ الاصابة لابن حجر ٤ / ٣٨٠ .
٤ ـ صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ / ١٤ .
٥ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني ٢ / ٤٣ .
٦ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣ / ١٦٢ .
٧ ـ مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي ١ / ٨٣ .
٨ ـ تلخيص المستدرك للذهبي ٣ / ١٦٢
٩ ـ طرح التثريب ١ / ١٥٠ .
١٠ ـ شرح صحيح مسلم للوشناني (اكمال اكمال العلم) ٦ / ٢٨٢ .
١١ ـ مكمل اكمال الاكمال ٦ / ٢٨٢ .
١٢ ـ نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب للدكتور علي ابراهيم حسن ٤٨ .
١٣ ـ اعلام النساء لعمر رضا كحالة ٤ / ١٣١ .
١٤ ـ الدر المنثور / لزينب بنت علي الفواز العاملي ٣٦

والموضوع بعد أن سلمنا بقطعيته يستلفت النظر ، ويدعو للتأمل والبحث ، فلماذا أوصت (عليها السلام) بذلك ؟ ! وما هي الأسباب الموجبة

---

(١) ارشاد الساري ٦ / ٤٦٢ .

(٢) ذخائر العقبى / ٥٤ .

لهذه الوصية ؟ ! وحاشا أهل بيت العصمة (عليهم السلام) أن يعملوا عبثاً ، ويتركوا الأولى بالميت من الاكرام والتشييع .

إن كل من درس حياة الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وما رافق ذلك من أحداث يجدها علىٰ طرفي نقيض مع أولياء الأمور ، فقد خطبت خطبتها الكبرىٰ في مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله مستنكرة أعمال الحكومة وتصرفاتها ، لا سيما فيما يخصها (عليها السلام) ، وخطبت خطبتها الثانية أمام جمهور نساء المهاجرين والأنصار في التأليب والاستنكار على الحاكمين وحزبهم ، وطافت على بيوت المهاجرين والأنصار ومعها أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسن والحسين (عليها السلام) تستنهضهم وتدعوهم لنقض البيعة ، والانتفاضة على الحكومة .

قال ابن قتيبة : وخرج علي (كرم الله وجهه) يحمل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علىٰ دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به .

فيقول علي (كرم الله وجهه) : أفكنت أدع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بيته لم ادفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟ !

فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[1] .

ثم كانت خاتمة هذه الثورة من الزهراء (عليها السلام) هو إعراضها عن الشيخين عندما جاءا يستعفيانها عما صدر منهما إليها ، ويستغفرانها عما بدر منهما[2] .

---

(١) الامامة والسياسة ١ / ١٢ شرح نهج البلاغة ٦ / ١٣ .

(٢) أنظر فصل (فاطمة بضعة مني) من هذا الكتاب .

وامتداداً لثورتها وسخطها عليهما ، واستنكاراً لأعمالهما أوصت أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يدفنها ليلاً ، وأن لا يشهدا تشييعها ، لتعلن للاجيال بأنها ماتت وهي غضبى عليهما[1] .

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) للاصبغ بن نباته وقد سأله عن علة دفن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلاً ، قال : إنها كانت ساخطة علىٰ أقوام كرهت حضورهم جنازتها[2] .

عز على أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يدفن ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الصورة ، لم يشهدها إلا نفر يسير من كبار الصحابة .

لقد ضاعف مشهد دفن الصديقة (عليها السلام) مصيبة الامام (عليه السلام) بفقدها ، فهو بعد أن واراها في لحدها توجه الى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد هاج به الحزن والكمد فقال (عليه السلام) : السلام عليك يا رسول الله عني وعن أبنتك النازلة في جوارك ، والسريعة اللحاق بك ، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ، ورق عنها تجلدي إلا أنَّ لي في التأسي لي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك موضع تعز ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . فلقد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، أما حزني فسرمد ، وأما ليلي فمسهد ، الى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم . وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها ، فأحفها السؤال ، واسخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر ، والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين[3] .

---

(١) انظر صحيح البخاري ٤ / ٧٩ .

(٢) أمالي الشيخ الصدوق / ٥٨٨ .

(٣) نهج البلاغة ٢ / ١٨٢ .

وقد تحقق غرض الزهراء (عليها السلام) في دفنها ليلاً ، فما أن علم الناس بالأمر حتى أخذوا يتلاومون فيما بينهم على ما ارتكبوه من ظلم واضطهاد لها (عليها السلام) .

روى الشيخ القمي : وان المسلمين لما علموا وفاتها جاؤا الى البقيع ، فوجدوا فيه أربعين قبراً فأشكل عليهم قبرها من بين القبور ، فضج الناس ولام بعضهم بعضاً ، وقالوا : لم يخلف نبيكم فيكم الا بنتاً واحدة تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها ، والصلاة عليها ، ولا تعرفوا قبرها . . . الخ[1] .

وبقي دفن الصديقة (عليها السلام) ليلاً وصمة عار على الأوائل ، ولم يستطع من جاء بعدهم من المحدثين والمؤرخين أن يدافع أو يزيل هذا العار ، فلقد حاولوا أن يبرروا كل عمل قام به السلف ، ويخلقوا التأويل لكل فعل فعلوه وإن كان مناقضاً للقرآن الكريم ، وسنة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، لكنهم إذا جاؤا لحديث (الدفن ليلاً) لاذوا بالصمت ، وتهربوا عن البحث .

ورحم الله الازري أذ يقول في قصيدته العصماء :

ولأيِّ الأمـور تـدفـن سـرّاً   بضعة المصطفى ويعفىٰ ثراها

---

(١) بيت الاحزان / ٨١ .

الكتب المؤلفة في الزهراء (عليها السلام)

ما أكثر الكتب المؤلفة في ابنة المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، وما أكثر الكتب التي تحدثت عنها بتفصيل ، وسجلت حياتها بإكبار ، ففي عام ١٣٨٧ هـ أعلنت مكتبة العلمين العامة في النجف الأشرف مباراة كتابية عن الزهراء (عليها السلام) ، وجعلت للفائزين جوائز تبرع بها الوجيه الكبير السيد حسن الصراف حفظه الله ، وإسهاماً مني في المباراة جمعت بعض المصادر التي تترجم للزهراء (عليها السلام) فكانت زهاء ثلثمائة مصدر ، طبعتها المكتبة .

واذكر الآن الكتب المؤلفة فيها (عليها السلام) مطبوعة ومخطوطة ، والكتب التي ألفت للمباراة .

الكتب المخطوطة

١ ـ اتحاف السائل بما لفاطمة (رضي الله عنها) من الفضائل / محمد حجازي الشافعي[١] .

٢ ـ أخبار فاطمة (عليها السلام) / أبو علي الصولي[٢] .

٣ ـ أخبار فاطمة (عليها السلام) / عبد الله بن أبي زيد الأنباري[٣] .

٤ ـ أخبار فاطمة (عليها السلام) / محمد بن أحمد بن عبد الله (ابن أبي الثلج)[٤]

٥ ـ أخبار فاطمة (عليها السلام) ومنشؤها ومولدها / محمد ابن زكريا ابن دينار[٥] .

٦ ـ أربعون حديثاً في فضائل السيدة فاطمة (عليها السلام) / نجم الدين الشريف العسكري[٦] .

---

(١) مقدمة ينابيع المودة ص ٦ ط النجف .

(٢) معالم العلماء / ١٩ ووصف الكتاب بأنه كبير .

(٣) رجال النجاشي / ١٦٢ .

(٤) رجال النجاشي / ٢٧٠ .

(٥) رجال النجاشي / ٢٤٥ .

(٦) ذكره المؤلف في كتابه المطبوع (علي والوصية) .

١٨ ـ شرح الخطبة / خليل الكمرئي[١] .
١٩ ـ شرح الخطبة / فضل علي القزويني[٢] .
١٩ ـ شرح الخطبة / السيد علي محمد تاج العلماء[٣] .
٢١ ـ شرح الخطبة / هادي البنابي[٤] .
٢٢ ـ شرح خطبة الزهراء محمد نجف المشهداني الكرماني[٥] .
٢٣ ـ الصوارم الحاسمة في مصائب الزهراء فاطمة / السيد أبو القاسم الحلي[٦] .
٢٤ ـ الظلامة الفاطمية / الناصر للحق إمام الزيدية[٧] .
٢٥ ـ الظلامة الفاطمية / محمد بن أحمد بن الجنيد الاسكافي[٨] .
٢٦ ـ الفاطميات / أبو الحسن المدائني[٩] .
٢٧ ـ الفتح والبشرى في مناقب فاطمة الزهراء / محمد الجفري[١٠] .
٢٨ ـ فدك/أبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي[١١] .
٢٩ ـ فدك / الحسن بن علي بن الحسن (أبو محمد الأطروش) له كتاب فدك[١٢] .
٣٠ ـ فدك / مظفر بن محمد أبو الجيش البلخي /[١٣] .

---

(١) (٢) (٣) الذريعة ١٣ / ٢١٦ .
(٤) الذريعة ١٣ / ٢١٧ .
(٥) الذريعة ١٣ / ٢١٦ .
(٦) نسخة منه في المكتبة الحسينية ـ النجف .
(٧) معالم العلماء ١٢٦ .
(٨) رجال النجاشي / ٢٧٥ .
(٩) الكنىٰ والألقاب ٣ / ١٦٨ .
(١٠) مقدمة ينابيع المودة ١٤ / ط النجف .
(١١) الفهرست / ٢٧ .
(١٢) رجال النجاشي / ٤٢ .
(١٣) رجال النجاشي / ٢٩٩ .

٣١ ـ فدك / عبد الرحمن بن كثير الهاشمي[١] .

٣٢ ـ فدك / عبيد الله بن أبي زيد الانباري[٢]

٣٣ ـ فدك / يحيى بن زكريا الزماشيري[٣]

٣٤ ـ فضائل الزهراء (عليها السلام) / أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي[٤] .

٣٥ ـ فضائل فاطمة / عمر بن شاهين[٥] .

٣٦ ـ فضائل فاطمة الزهراء (عليها السلام) / الحاكم النيسابوري[٦] .

٢٧ ـ كتاب ذكر فاطمة / عبد العزيز بن يحيى الجلودي[٧]

٣٨ ـ كلام في فدك / طاهر غلام أبي الحبيش[٨] .

٣٩ ـ كلام فاطمة (عليها السلام) / أبو الفرج الإصفهاني[٩]

٤٠ ـ مباحثة إمامي وسني في أفضلية الزهراء (عليها السلام) علىٰ مريم (عليها السلام) / نجم الدين الشريف العسكري[١٠] .

---

(١) رجال النجاشي / ١٦٣ .

(٢) رجال النجاشي / ١٦٢ .

(٣) رجال النجاشي / ٣٠٩ .

(٤) الكنىٰ والألقاب ٢ / ٤٤٥ .

(٥) ينقل عنه في المناقب ٢ / ١٠٢ نسخة منه في الظاهرية ـ بدمشق ـ مجموع رقم ١٧ ذكرها الدكتور صلاح الدين المنجد في تحقيقه كتاب تزويج فاطمة (عليها السلام) .

(٦) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ٢٩٥ كشف الظنون ٢ / ١٢٧٧ الكنىٰ والألقاب ٢ / ١٧٠ .

(٧) رجال النجاشي / ١٦٨ .

(٨) رجال النجاشي / ١٤٦ .

(٩) الفهرست / ٢٢٤ .

(١٠) ذكره في كتابه المطبوع (علي والوصية) .

٧ ـ الابعين في فضائل الزهراء (عليها السلام) / أحمد بن عبد الملك المؤذن[١] .

٨ ـ أضواء الدرر الغوالي لايضاح غصب فدك والعوالي / لبعض الأعلام[٢] .

٩ ـ تزويج فاطمة (عليها السلام) / عبد العزيز بن يحيى الجلودي[٣] .

١٠ ـ تفسير خطبة فاطمة (عليها السلام) / ابن عبدون[٤] .

١١ ـ الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة / جلال الدين السيوطي[٥] .

١٢ ـ خطبة فاطمة (عليها السلام) / أبو مخنف لوط بن يحيى الازدي[٦] .

١٣ ـ الدرة البضاء في أحوال فاطمة الزهراء / السيد جمال الدين محمد ابن الحسين الواعظ[٧] .

١٤ ـ الدرة البيضاء في تاريخ حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) /

---

(١) معالم العلماء / ٢٥ .

(٢) بحار الأنوار ١ / ٢١ .

(٣) رجال النجاشي / ١٦٨ .

(٤) رجال النجاشي / ٦٤ الكنىٰ والألقاب ١ / ٣٥٣ .

(٥) نسخة منه بدار الكتب المصرية رقم ١٢٣ واخرى بمكتبة أسعد أفندي سليمانية رقم ٣٥٥٣ وثالثة في مكتبة جامعة برنستن بالولايات المتحدة ذكرها صلاح الدين المنجد في تحقيقه كتاب تزويج فاطمة (عليها السلام) .

(٦) معالم العلماء / ٩٤ .

(٧) الذريعة ٨ / ٩٣ .

جزءان / نجم الدين الشريف العسكري[1]

١٥ ـ الروضة الزهراء في مناقب فاطمة الزهراء / محمد بن أحمد بن أحمد الخزاعي[2] .

١٦ ـ زهد فاطمة (عليها السلام) / الشيخ الصدوق[3] .

١٧ ـ شرح خطبة الزهراء (عليها السلام) / السيد عبد الله شبر[4] .

٤١ ـ مباحثة علوي وإمامي في تفضيل فاطمة الزهراء (عليها السلام) على سائر النساء / نجم الدين الشريف العسكري[5] .

٤٢ ـ من روى عن فاطمة (عليها السلام) من أولادها / أحمد بن محمد بن سعيد (ابن عقدة)[6] .

٤٣ ـ مولد فاطمة (عليها السلام) وفضائلها وتزويجها وظلامتها ووفاتها / الشيخ الصدوق[7] .

٤٤ ـ وفاة فاطمة (عليها السلام) / أبو الحسن البكري[8]

---

(١) ذكره في كتابه المطبوع (علي والوصية)

(٢) الذريعة ١١ / ٢٩٤ .

(٣) رجال النجاشي / ٢٧٧ .

(٤) نسخة في المكتبة الشبرية / النجف .

(٥) ذكره في كتابه المطبوع (علي والوصية) .

(٦) الفهرست / ٥٣ .

(٧) ورد ذكره في كتبه المطبوعة ، وذكره الاربلي في كشف الغمة / ١٣٧ .

(٨) بحار الأنوار ١ / ٢٢

الكتب المطبوعة

١ ـ احتجاج الزهراء فاطمة (عليها السلام) / حجة الله النجفي الرضوي / صفحة ٢٢٤ القطع الكبير / ايران ١٣٧٦ .

٢ ـ البتول العذراء / محمد حسين شمس الدين / تقديم العلايلي / صفحة ٩٦ قطع الكف / لبنان .

٣ ـ بيت الاحزان / عباس القمي / صفحة ٨٢ / القطع الكبير / ايران .

٤ ـ تزويج فاطمة بنت الرسول (صلى الله عليه وآله) / الامام محمد الباقر (عليه السلام) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد / صفحة ١٠ القطع الكبير / بيروت .

٥ ـ خطب فاطمة الزهراء (عليها السلام) / شرح وتحقيق الشيخ مسلم الجابري / صفحة ٢٤ قطع الكف / النجف .

٦ ـ الدرة البيضاء في شرح خطبة الزهراء / محمد تقي السيد اسحاق الرضوي القمي / صفحة ١٩٠ القطع الكبير / ايران ١٣٥٤ .

٧ ـ الزهراء محمد جمال الهاشمي / الكتاب التاسع من حديث الشهر / صفحة ١٣٤ قطع الكف .

٨ ـ الزهراء (عليها السلام) في السنة والتاريخ والأدب / محمد كاظم الكفائي / الجزء الأول صفحة ٢٢٥ قطع الربع ، الجزء الثاني صفحة ٤٠٦ / النجف .

٩ ـ سيرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) / محمد سلطان مرزا دهلوي / اردو / صفحة ٣٨٤ القطع الكبير / كراجي .

١٠ ـ شرح خطبة فاطمة (عليها السلام) / أحمد بن عبد الرحيم / فارسي / صفحة ٤٣٩ القطع الكبير / ايران .

١١ ـ فاطمة البتول / رواية تاريخية إجتماعية / معروف الأرناؤط / صفحة ٣٧٦ القطع الكبير .

١٢ ـ فاطمة بنت محمد أم الشهداء وسيدة النساء / عمر أبو النصر / صفحة ٧١ قطع الربع / مصر ١٣٦٦ .

١٣ ـ فاطمة زهـراء (سلام الله عليها) / جواد فاضل / فارسي / صفحة ٢٢١ قطع الربع / ايران .

١٤ ـ فاطمة الزهراء / توفيق أبو علم / صفحة ٣٠٢ / مصر .

١٥ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون / عباس محمود العقاد / ط ٢ / صفحة ٢٢٦ القطع الكبير / بيروت ١٩٦٧ .

١٦ ـ فاطمة الزهراء وقصائد أخرى / يوسف محمد عمرو / قطع الكف ١٠٧ لبنان ١٣٩٧ .

١٧ ـ فدك في التاريخ / محمد باقر الصدر / صفحة ١٦٨ قطع الربع / النجف .

١٨ ـ في بيت فاطمة / عبد الصمد تركي / صفحة ٢٠٢ قطع الربع / الكويت .

١٩ ـ الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (عليها السلام) / عبد الحسين شرف الدين الموسوي / طبع ملحقاً بكتابه الفصول المهمة / النجف .

٢٠ ـ اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء / محمد علي الأنصاري / صفحة ٤٧٠ القطع الكبير / ايران ١٢٨٩ .

٢١ ـ مجمع النورين وملتقى البحرين / أبو الحسن الزيدي النجفي / صفحة ٢٨٢ القطع الكبير / ايران ١٣٢٨ .

٢٢ ـ مصادر الدراسة عن الزهراء (عليها السلام) / علي محمد علي دخيل / صفحة ٥٨ قطع الكف / النجف .

٢٣ ـ مظهر الأشجان عن مهج الأحزان / جعفر بن محمد البحراني / صفحة ١٣٢ قطع الربع / ١٣٢٠ .

٢٤ ـ مناقب الفاطمية / ابراهيم بن محسن الكاشاني / صفحة ٤٧ قطع الربع / دمشق .

٢٥ ـ النار الحاطمة لقاصد إحراق بيت فاطمة / السيد مقرب علي النقوي الحسيني / صفحة ٩١ القطع الكبير / الهند ١٢٨١ .

٢٦ ـ النفحات القدسية في الأنوار الفاطمية / عبد الرزاق كمونة الحسيني / صفحة ١٤٢ القطع الكبير / بيروت ١٩٧٠ .

٢٧ ـ وفاة الصديقة الزهراء (عليها السلام) / عبد الرزاق الموسوي المقرم / صفحة ١٥٢ قطع الربع / النجف ١٣٧٠ .

٢٨ ـ وفاة فاطمة الزهراء / حسين بن شيخ محمد البحراني / صفحة ٩٦ / قطع الربع / النجف ١٣٧٢ .

٢٩ ـ وفاة فاطمة الزهراء / علي الشيخ حسين البلادي / صفحة ٧٢ قطع الربع / النجف .

كتب المباراة

١ ـ أم الشهداء فاطمة بنت محمد / مهدي عبد الحسين / المسيب .
٢ ـ رائدة فخر النساء / حيدر علي السعيدي / المسيب
٣ ـ الزهراء سيدة الكساء ونساء اليوم / كريم الصائغ / النجف .
٤ ـ الزهراء فاطمة بنت محمد / عبد الزهراء عثمان محمد / القرنة[١] .
٥ ـ الزهراء في محراب الألم الخالد / عبد الكريم توفيق الطائي / شقلاوة .
٦ ـ الصديقة فاطمة الزهراء / محمد رضا الحساني / النجف .
٧ ـ الصديقة فاطمة الزهراء بنت الرسالة المحمدية / عبد المجيد سماوي الجلوب / الحلة .
٨ ـ فاطمة الزهراء أم أبيها / فاضل الميلاني الحسيني / النجف[٢] .
٩ ـ فاطمة بضعة المصطفى / حيدر الشديدي / الناصرية .
١٠ ـ فاطمة الحوراء الإنسية / جاسم هاشم العبادي / العمارة[٣] .
١١ ـ فاطمة الزهراء شهاب النبوة الثاقب / حسن عيسى الحكيم / النجف .

---

(١) حصل على الجائزة الثانية ، وطبع بالنجف بـ ٢٢٤ صفحة .
(٢) طبع في النجف بـ ١٧٥ صفحة .
(٣) حصل على الجائزة الثالثة .

١٢ ـ فاطمة الزهراء نداء الملايين / السيد محمد تقي الخرساني / كربلاء .

١٣ ـ فاطمة الزهراء وتر في غمد / سليمان كتاني / لبنان[1] .

١٤ ـ فخر النساء فاطمة / خليل رشيد / العمارة .

---

(١) حصل على الجائزة الأولى وطبع بالنجف بـ ١٧٦ صفحة .

كلمات العلماء والعظماء

وفي مدحة الله سبحانه وتعالىٰ والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) غنى لها عن مدح المادحين ، وثناء الناس أجمعين ، على ان كلمات العلماء الأعلام والمؤلفين في الصديقة الزهراء (عليها السلام) قد ملأت الكتب ، ويتمكن المتتبع لها أن يجمع منها كتاباً مستقلاً نسجل منها :

١ ـ قالت عائشة لمن سألها أي الناس أحب لرسول (صلى الله عليه وسلم) ؟

قالت : فاطمة .

قيل من الرجال ؟

قالت : زوجها ، ان كان ما علمت صواماً قواماً[١] .

وقالت : ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله (صلى الله عليه وسلم) من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها ، وكذلك كانت هي تصنع به[١] .

وقالت أيضاً : ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها[٢] .

وقالت أيضاً : ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلا ان يكون الذي ولدها[٣] .

---

(١) أسد الغابة ٥ / ٥٥٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٩٢ .

(٣) الاصابة ٤ / ٣٦٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢ / ٩٥ .

وعن جميع بن عمير قال : دخلت مع أمي على عائشة فسمعتها من وراء الحجاب وهي تسألها عن علي فقالت : تسألين عن رجل ما أعلم رجلاً أحب إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من علي ، ولا في الأرض امرأة كانت أحب الىٰ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من امرأته[٤] .

٢ ـ قال أبو نعيم الإصبهاني :

من ناسكات الأصفياء ، وصفيات الأتقياء ، فاطمة (رضي الله تعالى عنها) ، السيدة البتول ، البضعة الشبيهة بالرسول ، الوط أولاده بقلبه لصوقاً ، وأولهم بعد وفاته به لحوقاً . كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة ، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة[١] .

٣ ـ قال علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ـ ابن الأثير :

كانت فاطمة تكنىٰ أم أبيها ، وكانت أحب الناس الىٰ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وزوّجها من علي بعد أحد ، وكانت سنها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ، وانقطع نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا منها[٢] .

٤ ـ قال زين العرب في شرح المصابيح :

إن فاطمة سميت بتولاً لانقطاها عن نساء الأمة فضلاً ، وديناً ، وحسباً[١] .

٥ ـ قال الهروي في الغريبين :

سميت مريم بتولاً لأنها بتلت عن الرجال ، وسميت فاطمة بتولاً لأنها

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٤ .

(٢) حلية الأولياء ٢ / ٣٩ .

(٣) أسد الغابة ٥ / ٥٢٠ .

(٤) أعلام النساء ٤ / ١٢٧ .

بتلت عن النظير[1] .

٦ ـ قال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد :

وأكرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة إكراماً عظيماً ، مما كان الناس يظنونه ، وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم ، حتى خرج بها عن حد حب الآباء للأولاد ، فقال بمحضر الخاص والعام مراراً لا مرة واحدة ، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد : إنها سيدة نساء العالمين ، وانها عديلة مريم بنت عمران ، وانها إذا مرت في الموقف نادى مناد من جهة العرش : يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد ، وهذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة ، وان إنكاحه علياً إياها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالىٰ إياها في السماء ، بشهادة الملائكة . وكم قال لا مرة : (يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها وإنها بضعة مني يريبني ما رابها)[2] .

٧ ـ قال علي بن الصباغ المالكي :

هي فاطمة الزهراء ، بنت من أنزل عليه ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ** ﴾ ثالثة الشمس والقمر ، بنت خير البشر ، الطاهرة الميلاد ، السيدة بإجماع أهل السداد[3] .

٨ ـ قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي :

إنها (عليها السلام) قد خصت بفضل سجايا منصوص عليها بانفرادها ، وفضلت بخصائص مزايا صرح اللفظ النبوي بايرادها ، وميزت بصفات شرف تتنافس الأنفس النفيسة في آحادها ، وألبست شرف صفات غادرت ملابس الشرف دون ابرادها ، وبين أولادها دخلت في عداد من

---

(١) المناقب ٣ / ١١٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٩ / ١٩٣ .

(٣) الفصول المهمة ١٢٨ .

خصهم الله تعالىٰ من القرآن الكريم بإنزال آيات يلزم فرض اعتقادها . . الخ[1] .

٩ ـ قال شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي :

سيدة نساء العالمين في زمانها ، البضعة النبوية ، والجهة المصطفوية ، أم أبيها ، بنت سيد الخلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، القرشية الهاشمية ، أم الحسنين . مولدها قبل المبعث بقليل . . . وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يحبها ، ويكرمها ، ويسر إليها . ومناقبها غزيرة ، وكانت صابرة ، دينة ، خيرة ، قانعة ، شاكرة لله[2] .

١٠ ـ قال أحمد الشرباصي :

فاطمة البتول الزهراء ، بنت رسول الله (صلوات الله عليه) ، وأحب الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأفضل نساء الدنيا ، وسيدة نساء الجنة في الآخرة[3] .

١١ ـ قال الدكتور علي ابراهيم حسن :

وحياة فاطمة هي صفحة فذة من صفحات التاريخ ، نلمس فيها ألوان العظمة ، فهي ليست كبلقيس ، أو كليوبطرة ، استمدت كل منهما عظمتها من عرش كبير ، وثروة طائلة ، وجمال نادر ، وهي ليست كعائشة نالت شهرتها لما اتصفت به من جرأة جعلتها تقود الجيوش ، وتتحدى الرجال ، ولكنا أمام شخصية استطاعت أن تخرج الى العالم وحولها هالة من الحكمة والجلال ، حكمة ليس مرجعها الكتب والفلاسفة والعلماء ، وإنما تجارب الدهر المليء بالتقلبات والمفاجآت ، وجلال ليس مستمداً من ملك أو ثراء ، وإنما من صميم النفس

---

(١) مطالب السؤول / ٢٠ . (٢) سير أعلام النبلاء ٢ / ٨٨ .

(٣) نفحات من سيرة السيدة زينب /١٧ .

وقال : وكما كانت في حياتها عظيمة كانت في موتها عظيمة أيضاً ، فهي أول عربية مسلمة جعل لها نعش صنعته لها أسماء بنت عميس وكانت قد رأت مثله في الحبشة .

وقال أيضاً : وتركت فاطمة (رضي الله عنها) أثراً كبيراً في الاسلام ، ويكفي أنه سميت على اسمها تلك الدولة الفاطمية ، كما أن الجامع الأزهر اشتق اسمه منها أيضاً[1] .

أحب بنات الرسول إليه ، وأشبههن به في خلق وخلق ، آثرها الله بما لم يؤثر به شقيقاتها الثلاث (زينب ورقية وأم كلثوم) فكتب لها أن تكون وحدها الوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة ، والمنبت الطيب لدوحة الأشراف من آل البيت[2] .

١٣ ـ قال سليمان كتاني :

وفاطمة العفيفة كانت ابنة الصفة في النبي ـ الصفة المخصبة بعبقرية الخلق والتوليد ـ لقد كان جسدها النحيل وعاء لروح شفت حتى اندغمت بالمصدر الذي بزغ منه أبوها[3] .

---

(١) نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ٤٦ ـ ٤٨ .
(٢) بطلة كربلاء / ١٣
(٣) فاطمة وتر في غمد / ١٣٧ .

نهاية المطاف

كانت هذه الصفحات موجزاً صغيراً لحياة البضعة الطاهرة ، واشارة إلىٰ ملامح من عظمتها وسيرتها ، ثم هي بعد هذا وذاك جوانب تاريخية مهمة عاشها المسلمون ، وأكثرها تعقيداً وانقساماً ، ولا يزال المسلمون متأثرين بتلك الفترة رغم القرون المتطاولة ، والأجيال المتعاقبة .

وختاماً أبتهل إلى العلي القدير أن يجمع القلوب علىٰ حب أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) ، ويأخذ بأيدي المسلمين ليحذوا حذوهم ، ويسلكوا منهجهم ، ويهتدوا بهديهم ، ويأتموا بهم ، وإنه سميع مجيب .

وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح للدارين إنه ولي التوفيق .

أعلام النساء

(٤)

ام سلمة

الاهداء

يا امير المؤمنين

هذه لمحات من سيرة نصيرتك ـ ام سلمة ـ والذابة عنك ، والداعية اليك ، والتالية لمناقبك ، ارفعها اليك مؤملاً يا سيدي منك القبول .

عبدك

علي محمد علي دخيِّل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

هذه صفحات من حياة السيدة ام سلمة، زوج الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وهي صورة صادقة للايمان الراسخ، والعقيدة الصحيحة، والاستقامة على المبدأ، والسير على هدي الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، والولاء لاهل البيت (عليهم السلام).

كانت هذه المرأة من بين نسائه (صلى الله عليه وآله) المفضلة لديه، والمقدمة عنده، لها من الصدارة والمقام الرفيع ما ليس لواحدة منهن، تثميناً منه (صلى الله عليه وآله) لدينها، واعترافاً بفضلها، ولما لمسه من صلاحها واستقامتها.

كان من أبرز حياة أم المؤمنين هو حبها لأهل البيت (عليهم السلام)، وانقطاعها اليهم، وتفانيها في ولائهم، ونصرتها لهم، في وقت قل فيه الناصر، وكثر فيه الخاذل.

وكانوا عليهم الصلاة والسلام يقابلونها بالمثل، فكانت عندهم في نهاية الرفعة والجلالة والاكبار.

ان هذا الكتاب لا يدعي الاحاطة بحياة امرأة عاشت ثلاثة أرباع القرن في الدعوة الى الله، ونشر دينه، والذب عن أهل البيت (عليهم السلام)، وخرجت من رجات فكرية لم ينج فيها إلا القليل، وسلمت من تيارات سياسية انزلق فيها غيرها، فكانت استقامتها مثلاً أعلى للاستقامة والإمتثال لما أمر الله به ورسوله أُمهات المؤمنين.

وليس غرضي - والله يشهد - أن أرفع من مقام أُم سلمة في هذا الكتاب ، فهي أرفع من أن أرفعها ، وأسمى من أن أجليها للقراء ، ولكني اعتقد أن في الكتابة عنها وعن غيرها من فضليات النساء وسيلة للنهوض بالمرأة المسلمة وأحسن دعوة لها للإستقامة على مبدأ الحق .

إن أملي وطيد أن تجد نساؤنا في هذه السيرة دروساً بناءة للعمل والتطبيق ، وبرنامجاً وضاء للسير على هداه ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾[1] .

(١) آل عمران : ٣١ .

في سطور

اسمها : هند

أبوها : أبو أُمية : حذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي[1] .

امها : عاتكة بنت عامر بن ربيعة الكناني .

زوجها الأول : أبو سلمة ، عبدالله بن عبد الأسد المخزومي .

هاجرت مع زوجها الى الحبشة

هاجرت الى المدينة

اولادها : سلمة ، عمر

بناتها : درة ، زينب .

خطبها عمر وأبو بكر بعد وفاة زوجها فردتهما .

تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شوال سنة ٤ للهجرة .

شهدت وقعة خيبر وقالت : سمعت وقع السيف في أسنان مرحب[2] .

---

(١) كان أبوها أحد أجواد قريش المذكورين ، وكان يعرف بـ (زاد الراكب) فكان إذا ذهب في سفر لا يدع أحداً من رفقته يحمل معه زاداً .

(٢) الاستيعاب ٢/٧٨٠ .

يبلغ مسندها (أي الأحاديث المروية عنها) ٣٧٨ حديثاً[1] .

وفاتها : في سنة ٦٢ للهجرة ، وهي آخر أُمهات المؤمنين موتاً .

دفنت بالبقيع .

عمرها : ٨٤ سنة .

(١) سير أعلام النبلاء ٢/١٤٨ .

في بيت ابي سلمة

قل أن توجد عائلة كعائلة (أبي سلمة) في وئامها ووفائها ، يسودها الحب والحبور ، والمرح والسرور .

فهما ابناء عم قبل ان يكونا زوجين ، فلا يجد احدهما على الآخر فضلاً ـ كما يحصل للبعض ـ فيتكبر على شريكه في الحياة ، ويثأر الآخر لكرامته ، فتسوء العلاقة آنذاك ، ويفسد نظام البيت .

ويبعث الله رسوله (صلى الله عليه وآله) الى الناس كافة ، فتقابله قريش بأشد ما تقدر عليه من الأذى ، حتى قال (صلى الله عليه وآله) : ما أوذي نبي بمثل ما أُوذيت .

ومن بين هذا الجمع الهائل من قريش يسرع (ابو سلمة) ملبياً نداء السماء ، وتستجيب هي الأخرى لذلك ، فتطفو على البيت آنذاك قدسية الاسلام ، فيكون بيت أبي سلمة من أول البيوت إسلاماً .

تستمر قريش في أذاها للنبي (صلى الله عليه وآله) ، ويزداد الضغط على المسلمين ، ويأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بالهجرة الى الحبشة ، فكان أبو سلمة وزوجته في الرعيل الأول من المهاجرين ، تاركين وطنهم ، فارين بدينهم ، ولا هدف لهم من هذه الهجرة الا الخلوة للعبادة ، والحرية في ممارسة الشعائر الإلهية ، وفي الحبشة وتحت ظل مليكها العادل يحصل أبو سلمة وزوجته وبقية المسلمين على هذه الأمنية ، ويسعدوا بأداء الواجبات بأمن وسلام ، وتقر عيونهم بمولود تضعه أم سلمة في دار الهجرة ، وفي بلد الغربة .

وفي الحبشة توافيهم انباء مفرحة ، بأن قريشاً تغير موقفها من الاسلام ، وتركت ما كانت تعمله بالمسلمين من الأذى . . . ويسرع أبو سلمة وزوجته الى مكة ليكونا بالقرب من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، ونصب أمره ونهيه ، ولكنه يفاجأ بالأمر معكوساً ، فقريش قد ازدادت في طغواها ، وتفننت في عتوها وأذاها وتجبرها ، فهي تخرج المستضعفين من المسلمين الى الرمضاء ، وبعد أن تجردهم من ثيابهم ، تلقيهم على الأرض ، وتضع فوقهم قلل الصخر ، وصلب الحجارة ، وقد تغطس البعض في الماء حتى يكاد يختنق .

وكاد أبو سلمة وزوجه أن يقع في هذا الفخ لولا أنه استجار بخاله أبي طالب ، شيخ البطحاء وابن شيخها ، فأجاره وزوجته ، وهبت قريش في وجه أبي طالب تطلب منه النزول عن هذا الجوار ، فهبه دافع عن محمد والتزمه فليترك لهم صاحبهم ويجيبهم أبو طالب : إنه استجار بي ، وأنا إن لم أمنع ابن اختي لم امنع ابن اخي .

وتقف قريش مكتوفة اليد إزاء هذا الطود الشامخ ، فمن يستطيع الوصول لأبي سلمة وقد استجار بأبي طالب ، ومن يدنو منه وقد تعلق بشيخ الأباطح .

وبعد أن اراد الله لرسوله الهجرة ، ليتسنى له بناء دولته الإلهية الكبرى ، وتشييد دعائمهما ، منطلقة من (يثرب) فكان أبو سلمة وزوجه اول المسلمين استجابة لهذه الهجرة يخرج بزوجته وابنه ، وتتصدى قريش لمنعه فيفلت منها وتبقى زوجته وابنها في أيديهم .

قالت ام سلمة : لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة ، رحل بعيراً له ، وحملني ، وحمل معي ابني سلمة ، ثم خرج يقود بعيره ، فلما رآه رجال من بني المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، قاموا اليه ، فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علام تترك ، تسير بها في البلاد ، ونزعوا خطام البعير من يده ، وأخذوني . وغضبت عند ذلك بنو عبد الأسد ، وأهووا الى سلمة ، وقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها اذا نزعتموها من

صاحبنا ، فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي ابو سلمة حتى لحق بالمدينة ، ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني .

قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي حتى أمسي ، سنة أو قريبها ، حتى مر بي رجل من بني عمي ، من بني المغيرة ، فرأى ما بي ، فرحمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون من هذه المسكينة ، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها . فقالوا لي : إلحقي بزوجك ان شئت ، ورد عليّ بنو عبد الأسد عند ذلك ابني ، فرحلت بعيري ، ووضعت ابني في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، وما معي أحد من خلق الله ، فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخا بني عبد الدار ، فقال : أين يا ابنة أبي امية ؟

قلت : أريد زوجي بالمدينة .

قال : هل معك أحد ؟

فقلت : لا والله ، إلا الله ، وابني هذا .

فقال : والله مالك من منزل . فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يقودني ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب كان أكرم منه ، إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم تنحى الى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا أردنا الرواح قام الى بعيري فقدمه، فرحله ، ثم استأخر عني وقال : إركبي ، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ننزل ، فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي الى المدينة ، فلما نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك في هذه القرية ، وكان ابو سلمة نازلاً بها ، فدخلتها على بركة الله تعالى ، ثم انصرف راجعاً الى مكة .

وكانت تقول : ما أعلم اهل بيت اصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت على

صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة . وقيل : إنها أول ظعينة هاجرت الى المدينة والله اعلم[1]

وفي المدينة تستقر أم سلمة ، فهي في ظل زوجها الحبيب ، وتحت رعاية الرسول القائد ، تمارس عبادتها بلا خوف ولا وجل ، فتحسب نفسها أسعد الخلق طرا ، ولكن حبها لزوجها قد ملأ قلبها الكبير ، فأرادت أن تستأثر بهذا الحب حتى بعد هذه الحياة ، فقالت له ، بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ، ثم لم تتزوج بعده ، إلا جمع الله بينهما في الجنة ، وكذا إذا ماتت امرأة وبقي الرجل بعدها ، فتعال أعاهدك ان لا أتزوج بعدك ولا تتزوج بعدي[2] .

وفي الوقت الذي يكبر فيه أبو سلمة هذا الحب من زوجته فهو لا يستطيع الاستجابة لطلبها ، فهو يعد نفسه اليوم للدفاع عن الدين الجديد ، ويعمل لنشر راية الاسلام خفاقة على ربوع العالم ، ومعنى هذا انه أكثر تعرضاً للموت منها ، لذا يجيبها بقوله : أتطيعيني ؟

قالت : ما استأمرتك الا وأنا أريد أن أطيعك .

قال : فإذا مت فتزوجي .

ثم قال : اللهم ارزق ام سلمة بعدي رجلاً خيراً مني ، ولا يخزيها ولا يؤذيها .

قالت : فلما مات قلت : من هذا الذي هو خير لي من أبي سلمة ، فلبثت ما لبثت ثم تزوجني رسول الله (صلى الله عليه وآله)[3] .

وتتحقق أمنية ابي سلمة في الجهاد ، والسير براية الاسلام قدماً ، فها هي قريش تتجند لحرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بدر ، ثم

---

(١) أسد الغابة ٥ / ٥٨٩ .

(٢) و(٣) الاصابة ٤٠٨/٤ .

تتجمع مرة أخرى بأحد ، وطبيعي ان يكون ابو سلمة في طليعة الجيش الاسلامي ، فيصيبه سهم فيجرحه جرحاً بليغاً ، وبقي شهراً يداوي نفسه ، حتى ظن أنه برىء من جرحه فيخرج للجهاد مرة أخرى .

ويبلغ الرسول (صلى الله عليه وآله) أن طليحة وسلمة ابني مخلد يعدان على رأس بني أسد لمهاجمة المدينة ، ويحرضان على ذلك ، ليصيبا من أطراف المسلمين ، ويغنما من نعمهم ، فعقد لابي سلمة على مائة وخمسين ، فيهم أبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وأسيد بن حضير ، وأمرهم بالاستخفاء نهاراً ، والسير ليلاً ، وسلوك الطرق المجهولة ، لكي لا يعرف أمرهم ، فيتأهب لهم العدو ، واتبع ابو سلمة امر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، حتى صبّحهم وهم على غير استعداد ، فخطب رجاله يحضهم على الثبات ، والنصح في الجهاد ، ثم حمل بهم حملة صادقة ، فما هي الا هجمة ايمان حتى كانت الدائرة تقع على المشركين ، ولم يقووا على الثبات ، ثم وجه في طلب الفارين ، ورجع بعد ذلك بالغنيمة والنصر ، يعيد للمسلمين بعض هيبتهم ، فيكم الأفواه ، ويلجم النفوس ، ويدخل في روع المشركين أن الاسلام على عزيمة رجاله جدير أن لا تقف قوة أمامه[1] .

يرجع أبو سلمة ، وترجع إليه آلامه من جراحه يوم أُحد ، التي كانت قد اندملت على وغل ، ويتضاعف الألم ، ويتضاءل الأمل هذه المرة في الشفاء ، وتفشل المراهم والعلاجات ، فتكون نهاية المطاف ، وخاتمة الشهيد العظيم .

وفي لوعة الأسى والحزن ، ومضض المصيبة ، تتذكر أُم سلمة حديثاً من زوجها الراحل عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، فقد جاءها يوماً فقال : لقد سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حديثاً أحب اليّ من كذا وكذا ، لا أدري ما أعدل به ، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(١) أم سلمة لمحمد زكي بيضون /٢٨ .

يقول : لا يصيب أحداً مصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول : اللهن عندك احتسب مصيبتي هذه ، اللهم اخلفني فيها خيراً منها ، الا اعطاه الله عز وجل .

قالت أُم سلمة : فلما أُصبت بأبي سلمة قلت : اللهم عندك أحتسب مصيبتي هذه ، ولم تطب نفسي أن أقول : اللهم اخلفني فيها بخير منها ، ثم قالت : من خير من ابي سلمة ، أليس ، أليس ، ثم قالت ذلك ، فلما انقضت عدتها أرسل اليها أبو بكر يخطبها فأبت ، ثم أرسل اليها عمر يخطبها فأبت ، ثم أرسل اليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخطبها ، فقالت : مرحباً برسول الله (صلى الله عليه وآله)[1] .

(١) صفة الصفوة ٢ / ٢١ .

في بيت الرسول الأعظم
(صلى الله عليه وآله)

إنها في طليعة النساء المسلمات ، ومن فضليات المهاجرات ، سبقت الى الاسلام ، وارتوت بتعاليمه ، وتخلقت باخلاقه ، ، وكان وجودها مع زوجها الأول (ابي سلمة) يضفي عليها مزيداً من العلم والايمان ، فقد عاشت مع رجل كان في الرعيل الأول من المسلمين ، حتى أنه كان يخيل اليها ان ليس في المسلمين خيراً منه ، لما لمسته من ايمانه ، وتقاه ، وسيرته . اكتسبت منه في حياتها الزوجية دروساً قيمة في السيرة والسلوك ، وزداتها اسفارها الى الحبشة والمدينة فهماً وتجربة ، فقد عاشت في مجتمعات جديدة تختلف عما عهدته في المجتمع المكـي تفكيراً او عملاً .

ثم هي قد مرت عليها سن ليست بالقليل ، أفادتها معرفة وحكمة ، وجعلت منها مثالاً في الإدراك والتفكير والخلق ، بهذا كله تدخل أُم سلمة بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأول شيء تهتم به هو أن تتحرى رضاه (صلى الله عليه وآله) ورغباته ، لتحب من يحب ، وتبغض من يبغض ، وجدته يحب خديجة ، ويذكرها بخير فأحبتها ، وقالت فيها مخاطبة له (صلى الله عليه وآله) انك لم تذكر من خديجة امراً الا وقد كانت كذلك ، غير أنها مضت الى ربها فهنأها الله بذلك ، وجمع بيننا وبينها في جنته .

ووجدته يحب علياً (عليه السلام) فأحبته فقد سمعته يشيد به المرة بعد الأخرى ، فوعت ذلك منه وحفظته ، وعملت به وعلمته .

كما وجدته يحب ابنته فاطمة (عليها السلام) فأحبتها ، وأخلصت لها ،

والتزمتها حتى في محنتها .

وتجاوز حرص أُم سلمة في طلب مرضاة الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى اخذت تهتم بما يلذ له من مأكل وغيره فتعده له .

قال عائشة : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قل يوم إلا وهو يطوف على نسائه ، فيدنو من اهله ، فإن كان يومها قعد عندها ، وإلا قام ، فكان إذا دخل بيت ام سلمة يحتبس عندها ، فقلت انا وحفصة (وكانتا جميعا يداً واحدة) ما نرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمكث عندها إلا إنه يخلو معها . قال : واشتد ذلك علينا ، حتى بعثنا من يطلع لنا ما يحبسه عندها ، فإذا هو صار اليها أخرجت له عكة من عسل ، فتحت له فمها ، فيلعق فيها لعقاً ، وكان العسل يعجبه .

فقالتا : ما من شيء أكره اليه من أن يقال له : نجد منك ريح شيء ، فإنه يقول : من عسل أصبته عند أم سلمة فقولي له : أرى نحله جرس عرفطاً[1] .

فلما دخل على عائشة ، فدنا منها ، قالت : إني لأجد منك شيئاً ، ما أصبت ؟

فقال : عسل من بيت ام سلمة .

فقالت : يا رسول الله أرى نحله جرس عرفطا .

ثم خرج من عندنا فدخل على حفصة ، فدنا منها ، فقالت مثل الذي قالت عائشة .

فلما قالتا جميعاً اشتد عليه ، فدخل على ام سلمة بعد ذلك فأخرجت له العسل ، فقال : أخريه عني ، لا حاجة لي فيه .

قالت : فكنت والله أرى أن قد أتينا أمراً عظيماً ، منعنا رسول الله

---

(١) جرس : لحس بلسانه . العرفط : شجرة من العضاة .

(صلى الله عليه وآله) شيئاً كان يشتهيه[1] .

انهت ام سلمة حياتها مع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآلة) على أحسن ما يكون ، ولم يحفظ التاريخ شيئاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشين بكرامتها ، بينما حفظ له عليه السلام في غيرها من أزواجه الكثير .

---

(١) أم سلمة ٣٨ .

سيرتها

في كتاباتي عن الأئمة (عليهم السلام) وغيرهم من الصحابة والتابعين ، اهتم بموضوع السيرة اهتماماً كبيراً ؛ لأني اعتقد ان النشء الجديد هو أسرع استجابة وعملاً بالسيرة من الأقوال ، ولأنها أدل على عظمة شخصية المترجم من كلامه وبيانه ، لأنها منتزعة من صميم واقعه .

وفي هذه الصفحات بعض ما ورد من سيرة أم سلمة (رضوان الله عليها) ، علماً بأن أغلب فصول الكتاب تتعلق بسيرتها حتى كأنه مختص بذلك دون باقي مجالات حياتها الكريمة .

١ - عن خليل بن جعفر قال : سمعت ابا اياس يحدث عن أم الحسين ، انها كانت عند ام سلمة (رضي الله عنها) فأتى مساكين فجعلوا يلحون ، وفيهم نساء ، فقلت : اخرجوا ، أو اخرجن .

فقالت ام سلمة : ما بهذا امرنا ، يا جارية ردي كل واحد أو واحدة ولو بتمرة تضعيها في يدها[1] .

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٧٨٠ .

تمنيها للجهاد

واصحاب النفوس الكبيرة تطمح أعينهم الى الأعلى دائماً ، فهم مضافاً لتأديتهم واجباتهم على أتم صورة وأكمل وجه يتمنون اللحوق بالمستوى الأرفع ليتم لهم المغنم ، ويفوزوا بالصفقة لأن نفوسهم تواقة الى الأعمال الخيرة ، والأهداف النبيلة ، والحصول على المكاسب الأخروية .

ويحدثنا التاريخ عن بعض الصحابة (رضوان الله عليهم) وقد وضع عنهم الجهاد لعجز وشبهه ، ولكن بعد مغادرة الرسول (صلى الله عليه وآله) والجيش المدينة خرجوا لساحة الجهاد ، ونالوا درجة الشهادة[1] وقد يحول حائل لبعض هؤلاء عن الحصول على المأمول ، والفوز بالغاية .

ذكر المفسرون في قوله تعالى : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** ﴾[2] إنها نزلت في ام سلمة ، لأنها تمنت أن يكتب الجهاد على النساء لتحصل على هذه الفضيلة السامية والمرتبة الرفيعة ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على الإيمان الصادق ، والتفاني في سبيل المبدأ والحرص على الإتيان بجميع الأعمال الخيرة ، حتى التي أسقطها الشارع المقدس نعود فنذكر رواية السيوطي في تفسير الآية : قال : اخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد والترمذي ، والحاكم ، وسعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن طريق مجاهد عن أم سلمة انها قالت : (يا

---

(١) مثل عمرو بن الجموح ، وحسيل بن جابر ـ اليمان والد حذيفة بن اليمان ـ وثابت بن وقش .

(٢) النساء : ٣٢ .

رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو ولا نقاتل فنستشهد ، وإنما لنا نصف الميراث) فأنزل الله : ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** ﴾ ، وأنزل : ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ﴾[1] .

---

(١) الدر المنثور ٢/١٤٩ .

في القرآن الكريم

أمر الله سبحانه وتعالى بشكر المحسن ، ومكافأة الجميل ، فقال تعالى : ﴿ هل جزاء الاحسان الا الاحسان ﴾[1] .

ومضافاً لمكفأته سبحانه وتعالى عبيده الجنة إذا أحسنوا واتقوا هناك منح وعطايا منه تعالى يخص بها بعض عباده علماً منه بخلوص نياتهم ، وطيب سرائرهم ، منها تخليدهم في القرآن الكريم ، فقد جاءت آيات وسور في رجال ونساء من المسلمين ، بل حتى في بعض ابناء الأمم الغابرة كأصحاب الكهف ، ومؤمن آل فرعون ، ومؤمن آل ياسين ، وامرأة فرعون وغيرهم .

ومن هؤلاء الذين خصهم سبحانه وتعالى بهذا الاكرام ام سلمة (رضوان الله عليها) ، فقد قرأت الآية السابقة فيها أضف اليها :

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم إني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى** ﴾[2] .

قال الشيخ الطبرسي (*رحمه الله) : روي ان ام سلمة قالت : يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء ؟ فأنزل الله هذه الآية[3] .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن**

---

(١) الرحمن : ٦٠ .

(٢) آل عمران : ١٩٥ .

(٣) مجمع البيان ٥٥٩/١ .

يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ﴾[1] .

نزل في نساء النبي (صلى الله عليه وآله) سخرن من أُم سلمة عن أنس، وذلك أنها ربطت حقويها بسيبة وهي ثوب أبيض ، وسدلت طرفيها فكانت تجره فقالت : عائشة لحفصة : انظري ماذا تجر خلفها كأنه لسان كلب ؛ فهذا كانت سخريتهما ، وقيل : انها عيرتها بالقصر ، وأشارت بيدها انها قصيرة ، عن الحسن[2] .

---

(١) الحجرات : ١١ .

(٢) مجمع البيان ١٣٥/٩ .

حرصها على استماع كلام الرسول
(صلى الله عليه وآله)

من مصادر التشريع الاسلامي سنة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وهي ما صدر عنه (عليه السلام) من قول وفعل ، وقد اهتم المسلمون الأولون في وعي ما يصدر منه صلوات الله وسلامه عليه وحفظه ، حتى كان الأخوان يذهب أحدهما للجهاد أو للتجارة ويترك أخاه ليلازم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ليحفظ ما يسمعه منه (صلى الله عليه وآله) ليؤديه إليه عند حضوره .

وكانت نتيجة هذا التتبع من الصحابة (رضوان الله عليهم) لأحاديث وسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) هي هذه الكتب الكثيرة التي تفتقر اليها سائر الملل والأديان ، فلم يتسن للأمم الأخرى جمع وتدوين ما صدر عن أنبيائهم معشار ما جمعه المسلمون ، وهذه من بعض مميزات المسلمين عن غيرهم .

وأُم سلمة المرأة العظيمة التي جمعت من الفضائل والمكارم ما لم يحصل لغيرها من المسلمات كانت حريصة كل الحرص على حفظ أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) .

قال الأستاذ محمد زكي بيضون : وحسبك من حرص أم سلمة على أن لا يفوتها شيء من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنها تكون في عمل من أعمال البيت فإذا سمعت صوت النبي (صلى الله عليه وآله) تركت جميع ذلك ، وأقبلت على سماع الحديث بشوق الإيمان ، حتى لا يند عن حفظها شيء منه ؛ حدثت انها سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يتحدث ويقول

على المنبر وهي تمتشط (ايها الناس) .

فقالت لماشطتها : لفي رأسي .

فقالت : فديتك انه يقول : ايها الناس .

قالت : ويحك اولسنا من الناس ؟ !

فلفت رأسها ، وقامت في حجرتها فسمعته يقول : أيها الناس بينما أنا على الحوض جيء بكم زمراً فتفرقت بكم الطرق فناديتكم : ألا هلموا الى الطريق ، فناداني مناد من بعدي فقال : انهم قد بدلوا بعدك فقلت : ألا سحقاً سحقاً[١] .

لهذا نجد اسم ام سلمة يلمع دائماً في معاجم الحديث .

قال ابن حجر : روت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وعن أبي سلمة بن عبد الأسد، وفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعنها : ابناها عمر وزينب إبنا أبي سلمة بن عبد الاسد ، ومكاتبها نبهان ، وأخوها عامر بن أبي امية ، وابن اخيها مصعب بن عبدالله بن أبي أمية ، ومواليها : عبد الله بن رافع ، ونافع ، وسفينة ، وابو كثير ، وابن سفينة ، وخيرة ام الحسن البصري ، وسليمان بن يسار ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وهند بنت الحارث الفراسية ، وصفية بنت شيبة ، وابو عثمان النهدي ، وحميد وأبو اسامة ابنا عبد الرحمن بن عوف ، وسعيد بن المسيب ، ابو وائل ، وصفية بنت محصن ، والشعبي ، وعبد الرحمن بن ابي بكر ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وابناه عكرمة وابو بكر ، وعثمان بن عبدالله بن موهب ، وعروة بن الزبير ، وكريب مولى ابن عباس ، وقبيصة بن ذويب ، ونافع مولى ابن عمر ، ويعلى بن مملك ، وآخرون[٢] .

---

(١) أم سلمة : ٥٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤٥٦/١٢ .

وقال الذهبي : يبلغ مسندها ٣٧٨ حديثاً[1] وهذه فضيلة من فضائلها الكثيرة ، ومنقبة من مناقبها العظيمة ، التي امتازت بها من بين سائر زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) .

(١) سير أعلام النبلاء ١٤٨/٢ .

مكانتها من العلم

لأم سلمة مكانة رفيعة في العلم ، ورواية الحديث ، وهي بلا شك أفضل ازواج النبي (صلى الله عليه وآله) بعد خديجة ، واتقاهن ، واعلمهن بالكتاب والسنة ، حتى أن عائشة نفسها قالت لها : أنت أول مهاجرة . . . وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك[1] .

إن انقطاع ام سلمة لأهل البيت (عليهم السلام) ، وتعلقها بالامام امير المؤمنين (عليه السلام) ، وحبها له ، ودفاعها عنه ، خفض بها عند قوم من اهل الحديث والتاريخ ، وقدم غيرها عليها .

وليست وحدها في هذه المأساة فهناك الكثير من كبار الصحابة والتابعين وغيرهم من أجلاء الرواة والمحدثين أنزلهم القوم دون منزلتهم ، ووضعوهم دون موضعهم ، وليس هناك من سبب غير حبهم لأمير المؤمنين (عليه السلام) وآله الميامين .

ولا ضير على ام سلمة من هذا ، ويكفي في علمها واجتهادها ، رجوع الصحابي الكبير جابر بن عبدالله الأنصاري اليها ، والعمل بفتواها ، مع جلالته من بين الصحابة .

روى ابن أبي الحديد عن جابر قال : لما خفت بسراً وتواريت عنه ، قال لقومي : لا أمان لكم عندي حتى يحضر جابر ، فأتوني وقالوا : ننشدك

---

(١) أنظر فصل كلمات العلماء والعظماء من هذا الكتاب .

الله لما انطلقت معنا فبايعت ، فحقنت دمك ودماء قومك ، فإنك ان لم تفعل قتلت مقاتلينا ، وسبيت ذرارينا ، فاستنظرتهم الليل ، فلما امسيت دخلت على أم سلمة فاخبرتها الخبر ، فقالت : يا بني انطلق فبايع ، أحقن دمك ودماء قومك ، فاني امرت ابن أخي ان يذهب فيبايع ، وإني لأعلم انها بيعة ضلالة[1] .

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ١٠ .

نهيها لعمر بن الخطاب

لأم سلمة نهج خاص في حياتها مع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، فهي قبل أن تدخل بيته متشبعة بتعاليم الاسلام ، وبالحب لله ورسوله ، فهي قرينة رجل في طليعة المسلمين السابقين ، هاجرت معه الى الحبشة ، وتحملت المشاق في سبيل اعلاء كلمة الله ، وقد زادها الاقتران بالرسول (صلى الله عليه وآله) إيماناً وبصيرة ، فهي حريصة على حب من يحب ، وبغض من يبغض ، وهي حريصة على استماع حديثه الشريف ؛ فهي منصهرة به (صلى الله عليه وآله) انصهاراً كلياً ، وهي عارفة بمكانتها ومكانة صويحباتها ، وأنهن زوجات اعظم رجل خلقه الله سبحانه وتعالى .

لهذا وغيره ساءها أن يتدخل بعض الصحابة في شؤونهن المتعلقة بزوجهن العظيم .

فقد وقعت بينها وبين عمر بن الخطاب مشادة ، وذلك ان عمر دخل على ام سلمة فقال : يا أم سلمة وتكلمن رسول الله وتراجعنه في شيء ؟ فقالت ام سلمة : واعجباه ، ومالك والدخول في أمر رسول الله ونسائه ، والله إنا لنكلمه فإن حمل ذلك كان أولى به ، وإن نهانا كان أطوع عندنا منك .

قال عمر : فندمت على كلامي لنساء النبي بما قلت[1] .

وذكر الدكتور علي ابراهيم حسن والدكتورة بنت الشاطىء : أنها قالت له : عجباً لك يا ابن الخطاب قد دخلت في كل شيء حتى تبغي ان تدخل

---

(١) الطبقات الكبرى ٨ / ١٣٧ .

بين رسول الله وأزواجه[1] .

ولا أدري سبب انكارها على عمر هذا التدخل أهو ما تشعر به من عزة ورفعة ، فهي قرينة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وأم المؤمنين ، فهي اسمى من أن يتدخل بينها وبين زوجها الكريم شخص مهما كان ؟

أو أرادات أن تنبه عمر بأن لكل شخص حــدّاً يجب أن لا يتجاوزه ؟

أو أرادت ان تعلم نساء النبي (صلى الله عليه وآله) ان لا يسمحن لأحد أن يتحدث اليهن بهذا وشبهه ، فهن أرفع مقاماً ، وأعلى منزلة من ذلك ، وأن يبقين بالمستوى الرفيع الذي جعلهن فيه القرآن الكريم : **﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ﴾**[2] .

أو أنها ارادت لزوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يعشن بعيداً عن هؤلاء ، وتقطع صلتهن بالرجال حذاراً من تزايد هذه الصلات فيستغلن للاقتحام في أغراض سياسية وغيرها كما حدث بالفعل ؟ وكيف كان فقد كان موقفها مشرفاً ذكره لها التاريخ بإكبار .

---

(١) نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ٣٨ موسوعة آل النبي ٣١٥ .
(٢) الأحزاب : ٣١ .

دفاعها عن الزهراء (عليها السلام)

شهد المسلمون بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الانقلاب الكبير الذي نبه عليه القرآن الكريم قبل وقوعه: **﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾**[١].

شهد المسلمون ذلك الانقلاب الذي هو اساس فرقتهم، ونقطة ضعفهم، وما أعظم كلمة (ليوبولد فايس) حيث يقول: ان العنصر الذي خلق قوة العالم الاسلامي من قبل هو المسؤول الآن عن ضعف المسلمين، فإن المجتمع الاسلامي بني منذ أوله على أسس دينية، وضعف هذا الاساس قاد بالضرورة الى ضعف البناء الثقافي فيه[٢].

فالصحابة الأولون من مهاجرين وأنصار هم المسؤولون عما يعانيه المسلمون اليوم من خلاف وتفرقة وتفكك.

لقد فاجأ المسلمين خطب رهيب انساهم مصيبتهم في نبيهم العظيم، فقد شاهدوا نفراً من الصحابة على شكل مظاهرة عنيفة يأخذون من وجدوه في طريقهم لبيعة ابي بكر، ولا يسمحون له بالتردد، وما هي إلا ساعة ومثلها حتى أصبح ابو بكر اميراً تصدر منه الأوامر.

لقد تم الأمر لابي بكر على معارضة من بعض كبار الصحابة لا يستهان

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الاسلام على مفترق الطرق ١٢.

بمقامهم قد انضموا الى الامام (عليه السلام) ، محتمين ببيته من الحاكمين الجدد .

واعتقد الحكام أن ما أحرزوه من نصر غير تام وناقص لعدم بيعة اولئك النفر لأهميتهم ، وما لهم من رصيد في قلوب المسلمين

وفكروا وفكروا فلم يجدوا بداً من مداهمة هؤلاء النفر وأخذهم بالقوة ليبايعوا قهراً .

وترجح لهم هذا المعنى مع ما فيه من مخاطر ، فهم يقتحون بيت فاطمة (عليها السلام) ، بضعة النبي (صلى الله عليه وآله) ، والتي يرضى الله لرضاها ، ويغضب لغضبها ، لكنهم لم يجدوا طريقاً سواه .

روى البلاذري : إن أبا بكر أرسل الى علي يريد البيعة فلم يبايع ، فجاء عمر ومعه فتيلة ، فتلقته فاطمة على الباب ، فقالت فاطمة يا ابن الخطاب أتراك محرقاً عليّ بابي ؟ !

قال : نعم ، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك[١] .

وفعلاً أخرجوا الامام (عليه السلام) تحف به اصحابه .

شاهدت الصديقة الزهراء (عليها السلام) هذا المشهد المؤلم وما تلاه من تعسفات الحاكمين ، فخرجت وأنكرت عليهم بخطبتها العصماء في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله) ، منبهة المسلمين على جناية القائمين بالأمر وتعديهم .

لقد هزت خطبتها المسلمين ، وكادت ان تزلزل بأُولي الأمر لولا تدارك أبي بكر للموقف ، ومراوغته في الرد عليها .

عادت الصديقة صلوات الله عليها إلى منزلها منكسرة آيسة من النصرة ، وبدا لأبي بكر أن يغير الموقف ، فهو كما عهد فيه يحسن استعمال اللين كما

---

(١) أنساب الأشراف ١/٥٨٦ .

يحسن استعمال الشدة ، فقد احتمل ان تأتي فاطمة (عليها السلام) مرة اخرى وتخطب ، وربما لا يحالفه الحظ في الهيمنة على الموقف ، واستعمال المغالطة كما حالفه في هذه المرة ، فرأى أن يوعد ويتهدد .

تكلم ابو بكر بجرأة ، وتطاول على فاطمة (عليها السلام) كما تطاول على مقام الامام (عليه السلام) ، مستعملاً الكناية دون التصريح ، ولم يجرأ أحد على الانكار عليه لشدة اللهجة ، وخشية الصولة ، ولكن ام سلمة (رضي الله عنها) كانت وحدها التي انكرت عليه ، قالت له : ألمثل فاطمة يقال هذا ؟ ! وهي والله الحوراء بين الأنس ، والأنس للنفس ، ربّيت في حجور الأنبياء ، وتناولتها ايدي الملائكة ، ونمت في المغارس الطاهرات ، ونشأت خير منشأ ، وربيت خير مربى ، أتزعمون ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرم عليها ميراثه ولم يعلمها ؟ ! وقد قال الله : (وأنذر عشيرتك الأقربين) فأنذرها وجاءت تطلبه وهي خيرة النسوان ، وام سادة الشبان ، وعديلة ابنة عمران ، وحليلة ليث الأقران ؛ تمت بأبيها رسالات ربه ، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر ، فيوسدها بيمينه ويدثرها شماله ، رويداً فرسول الله (صلى الله عليه وآله) بمرأى لأعينكم ، وعلى الله تردون ، فواها لكم وسوف تعلمون[1] .

وخشي أبو بكر ان يجيبها فيفتح باباً هو في غنى عن فتحه ، لكنه حرمها عطاءها ذلك العام عقوبة لها على المعارضة .

---

(١) دلائل الامامة /٣٩ .

مع عثمان

شهد المسلمون في عهد عثمان وضعاً جديداً لم يشهدوه من قبل ، فحكام البلاد الاسلامية بنو امية ، وقد اتخذوا دين الله دخلاً ، وعباده خولا ، وماله دولاً ، فكانت سيرته ـ لا سيما في الأموال ـ مدعاة لإثارة الرأي العام ، والإنكار عليه .

لقد أنكر المسلمون اعمال الخليفة ، لا سيما كبار الصحابة ، وحاولوا ايقافه عند حده ، والحيلولة بينه وبين عاطفته ، وذهبت كل هذه المساعي سدى ، وبقي حتى آخر مرحلة من حياته تحت سيطرة ابن عمه وصهره مروان ابن الحكم ـ الوزغ ابن الوزغ .

وفي الوقت الذي يحدثنا فيه التاريخ عن المعارضة التي وقفت امام الخليفة فقد كانت تكمن خلفها دوافع واهداف لبعض اعلام المعارضين ، فعائشة كانت من أشد الناس عليه ، فقد كانت تخرج قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله) للناس وتقول : هذا قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يبل وعثمان قد أبلى سنته ، ثم تقول ؛ اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً . . . أشهد أن عثمان جيفة على الصراط[1] الى مواقف لها كثيرة ، لكنها كانت مقتنعة بأن الأمر من بعده لابن عمها طلحة بن عبيد الله التيمي ، ولما علمت ببيعة المسلمين للامام أمير المؤمنين (عليه السلام) قالت : قتل عثمان مظلوماً ، والله لاطلبن بدمه فقوموا معي .

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٢/٢٠ .

فقال لها عبيد بن أم كلاب : لم تقولين هذا ؟ فوالله لقد كنت تحرضين عليه وتقولين : اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر .

فقالت : انهم استتابوه ثم قتلوه .

فقال عبيد بن أم كلاب :

ومنك البكاء ومنك العويل	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت امرت بقتل الامام	وقلت لنا : انه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله	وقاتله عندنا من امر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرء	يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب اوزارها	ويا من وفي مثل من قد عثر[1]

ولست الآن بصدد موقف عائشة من الخليفة ، فكل من سبر التاريخ عرف ذلك الموقف المتناقض ، ولكني أريد في هذه الصفحات استعراضاً قصيراً لموقف ام سلمة .

وطبيعي ان تكون ام سلمة من الناقمين على عثمان شأنها شأن كبار المهاجرين والأنصار ، وجمهور المسلمين ولكنا نراها وهي ناقمة تجتمع بالخليفة محاولة توجيهه وإرجاعه للطريق المستقيم ، فتقول له وهي تعظه ، يا بني مالي أرى رعيتك عنك نافرين ، وعن جناحك ناقدين ، لا تعف طريقاً كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحبها ، ولا تقتدح بزند كان (عليه السلام) اكباه الخ ويجيبها عثمان : أما بعد فقد قلت فوعيت ، وأوصيت فقبلت . . . الخ[2] وأنت رعاك الله إذا تأملت كلمات هذه المرأة العظيمة تجدها قد جمعت الوعظ المتزن ، والإرشاد المركز ، والتوجيه الهادف ، ولم يحدثنا التاريخ عن موقف لها مع عثمان استعملت فيه التهريج والتأليب عليه .

---

(١) تذكرة الخواص /٧١ .

(٢) اعلام النساء ٥/٢٢٤ .

ومن درس حياة هذه المرأة وجدها في كل الأدوار التي مرت بها تسعمل الحكمة ، وتلوذ بالعقل ، لم يستخفها حب ولم يهيجها عداء ، حتى انها بعد مقتل عثمان وطلب عائشة بدمه ، ونقمة أم سلمة عليها في ذلك ، وكلامها معها ، ووعظها لها ، مضافاً لذلك حبها الصادق للامام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، مع هذا كله لم تخرج مع الامام (عليه السلام) مراغمة لعائشة ، بل تكتفي بارسال ولدها كي يكون جندياً في جيشه صلوات الله وسلامه عليه ، معبّرة عن نقمتها واستيائها من تصرفات عائشة .

مع عائشة

من يتأمل التاريخ يجد لأم المؤمنين عائشة الشيء الكثير من العبقرية ، والجرأة على تغيير الرأي ، وقوة التأثير على الجماهير ؛ فالادوار السياسية المتناقضة التي خاضتها اكبر شاهد على ما اقول ، فقد كانت اشد الناس على عثمان ، وأكثرهم طعناً عليه ، حتى شبهته برجل يهودي مهين ، وفي ساعة ومثلها يتغير الموقف تماماً ويصبح عثمان مظلوماً تريد الطلب بدمه .

وكيف ما كان فهي اليوم تعمل لتهيئة جيش تقاتل به الامام (عليه السلام) ، تعقد لذلك الاجتماعات والاتصالات في مكة مع جميع الناس ، متحدثة عن مظلومية عثمان .

روى الشيخ المفيد (رحمه الله) عن أبي كبسة ويزيد بن رومان قالا : لما اجمعت عائشة على الخروج الى البصرة أتت ام سلمة رضي الله عنها وكانت بمكة فقالت : يا بنت ابي امية كنت كبيرة أمهات المؤمنين ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقمؤ[1] في بيتك ، وكان يقسم لنا في بيتك ، وكان ينزل الوحي في بيتك .

قالت لها: يا بنت أبي بكر لقد زرتني وما كنت زوارة ، ولأمر ما تقولين هذه المقالة .

قالت : إن أخي وابن اخي اخبراني : ان الرجل قتل مظلوماً ، وأن بالبصرة مائة ألف سيف يطاعون ، فهل لك أن أخرج أنا وأنت لعل الله أن

---

(١) يقمؤ / يأكل ويشرب .

يصلح بين فئتين متشاجرتين .

فقالت : يا بنت أبي بكر أبدم عثمان تطلبين ؟ ! فلقد كنت أشد الناس عليه وإن كنت لتدعينه بالتبري ، أم أمر ابن أبي طالب تنقضين فقد تابعه المهاجرون والأنصار ، انك سدة بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين أمته ، وحجابه مضروبة على حرمه ، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبذخيه[1] وسكني عقيراك فلا تضحي بها[2] الله من وراء هذه الأمة ، قد علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكانك ، ولو أراد ان يعهد اليك فعل ، قد نهاك رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الفراطة في البلاد[3] ان عمود الاسلام لا ترأبه[4] النساء ان انثلم ، ولا يشعب بهن إن انصدع ، حماديات[5] النساء غض[6] الأطراف ، وقصر الوهادة[7] وما كنت قائلة لو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عرض لك ببعض الفلوات وأنت ناصة قلوصاً[8] من منهل[9] إلى آخر ، ان بعين الله مهواك ، وعلى رسول الله (صلى الله علية وآله) تردين قد وجهت سدافته[10] وتركت عهيداه ، اقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي : ادخلي الفردوس لاستحييت ان ألقى محمداً (صلى الله عليه وآله) هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ ، اجعلي حصنك بيتك ، وقاعة الستر

---

(١) البذخ / التكبر والفخر والعلو .

(٢) سكني عقيراك / مقامك ، وبذلك سمي العقار لأنه أصل ثابت . تضحي بها : لا تبرزي للشمس .

(٣) الفراطة في البلاد / السعي والذهاب .

(٤) لا ترأبه / لا تصلحه اذا انشق وانصدع .

(٥) حماديات النساء / ما يمدح منهن .

(٦) لا يبسطن أطرافهن في الكلام .

(٧) الوهادة / جمع وهاد الموضع المنخفض ، ومحتمل تصحيف وهازة وهي الخطوة .

(٨) القلوص / الشابة من النوق .

(٩) المنهل / الذي يشرب فيه الماء .

(١٠) سدافته / السدافة / الحجاب والستر .

قبرك ، حتى تلقيه وأنت علي ذلك أطوع ثم قالت : لو ذكرتك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) خمساً في علي (صلوات الله عليه) لنهشتِ نهش الحية الرقشاء[1] المطرقة ذات الحبب[2] اتذكرين اذ كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً ، فاقرع بينهن فخرج سهمي وسهمك ، فبينا نحن معه وهو هابط من قديد[3] ومعه علي (عليه السلام) ويحدثه فذهبت لتهجمي عليه ، فقلت لك : رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع ابن عمه ، ولعل له اليه حاجة ، فعصيتني ، ورجعت باكية ، فسألتك فقلت : بأنك هجمت عليهما ، فقلت له : يا علي انما لي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم من تسعة ايام وقد شغلته عني ؛ فأخبرتني انه قال لك : أتبغضيه ؟ فما يبغضه احد من اهلي ولا من أمتي إلا خرج من الايمان ؛ أتذكرين هذا يا عائشة ؟ قالت : نعم .

ويوم أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) سفراً وأنا أجش له جشيشاً[4] فقال : ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأحدب ، تنبحها كلاب الحوأب[5] فرفعت يدي من الجشيش وقلت : أعوذ بالله أن أكون .

فقال : والله لا بد لاحدكما ان يكونه ، إتقي الله يا حميراء أن تكونيه ؛ أتذكرين هذا يا عائشة ؟

قالت : نعم .

ويوم تبذلنا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فلبست ثيابي ولبست ثيابك ، فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجلس الى جنبك فقال :

---

(١) الحية الرقشاء / الأفعى التي في ظهرها خطوط .

(٢) الحبب / تنضد الأسنان .

(٣) قديد / موضع قرب مكة .

(٤) الجشيش / السويق وحنطة تطحن فتجعل في قدر ويلقى فيها لحم او تمر فتطبخ .

(٥) الحوأب / موضع في طريق البصرة .

أتظنين يا حميرا أني لا اعرفك ؟ أما ان لأمتي منك يوماً مراً او يوماً حمرا[1] أتذكرين هذا يا عائشة ؟

قالت : نعم .

ويوم كنت أنا وأنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجاءك أبوك وصاحبه يستأذن ، فدخلت الخدر ، فقالا : يا رسول الله إنا لا ندري قدر مقامك فينا فلو جعلت لنا انساناً نأتيه بعدك .

قال : أما أني أعرف مكانه ، وأعلم موضعه ، ولو أخبرتكم به لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو اسرائيل عن عيسى بن مريم ؛ فلما خرجا خرجت اليه أنا وأنت وكنت حزينة عليه ، فقلت له : من كنت جاعلاً لهم ؟

فقال : خاصف النعل ، وكان علي بن ابي طالب (صلوات الله عليه) يصلح نعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا تخرقت ، ويغسل ثوبه اذا اتسخ .

فقلت : ما أرى الا عليا .

فقال : هو ذاك .

أتذكرين هذا يا عائشة .

قالت : ويوم جمعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بيت ميمونة فقال : يا نسائي اتقين الله ولا يسفر بكن أحد . أتذكرين هذا يا عائشة ؟

قالت : نعم ، ما أقبلني لوعظك ، واسمعني لقولك ، فإن أخرج ففي غير حرج ، وإن أقعد ففي غير بأس[2] .

---

(١) حمرا / أي يوماً صعباً شديداً ، وعبر عن الشدة بالحمرة .

(٢) الاختصاص / ١١٥ .

إنقطع امل عائشة في خديعة ام سلمة ، وخانتها عبقريتها في هذه المرة ، ويظهر أن عائشة قاطعت ام سلمة بعد هذا الاجتماع ، ولم تعد إليها ، بعد أن دمغتها بالحجج الكثيرة ، وذكرتها ما قد تناسته من فضائل الامام (عليه السلام) ومناقبه ، ولكن ام سلمة بدأتها في هذه المرة ، فقد روى الشيخ المفيد ، وبلغ ام سلمة اجتماع القوم ، وما خاضوا فيه ، فبكت حتى اخضل خمارها ، ثم أدنت ثيابها فلبستها ، ومشت الى عائشة لتعظها وتصدها عن رأيها في مظاهرة امير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة ، وتقعدها عن الخروج مع القوم ، فلما صارت اليها قالت : إنك عدة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين أمته ، وحجابك مضروب على حرمته ، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبدينه ، وأملك خفرك فلا تضحيها الله الله من وراء هذه الأمة قد علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكانك لو اراد أن يعهد إليك لفعل ، بل نهاك عن الفرط في البلاد ، وإن عمود الدين لا يقام بالنساء إن انثلم ، ولا يشعب بهن إن انصدع ، فصدع النساء غض الأطراف ، وحف الأعطاف ، وقصر الوهادة ، وضم الذيول ، وما كنت قائلة لو ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عارضك ببعض الفلاة ناصة قلوصاً ، من منهل إلى آخر ، هتكت صداقته ، وتركت عهدته ، ان يغير الله بك لهواك على رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

أتدرين والله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي أدخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، هاتكة حجاباً قد ستره عليّ .

إجعلي حصنك بيتك ، وقاعة البيت قبرك ، حتى تلقينه وأنت على ذلك أطوع ما تكوني له ما لزمتيه ، وانظري نبوع الدين ما حلت عنه .

فقالت لها: ما أعرفني بوعظك ، وأقبلني لنصحك ولنعم المسير مسير فزعت اليه ، وأنا بين سائرة ومتأخرة ، فإن أقعد فمن غير جزع ، وإن أسير

فإلى ما لابد من الازدياد منه[1] .

وبعد أن تيأس من اصلاحها ، وإرجاعها الى الطريق السوي ، تقوم بعمل آخر تعلن سخطها على عائشة .

قال الشيخ المفيد : فلما رأت أم سلمة أن عائشة لا تمتنع عن الخروج عادت الى مكانها ، وبعثت الى رهط من المهاجرين والأنصار قالت لهم : لقد قتل عثمان بحضرتكم ، وكان هذان الرجلان ـ اعني طلحة والزبير ـ يشيعان عليه كما رأيتم ، فلما قضى أمره بايعا عليا ، وقد خرجا الآن عليه ، زعما أنهما يطلبان بدم عثمان ، ويريدان أن يخرجا حبيسة رسول الله (صلى الله عليه وآله) معهم ، وقد عهد الى جميع نسائه عهداً واحداً : أن يقرن في بيوتهن ، فإن كان مع عائشة عهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) سوى ذلك تظهره ، وتخرجه الينا نعرفه ، فاتقوا الله عباد الله ، فإنا نأمركم بتقوى الله ، والاعتصام بحبله ، والله لنا ولكم .

فشق كثيراً على طلحة والزبير عند سماع هذا القول من أم سلمة .

وأنفذت أم سلمة الى عائشة : وقد وعظتك فلم تتعظي ، وقد كنت اعرف رأيك في عثمان ، وانه لو طلب منك شربة ماء لمنعتيه ، ثم أنت اليوم تقولين : انه قتل مظلوماً ، وتريدين أن تثيري لقتال أولى الناس بهذا الأمر قديماً وحديثاً ، فاتق الله حق تقاته ، ولا تتعرضي لسخطه .

فأرسلت اليها عائشة : أما ما كنت تعرفينه من رأيي في عثمان فقد كان ، ولا أجد مخرجاً منه إلا الطلب بدمه ، أما علي فإني آمره برد هذا الأمر شورى بين الناس ، فإن فعل والا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاض[2] .

وهذا الجواب هو غاية في الوقاحة ، واللامبالاة وعدم الاكتراث للواقع ،

---

(١) الجمل / ١٢٧ .

(٢) الجمل / ١٢٨ .

والاعراض عن الحق ، والجرأة على مقام الامام (عليه السلام) ، متناسية احاديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فيه (علي مع الحق والحق مع علي) و(حربك حربي وسلمك سلمي) (أنت مع الحق والحق معك) الى عشرات الأحاديث .

نعوذ بالله من الحب والبغض لغير ما أمر الله به ، فانهما يعميان المرء عن طريق الصواب ، ويوردانه سبل الضلال .

وتستعمل ام سلمة آخر علاج ، بعد أن فشل معها النصح والتذكير ، فترسل اليها هذه المرة تهددها بالله تعالى اولاً ، وبسيف ابن ابي طالب الرهيب ثانياً ، ذاك الذي لم تنس عائشة ولا غيرها من الناس رهبته .

أرسلت اليها : أما أنا فغير واعظة لك من بعد ، ولا مكلمة لك جهدي وطاقتي ، والله إني لخائفة عليك البوار ثم النار ، والله ليخيبن ظنك ولينصرن الله ابن أبي طالب على من بغى ، وستعرفين عاقبة ما أقول والسلام[1] .

ثم تكتب إلى الامام (عليه السلام) : أما بعد فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة ، يريدون ان يخرجوا بعائشة الى البصرة ومعهم عبدالله بن عامر بن كريز ، ويذكرون ان عثمان قتل مظلوماً ، وأنهم يطلبون بدمه ، والله كافيهم بحوله وقوته . ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج ، وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك ، والنصرة لك ، ولكني باعثة نحوك إبني ، عدل نفسي ، عمر بن أبي سلمة ، فاستوصِ به يا امير المؤمنين خيراً[2] .

---

(١) الجمل / ١٢٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٦/٢١٩ .

مع الامام امير المؤمنين
(عليه السلام)

مر علينا في الفصل السابق (مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله) حرص أُم سلمة على مرضاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، واتباعها لتعاليمه ، وترسمها لخطاه ، واهتمامها بحديثه ، والعمل بأوامره ، فلا غرو بعد هذا ان يكون انقطاعها من بعده لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، ومشايعتها له ، بعد أن سمعته يشيد به المرة بعد الأخرى في كل ناد ومحفل ، ومنتدى ومجمع ، فمرة يعلن انه مع الحق والحق معه ، يدور معه اينما دار . وأُخرى يجعله منه بمنزلة هارون من موسى ، وثالثة مع القرآن ، وهكذا الى مئات الأحاديث التي كاد يعلنها (صلوات الله وسلامه عليه) للأُمة مبينا فيها فضل الامام (عليه السلام) .

وانحرف الناس بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عن الامام (عليه السلام) إلا نفر قليل ، ومن هذا القليل ام سلمة ، وبقيت على ولائها حتى النفس الأخير ، غير مبالية بما أصابها من جراء ذلك من تعسف وحرمان من العطاء .

وكان لها مقام ملحوظ في نصرته (عليه السلام) ، والدفاع عنه وقد مر عليك في الفصل السابق (مع عائشة) بعض ذلك ، فقد عملت المستحيل لصدها عن سفرها ، وحملها على القعود في بيتها ، فهي تذكرها بأحاديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في فضل علي (عليه السلام) ، وحوادث كانت قد نستها ،وعندما أيست منها اجتمعت بالمهاجرين والأنصار ، معلنة سخطها عليها ، وأخيراً كتبت الى الإمام (عليه السلام) بالخبر ، ليأخذ

حذره ، وأرسلت ابنها جندياً في جيشه ، معلنة للملأ الاسلامي نقمتها على جيش الجمل وربته .

ثم تأتي المدينة لتكون قريبة منه (عليه السلام) تساعده في حدود إمكانياتها على الفتنة ، وتهيىء المهاجرين والأنصار لنصرته ، والذب عنه وتقول للامام (عليه السلام) وهي تودعه : سر في حفظ الله وفي كنفه ، فوالله إنك لعلي الحق والحق معك ، ولولا اني أكره أن أعصي الله ورسوله ، فإنه أمرنا (صلى الله عليه وآله) ان نقر في بيوتنا لسرت معك ، ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي ، وأعز عليّ من نفسي ، ابني عمر[1] .

وبعد مقتل الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وصلح الامام الحسن (عليه السلام) ، واتساق الدنيا لمعاوية ، يبدأ معاوية منهاجه الاصلاحي للبلاد ، فلا يرى اهم وأولى من سب الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) ! ! حتى أنه عندما عيّن المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة يوصيه قائلاً : قد أردت ايصاءك بأشياء كثيرة ، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة واحدة : لا تترك شتم علي وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب لاصحاب علي والاقصاء لهم ، والإطراء لشيعة عثمان والادناء لهم[2] .

استمر معاوية على هذا النهج حتى هرم عليه الكبير ، وشاب الصغير ، وباع ناس دينهم له بالدنيا ، وتكتم آخرون في ولائهم للامام (عليه السلام) حرصاً على دينهم ، وخوفاً على دنياهم ، ولكن ام سلمة بقيت مجاهرة بولائها الى أبعد حد .

قال ابو عبدالله الجدلي : حججت وأنا غلام ، فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم ، فدخلوا على أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/١١٩ .
(٢) النصائح الكافية /٩٤ .

وآله) ، فسمعتها تقول : يا شبيب بن ربعي ، فأجابها رجل جلف جاف : لبيك يا أمتاه .

قالت : يسب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ناديكم ؟ !

قال : وانى ذلك ؟

قالت : فعلي بن أبي طالب ؟

قال : إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا .

قالت : فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : من سب علياً فقد سبّني ، ومن سبني فقد سب الله تعالى[1] .

وعنه أيضاً قال : دخلت على أم سلمة فقالت لي : أيسب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيكم ؟

قلت : سبحان الله ، أو معاذ الله .

قالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : من سب عليا فقد سبني[2] .

وعنه ايضاً قال : دخلت على أم سلمة فقالت :

يا ابا عبدالله أيسب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيكم ؟

قلت : معاذ الله .

قالت : أليسوا يسبون عليا ومن أحبه ؟

قلت : بلى[3] .

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٢١/٣ .

(٢) خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) للنسائي ٩٩ المستدرك على الصحيحين ١٢١/٣ .

(٣) أنساب الأشراف ١٨٢/٢ .

وليس فوق هذا ولاء ولا جهاد ، فهي تظهر للملأ الاسلامي معاوية وهو في أبشع صورة ، وأسوأ عمل .

ولم تكتف بهذا الموقف الجريء بل كتبت الى معاوية نفسه : انكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، وذلك انكم تلعنون علي بن ابي طالب ومن أحبه ، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله. فلم يلتفت الى كلامها[1] .

---

(١) أعلام النساء لعمر كحالة ٢٢٦/٥ .

رواياتها في فضل الامام (عليه السلام)

وعى الصحابة كلهم أحاديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في فضائل الامام امير المؤمنين (عليه السلام)، والآيات النازلة فيه، وأقول: كلهم ولا استثني منهم احداً، لأنه (صلى الله عليه وآله) كان يدأب بذكره والاشادة به في كل مناسبة، وفي كل اجتماع، وربما كان يكرر الحديث الواحد مراراً حتى قيل: ان طرق حديث الثقلين قد بلغت مائتين وخمسين طريقاً[1] ومرت ظروف بعد الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) كتم فيها الصحابة والتابعون والعلماء هذه الفضائل ابقاء على أنفسهم من شدة تعسف بني أمية وعمالهم، حتى قال محمد بن ادريس الشافعي - إمام المذهب - ما أقول في رجل أسرَّ أولياؤه مناقبه خوفاً، وكتمها اعداؤه حسداً، ومع ذلك شاع منها ما ملأ الخافقين[2] وكيف لا يكتم أولياؤه فضائله، ونصب أعينهم مقتل عمرو بن الحمق الخزاعي - الصحابي الذي أنهكته العبادة - وحجر بن عدي الكندي وأصحابه، وغيرهم كثير ممن قتلهم زياد بن ابيه، وسمرة بن جندب وغيرهما من عمال معاوية.

في هذا الجو المتكهرب الذي أخرس الألسن، وأطبق الأعين عن فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) تنبري أم سلمة للحديث عن فضائله (عليه السلام)، وتختار لذلك أشد الأحاديث غيظاً للحاكمين؛ حتى لو أراد باحث استقصاء تلك الأحاديث المروية عنها (رضوان الله تعالى عليها) عنها لجاء

---

(١) الثقلان للمظفري / ١٣.

(٢) أحاديث المسلمين في فضائل أمير المؤمنين / ١٧.

كتاباً مستقلاً ؛ وقد مر عليك في فصول هذا الكتاب بعضها ونذكر الآن :

١ ـ قال ابو ثابت مولى أبي ذر : كنت مع علي يوم الجمل فلما رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس ، فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر فقاتلت مع امير المؤمنين (عليه السلام) ، فلما فرغ ذهبت الى المدينة فأتيت ام سلمة فقلت : إني والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شراباً ولكني مولى لأبي ذر .

فقالت : مرحباً ، فقصصت عليها قصتي .

فقالت : أين كنت حين طارت القلوب مطائرها ؟

قلت : الى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس .

قالت : أحسنت ، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض[١] .

٢ ـ عن أم موسى قالت : قالت ام سلمة : والذي تحلف به أم سلمة إنَّ أقرب الناس عهداً برسول الله (صلى الله عليه وآله) علي (رضي الله عنه) قالت : لما كان غدوة قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأرسل اليه رسول الله (صلى الله عليه آله) ، قالت : وأظنه كان بعثه في حاجة فجعل يقول : و جاء علي ؟ ثلاث مرات ، فجاء قبل طلوع الشمس ، فلما ان جاء عرفنا أن له اليه حاجة ، فخرجنا من البيت وكنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) يومئذ في بيت عائشة ، وكنت في آخر من خرج من البيت ، ثم جلست من وراء الباب ، فكنت أدناهم الى الباب ، فأكب على علي (رضي الله عنه) ، فكان آخر الناس به عهداً يساره ويناجيه[٢] .

٣ ـ قالت (رضي الله عنها) : سمعت النبي (صلى الله عليه وآله)

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٣٠ .

(٢) خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) للنسائي / ١٣١ .

يقول لعلي : لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبك منافق[1] .

٤ ـ قالت رضي الله عنها : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : علي بن أبي طالب والأئمة من ولده بعدي سادة اهل الأرض ، وقادة الغر المحجلين يوم القيامة[2] .

٥ ـ عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال : دخلت على ام سلمة ورأيتها تبكي وتذكر عليا وقالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[3] .

٦ ـ عن شهر بن حوشب عن أم سلمة (رضي الله عنها) : ان النبي (صلى الله عليه وآله) دعا علياً (عليه السلام) وفاطمة والحسين والحسين فجلل عليهم كساء له خيبرياً ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا[4] .

٧ ـ قالت (رضي الله عنها) : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله[5] .

٨ ـعن أبي ثابت قال : سمعت ام سلمة (رضي الله عنها) تقول : سمعت رسول الله (صلى الله عله وآله) في مرضه الذي قبض فيه يقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه : أيها الناس يوشك ان أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت اليكم القول معذرة اليكم ، ألا إني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي اهل بيتي ؛ ثم اخذ بيد علي (عليه السلام) فرفعها فقال : هذا

---

(١) أم سلمة / ٥٢ .

(٢) أمالي الصدوق ـ المجلس الخامس والثمانون / ٥٢١ .

(٣) تاريخ بغداد ٣٢١/١٤ .

(٤) سعد السعود / ٢٠٤ .

(٥) الاختصاص / ٧٤ .

علي مع القرآن والقرآن مع علي خليفتان بصيران لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض فأسألهما ماذا خلفت فيهما[1] .

٩ ـ قالت (رضي الله عنها) : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول وهو آخذ بكف علي (عليه السلام) : الحق بعدي مع علي يدور معه حيث دار[2] .

١٠ ـ عن صالح بن ميثم قال : سمعت ام سلمة رحمة الله عليها تقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : شيعة علي هم الفائزون[3] .

١١ ـ وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ام سلمة (رضي الله عنها) زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان في بيتها على منامة له ، عليه كساء خيبري ، فجاءت فاطمة (رضي الله عنها) ببرمة فيها حريرة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ادعي زوجك وابنيك حسنا وحسينا ، فدعتهم ، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بفضل ازاره فغشاهم اياها ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها الى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالها ثلاث مرات .

قالت ام سلمة (رضي الله عنها) : فأدخلت رأسي في الستر فقلت : يا رسول الله وانا معكم ؟

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي / ٣٠٥ .

(٢) أمالي الشيخ الطوسي / ٣٠٥ .

(٣) مشكاة الأنوار / ٩١ وفي أنساب الأشراف ١٨٢/٢ بلفظ مقارب .

فقال : انت إلى خير ، مرتين[1] .

١٢ ـ وروى الطبري حديثاً مطولاً عنها جاء فيه : يا ام سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الآخرة ؛ يا أم سلمة اسمعي واشهدي ، هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا وحامل لوائي في الآخرة غدا يوم القيامة ؛ يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن ابي طالب وصيي وخليفتي من بعدي ، وقاضي عداتي ، والذائذ عن حوضي ، يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين . . . الخ[2] .

---

(١) الدر المنثور ١٩٨/٥ وذكر السيوطي روايات كثيرة في الآية عن أم سلمة وكلها تنص على أن الآية في أهل البيت (عليهم السلام) .

(٢) بشار المصطفى / ٥٩ .

منزلتها عند أهل البيت
(عليهم السلام)

وفي اللحظة التي دخلت فيها ام سلمة بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) أحبها اهل البيت (عليهم السلام)، واحبتهم ، فقد عاشت وكأنها الأم لفاطمة (عليها السلام) ، فكانت ترعى لها ما ترعاه الأم لابنتها ، فهي تكلم النبي (صلى الله عليه وآله) في أمورها الخاصة .

لقد كان اختصاص كل منهما بالاخرى اختصاصاً غريباً ، يكشف عن حب متبادل ، وعواطف صادقة .

وكلما امتد الزمن بأم سلمة ازدادت ولاء لأهل البيت (عليهم السلام) ومحبة ، وكانوا (عليهم السلام) يقابلون هذا الولاء مثله ، فهي في نظرهم زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله) المفضلة ، فهم يشركونها في أمورهم ، ويودعونها اسرارهم ، ويستودعونها ما عندهم. روى ثقة الاسلام الكليني عن الامام الصادق (عليه السلام) قال : إن عليا (صلوات الله عليه) حين سار إلى الكوفة استودع ام سلمة كتبه والوصية ، فلما رجع الحسن (عليه السلام) دفعتها اليه[1] .

وروى أيضاً عن الامام الصادق (عليه السلام) قال : ان الحسين (صلوات الله عليه) لما صار إلى العراق استودع ام سلمة (رضي الله عنها) الكتب والوصية ، فلما رجع علي بن الحسين (عليه السلام) دفعتها اليه[2]

---

(١) أصول الكافي / ١٥١ .

(٢) أصول الكافي / ٢٠٧ .

ويزورها أمير المؤمنين (عليه السلام) مودعاً لما أراد البصرة كما زارها أبو الشهداء (عليه السلام) لما عزم على الخروج من المدينة كل هذا يدل على سمو منزلتها عندهم (عليهم الصلاة والسلام) ، وكرامتها عليهم من بين زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) ويكفي هذا وحده في فضل هذه المرأة العظيمة وجلالتها .

شعرها

وحتى الشعر الذي ذكره المؤرخون لهذه المرأة العظيمة هو في إطار اهل البيت (عليهم السلام) ، فقد كانت هذه المرأة مطبوعة بجميع شعورها واحساستها بحبهم (عليهم الصلاة والسلام) ، والدفاع عنهم ، وتبني قضيتهم .

نذكر من شعرها :

١ ـ قالت في موكب زفاف الزهراء (عليها السلام) :

سرن بعون الله جاراتي واشكرنه في كل حالات
واذكرن ما انعم رب العلىٰ من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفر وقد أنعشنا رب السموات
وسرن مع خير نساء الورى تفدى بعمات وخالات
يا بنت من فضله ذو العلى بالوحي منه والرسالات[١]

٢ ـ وقالت وهي تربي الحسين (عليه السلام) :

بأبي ابن علي أنت بالخير ملي
كن كأسنان الحلي كن ككبش الحول[٢]

---

(١) المناقب ٣/١٣٠ .

(٢) سفينة البحار ١/٢٥٨ .

٣ ـ وقالت في نهيها لعائشة من الخروج لحرب الامام (عليه السلام) :

نصحت ولكن ليس للنصح قابل   ولـو قبلت ما عنفتهـا العـواذل
كأني بها قد ردت الحرب رحلها   وليس لها إلا الترجل راحل[١]

٤ ـ وقالت في ترك عائشة لنصيحتها وندمها بعد ذلك :

لـو أن معتصما من زلـة احد   كانت لعائشة العتبى على الناس
كم سنـة لـرسـول الله تـاركـة   وتـلو آي من القـرآن مدراس
قد ينزع الله من ناس عقولهم   حتى يكون الذي يقضي على الناس
فيـرحم الله ام المؤمنين لقـد   كـانت تبدل ايحـاشاً بـايناس[٢]

(١) تذكرة الخواص / ٧٢ .
(٢) الاختصاص /١١٦ .

كلمات العلماء والعظماء

إن إكبار اهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) وتعظيمهم لأم سلمة هو وحده كاف في جلالتها ورفعتها ، لأنهم بنص الذكر الحكيم مطهرون من الرجس ، منزهون عن النقص ، فهم لا يعرفون في حياتهم مداجاة ولا محاباة ، فهم يحبون لله ويبغضون في الله ، فمدحهم وبغضهم الميزان للشخص وقد مر عليك موقفهم (عليهم الصلاة والسلام) من هذه المرأة ، فهي بعده في غنى عن كل مدح وثناء .

ولكني تعودت في كتبي ان أسوق كلمات العلماء والعظماء فأذكر من ذلك :

١ ـ قالت لها عائشة : يا بنت أبي أمية ، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين ، وكان رسول الله (صلى الله عليه) يقسم لنا من بيتك ، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك[١] .

٢ ـ قال مصعب الزبيري : هي أول ظعينة ، دخلت المدينة مهاجرة[٢] .

٣ ـ قال أحمد بن علي العسقلاني :

تزوجها النبي (صلى الله عليه وسلم) سنة أربع ، وقيل : سنة ثلاث ، وكانت ممن اسلم قديماً هي وزوجها ، وهاجرا الى الحبشة ، فولدت له

(١) أم سلمة لمحمد زكي بيضون / ١٣٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤٦/٢ .

سلمة ، ، ثم قدما مكة ، وهاجرا الى المدينة ، فولدت له عمر ودرة وزينب وقال : وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع ، والعقل البالغ ، والرأي الصائب ، واشارتها على النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الحديبية تدل على وفور عقلها ، وصواب رأيها[1] .

٤ ـ قال عبدالله بن أسعد اليافعي :

وكانت امرأة عاقلة جميلة ، أمرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الحديبية أن ينحر ويحلق ، وقالت له ، إذا فعلت ذلك تابعك أصحابك . . .

ومن مناقبها رؤيتها جبرئيل (عليه السلام) في صورة دحية الكلبي[2] .

٥ ـ قال شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي :

السيدة المحجبة الطاهرة ، هند بنت أبي أمية بـن المغيرة . . . من

---

(١) الاصابة ٤/٤٤٠ . واشارتها التي ذكرها ابن حجر ، بل ذكرها جل أهل التراجم : أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما صالح قريشاً في الحديبية ، أمر بالتقصير ونحر الهدي الذي كان المسلمون ساقوه ليضحوا به في منى ، لأنهم سوف يرجعون بموجب اتفاقية الصلح .

امتنع المسلمون عن الامتثال لأمره (عليه السلام) ، فدخل إلى خيمته والتأثر باد عليه ، فسألته أم سلمة عن ذلك فأخبرها فأشارت عليه أن يحلق وينحر هديه .

فخرج (صلى الله عليه وآله) وحلق ، ونحر هديه ، فلما شاهد المسلمون ذلك أخذ بعضهم يحلق لبعض ، ونحروا جميعاً هديهم .

ولم يكن (صلى الله عليه وآله) ممن يخفى عليه الرأي ، ولكن الله سبحانه وتعالى يريد لبعض عباده الكرامة والذكر الحسن بين الناس ، كما حدث في اشارة سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) بحفر الخندق يوم الأحزاب ، وفي القرآن الكريم (وفهمناها سليمان) ولم يكن داود (عليه السلام) وهو نبي العصر غافلاً عن فهم ذلك ، ولكن إظهاراً لفضل سليمان (عليه السلام) .

(٢) مرآة الجنان ١/٣٧ .

المهاجرات الأول ، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين ، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد ، فوجمت لذلك ، وغشي عليها ، وحزنت عليه كثيراً ، لم تلبث بعده الا يسيرا ، وانتقلت إلى الله .

وقال : وكانت تعد من فقهاء الصحابيات[1] .

٦ ـ قال السيد محسن الأمين : كانت أعقل النساء ، وكانت لها أساليب بديعة في استعطاف النبي (صلى الله عليه وآله) عند غضبه ، وأدب بارع في مخاطباته ، وطلب الحوائج منه[2] .

٧ ـ قال الاستاذ محمد زكي بيضون :

لقد عالجت الحياة ، وجاهدت في سبيل الاسلام في البدء والختام ، ولم يفارقها العقل في معالجة الأمور حينما كان يدفعها الواجب الى العمل ، واتخذت من الاسلام صورة عن حياة المرأة الفاضلة ، سارت في طريقها ، لم تتعد حدود المرأة الحبيسة التي أمرها الله سبحانه أن تقر في بيتها ، فلا تهبط وادياً ، ولا تصعد جبلاً ، ولا ترد منهلاً ، إلا بمقدار مايسمح لها عقلها ودينها ومقامها ، كزوج لرسول الله (صلى الله عليه وآله)[3] .

٨ ـ قال الدكتور علي ابراهيم حسن : من أشرف نساء العرب نسبا ، وأكرمهن أصلاً ، وأبعدهن نظراً ، وأحزمهن رأياً ، أم سلمة .

وقال : وكانت أم سلمة مثل السيدة خديجة في نصرة الله ، وتأييد رسوله ، حصيفة ، رشيدة ، ذات حلم ورأي وأناة ، ولم تكن مثل عائشة في حماستها وغيرتها ، بل لم تفارقها حصافتها وحكمتها في أشد المحن والخطوب . وعندما أحست أم سلمة أن عائشة تشجع المسلمين على قتال علي بن ابي طالب لامتها على عملها ، وحاولت جاهدة ان تصلح ما شب من

---

(١) سيرة أعلام النبلاء ١٤٣/٢ .

(٢) أعيان الشيعة ٧٨/٥١ .

(٣) أم سلمة /١٣٨ .

خلاف بين المسلمين ، ولكن اشتعلت نيران الحرب بينهم ، وحدثت موقعة الجمل ، ونشأ الخلاف بين المسلمين ، واتسعت رقعته ، ولو أنصتت عائشة لنصيحة أم سلمة لما حدث شيء من هذا .

وقال : وكانت تشجع المسلمين على اتباع سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحاربة اعدائه ، حتى اختارها الله لجواره ، راضية بما قسم لها ، مرضياً عنها من المسلمين ، بعد أن (رضي الله عنها) ورسوله[١] .

٩ ـ قال خير الدين الزركلي :

كانت من أكمل النساء عقلاً ، وخلقاً ، وهي قديمة الاسلام ، هاجرت مع زوجها الأول أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة الى الحبشة ، وولدت له ابنه سلمة ، ورجعا الى مكة ، ثم هاجرا إلى المدينة . بلغ ما روته من الحديث ٣٧٨[٢] .

١٠ ـ قال عمر رضا كحالة : مهاجرة جليلة ذات رأي وعقل ، وكمال وجمال ، هاجرت الى الحبشة والمدينة ، ويقال : إنها كانت أول ضعينة أدخلت الى المدينة مهاجرة ، وتزوجها أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد ، وهاجر بها إلى أرض الحبشة ، في الهجرتين جميعاً[٣] .

١١ ـ قالت الدكتورة بنت الشاطىء :

وكان لأبي سلمة وزوجته هند الى جانب هذا النسب العريق ماض مجيد في الاسلام ، فقد كانا من بين السابقين الأولين ، وهاجرا معاً إلى الحبشة ، حيث ولدت هند هناك إبنها سلمة[٤] .

١٢ ـ قال ياسين خير الله العمري : فتزوجها (صلى الله عليه وآله) فكانت من أفضل نسائه[٥] .

---

(١) نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب / ٣٧و٣٩و٤٠ .
(٢) الأعلام ١٠٤/٩ .
(٣) أعلام النساء ٢٢٢/٥ .
(٤) موسوعة آل النبي / ٣١٠ .
(٥) مهذب الروضة الفيحاء / ١٢ .

نهاية المطاف

وهذه الصفحات مختصرة لحياة أم المؤمنين ، استعرضنا فيها موجزاً من سيرتها ، وسمو مقامها عند الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وعند أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) .

وهذه الصفحات ـ على قلتها ـ مظهر من مظاهر المثالية ، والدين ، والاستقامـة عند هذه المرأة العظيمة ، وحري بالمرأة المسلمة أن تحذو حذوها ، وتهتدي بهديها ، والله في عون العبد ما دام العبد في جهاد نفسه .

(٥)

ام كلثوم
بنت الامام امير المؤمنين
عليه السلام

الإهداء

يا سيد العابدين :

هذه الصفحات من سيرة عمتك ، ولمحة من حياتها الكريمة ، واستعراض لمواقفها مع الظالمين ، أُقدمها إليك راجياً منك القبول .

عبدك

علي محمد علي دخيل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

نقدم في هذا الكتاب دراسة مختصرة عن سليلة النبوة ، وكريمة الوحي ، وحفيدة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وابنة الوحي ، وبضعة فاطمة ، السيدة أُم كلثوم .

نشأت في حجر الزهراء (عليها السلام) ، وتأدبت بآداب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ونمت برعاية الحسن والحسين (عليهما السلام) ، فغدت نبراساً للمرأة المسلمة ، ومثلاً أعلى في الفضيلة ، والكمال ، ومكارم الأخلاق ، وأسمى الصفات .

يستعرض هذا الكتاب حياة هذه السيدة وسيرتها ، وبعض ما أثر من كلامها ، كما يستعرض دورها في كربلاء ، والمشاهد التي تلتها ، فالدور الذي قامت به أُم كلثوم يأتي بعد دور أُختها العقيلة ، في إتمام أشواط أخيها الحسين (عليه السلام) الإصلاحية ، التي بدأها يوم عاشوراء ، وكان على آله وذويه أن يتموها من بعد ، بخطبهم ، ومواقفهم البطولية التي أذهلت الطغاة الظالمين ، وألبت عليهم الملأ الإسلامي . لقد استمرت الإنتفاضات عليهم ، وتعاقبت الثورات ، حتى كانت نهايتهم .

وسبق لي أن قلت : ليس هدفي من كتاباتي في أهل البيت (عليهم السلام) أن أرفع من مقامهم ، أو أُشيد بمكانتهم ، فهم ورثة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وثقله الذي تركه بين ظهراني الأُمة ، ومن أشاد بفضلهم القرآن الكريم ، ثم لهم بعد هذا وذاك من الدين ، والتقوى ، والصلاح ، والجهاد ، والخلق النبيل ، والصفات الخيرة ، ما يكفي لرفعتهم

وتخليدهم .

إنَّ هدفي من هذه الدراسات أن أضع أيدي المسلمين ـ رجالاً ونساء ـ على سير آل البيت (عليهم السلام) ، وأخلاقهم ، واطوارهم ، وكلي أمل أن يجدوا في ذلك ضالتهم المنشودة في السعادة والإصلاح ، فيقتبسوا من هديهم ، ويتأثروا بحياتهم ، وبذلك نحقق آمالنا في تحقيق الخير والسعادة ومن الله العون والتوفيق .

في سطور

جدها ـ لامها : رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

جدتها ـ لامها : خديجة بنت خويلد .

جدها ـ لابيها : ابو طالب .

جدتها ـ لابيها : فاطمة بنت أسد .

ابوها : علي أمير المؤمنين .

امها : فاطمة الزهراء .

اخواها : الحسن والحسين .

اختها : زينب[1] .

ولادتها : السنة السادسة للهجرة .

زوجها : عون بن جعفر بن ابي طالب .
شهدت مأساة كربلاء ورافقتها من البداية وحتى النهاية .

توفيت بالمدينة بعد الرجوع من الشام بأربعة أشهر وعشرة ايام .

---

(١) هؤلاء هم أشقاؤها لأمها وأبيها ، ولها أخوة وأخوات لابيها .

نفي زواجها من عمر بن الخطاب

جاء الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فهدم الفوارق الإجتماعية ، والتقاليد القبلية ، والعادات الجاهلية ، انشأ نظاماً جديداً أساسه (إنَّ اكرمكم عند الله أتقاكم) و(الناس لآدم وآدم من تراب) و(ولا فضل لعربي على عجمي إلاَّ بالتقوى) ثم بدأ (صلى الله عليه وآله)يعمل في جميع المجالات على إبادة الصرح الجاهلي ، وتشييد النظام الجديد بدله .

وفي حقل الزواج وجد (صلى الله عليه وآله)مخلفات ثقيلة من الماضي ، فهم لا يزوجون إلا الأكفاء من بني العم ، ويسوقون مهوراً عالية ، وعملاً بقاعدة (المسلم كفو المسلمة) زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن عمرو ، وزوج زينب بنت جحش ـ بنت عمة النبي ـ من مولاه زيد بن حارثة ، وجعل (صلى الله عليه وآله) المهر الذي يسلمه لزوجاته ، ويتسلمه لبناته ٤٨٠ درهماً . فالزواج في تعاليمه (صلى الله عليه وآله)إنَّ كل مسلم كفو لكل مسلمة ، بغض النظر عن المنزلة الإجتماعية ، والثراء ، والأُمور المادية الأُخرى .

وجاء بعض المؤرخين فزوج بين بعض الأموات ، رافعاً لبعض ، وواضعاً لبعض ـ حسبما يعتقد ـ وتبعه غيره بمرور الزمن ، فأصبح هذا الزواج وكأنه حقيقة ثابتة تتناقلها الكتب ، ويرويها الأعداء والاصدقاء .

وتنبهت الدكتورة بنت الشاطىء في كتابها سكينة بنت الحسين (عليه السلام)الى أنَّ بعض الأزواج الذين نسبوا الى سكينة شطره بعضهم ، فجعلها تتزوج بالرجل وبأخي جده ، فقد قالت : وتختلط الأسماء اختلاطاً عجيباً ،

بل وشاذاً ، حتى ليشطر الاسم الواحد شطرين ، يؤتى بكل شطر منهما على حدة ، فيكون منهما زوجان للسيدة سكينة ، فعبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام ، شطر شطرين ، فكان منه زوجان : عبدالله بن عثمان ، وعمرو بن حكيم بن حزام الخ[1] .

ومن هذه الزواجات الوهمية ـ وما أكثرها ـ زواج أُم كلثوم بنت الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) من عمر بن الخطاب .

روى ابن عبد البر وابن حجر وغيرهما : خطبها عمر بن الخطاب الى علي بن أبي طالب ، فقال : إنّها صغيرة ، فقال له : زوجنيها يا أبا الحسن فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد ، فقال له علي : أنا أبعثها اليك فإنْ رضيتها فقد زوجتكها ، فبعثها اليه ببرد ، وقال لها قولي له : هذا البرد الذي قلت لك ، فقالت ذلك لعمر ، فقال : قولي له : قد رضيت ، ووضع يده على ساقها فكشفها ، فقالت : اتفعل هذا ؟ ! لولا انك امير المؤمنين لكسرت انفك ؛ ثم خرجت حتى جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت : بعثتني الى شيخ سوء ، فقال : يا بنية انه زوجك[2] .

وروى ابن سعد : تزوجها عمر بن الخطاب وهي جارية لم تبلغ ، فلم تزل عنده الى ان قتل ، وولدت له زيد بن عمر ورقية بنت عمر ؛ ثم خلف على ام كلثوم بعد عمر عون بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ، فتوفي عنها ، ثم خلف عليها اخوه محمد بن جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب فتوفي عنها ، فخلف عليها اخوه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بعد اختها زينب بنت علي بن ابي طالب ، فقالت ام كلثوم : اني لاستحي من اسماء بنت عميس ان ابنيها ماتا عندي وإنيٍّ لأتخوف على هذا الثالث ، فهلكت عنده ولم تلد لأحد منهم شيئاً[3] .

---

(١) موسوعة آل النبي /٨٣١ .

(٢) الاستيعاب ٧٧٣/٢ ، الاصابة ٤٦٩/٤ ، اسد الغابة ٦١٥/٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ٤٦٣/٨ وفي البداية والنهاية ٣٠٩/٥ بلفظ مقارب .

وذكروا أيضاً : ان عمر أمهر أُم كلثوم أربعين الفاً[1] .

وروى البلاذري : أنَّه أصدقها مائة الف درهم[2] .

وذكروا أيضاً : انها لما ماتت صلى عليها عبدالله بن عمر وخلفه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر ، وكبر عليها اربعاً[3] .

وستعرف خلال البحث ان لا صحة لهذا الزواج ، وأنها لم تتزوج بغير ابن عمها عون بن جعفر ، مصداقاً للحديث الشريف الذي رواه الشيخ الصدوق عليه الرحمة : (ونظر النبي (صلى الله عليه وآله) الى أولاد علي وجعفر (عليهم السلام) فقال : بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا)[4] .

ولعل مصدر الوهم فيه : ان من زوجات عمر أُم كلثوم بنت جرول الخزاعية ـ أُم عبدالله بن عمر ـ ودائماً ينصرف الذهن في الاسماء الى صاحب الشهرة . كما أن هناك أُم كلثوم أُخرى خطبها عمر ، فجاءت الشبهة من هنا وهناك .

روى ابو الفرج : قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب (رضوان الله عليه) : ألا تتزوج أُم كلثوم بنت أبي بكر فتحفظه بعد وفاته وتخلفه في أهله ؟

قال عمر : بلى ، إنِّي لأحب ذلك ، فاذهب الى عائشة فاذكر لها ذلك وعد إلي بجوابها .

فمضى الرسول الى عائشة فأخبرها بما قال عمر ، فأجابته الى ذلك ، وقالت له : حبا وكرامة .

ودخل عليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة فرآها مهمومة ، فقال لها :

---

(١) الاستيعاب ٧٣٣/٢ ، الإصابة ٤٦٩/٤ ، البداية والنهاية ٣٠٩/٥ .

(٢) أنساب الأشراف ١٦٠/٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ٨٧٤/٨ .

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢٤٩/٣ .

مالك يا أم المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة عمر ، وقالت : ان هذه جارية حدثة ، وأردت لها الين عيشاً من عمر .

فقال لها : عليّ أنا اكفيك ؛ وخرج من عندها فدخل على عمر فقال : بالرفاه والبنين ، قد بلغني ما أتيته من صلة ابي بكر في اهله ، وخطبتك أُم كلثوم .

فقال : قد كان ذاك .

قال : إلا أنك يا أمير المؤمنين رجل شديد الخلق في اهلك ، وهذه صبية حديثة السن ، فلا تزال تنكر عليها الشيء فتضربها وتصيح يا ابتاه فيغمك ذلك ، وتتألم له عائشة ، ويذكرون ابا بكر فيبكون عليه ، فتتجدد لهم المصيبة به مع قرب عهدها في كل يوم .

فقال له : متى كنت عند عائشة وأصدقني ؟

فقال : آنفاً .

فقال عمر : أشهد أنهم كرهوني فضمنت لهم ان تصرفني عما طلبت وقد أعفيتهم . فعاد إلى عائشة فأخبرها بالخبر ، وأمسك عمر عن معاودتها[١] .

وأعود فأقول :

١ - كيف يتجاوز الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) مهر السنة ، وهو مهر أهل البيت (عليهم السلام) ، حتى إن الإمام محمد الجواد (عليه السلام) لما تزوج أُم الفضل بنت المأمون وقد أنفق المأمون الملايين من الدنانير على حفل الزواج ولكن الإمام (عليه السلام) أمهرها خمسمائة درهماً ، فقد قال في خطبة النكاح : (الحمد لله اقراراً بنعمته ، ولا إله الا الله إخلاصاً لوحدانيته ، وصلى الله على محمد سيد بريته ، والاصفياء من

---

(١) الأغاني ٩٣/١٦ .

عترته ؛ اما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن اغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال سبحانه : ﴿ **وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم** ﴾ ثم إنَّ محمد ابن‌علي بن موسى يخطب أُم الفضل بنت عبدالله المأمون وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) وهو خمسمائة درهم جيادا فهل زوجته يا امير المؤمنين ؟

قال المأمون : نعم[1] .

٢ ـ كيف يدفع عمر هذا المهر وهو القائل : لا تزيدوا في مهر النساء على اربعين اوقية ، وان كانت بنت ذي الغصة ـ يعني يزيد بن الحصين الصحابي الحارثي ـ فمن زاد القيت الزيادة في بيت المال. فقالت امرأة من صف النساء طويلة في انفها فطس ما ذلك لك .

قال : ولم ؟ !

قالت : لأن الله عز وجل قال : ﴿ **وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً** ﴾[2] .

قال عمر : امرأة أصابت ورجل اخطأ[3] .

٣ ـ انكر هذا الزواج اعلام الطائفة كالشيخ المفيد وغيره من المتقدمين ، وأفرد الشيخ البلاغي رسالة خاصة في النفي .

وأجاب الشيخ المفيد رحمه الله في المسائل السروية عن ذلك فقال : إنَّ الخبر الوارد في تزويج امير المؤمنين (عليه السلام)ابنته من عمر غير ثابت ، وهو من طريق الزبير بن بكار ، وطريقه معروف لم يكن موثوقاً به في

---

(١) نور الأبصار / ١٤٧ .
(٢) النساء / ٢٠ .
(٣) الأذكياء لابن الجوزي / ٢١٧ .

النقل ، وكان متهما فيما يذكره من بغضه لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وغير مأمون فيما يدعيه على بني هاشم ، وإنما نشر الحديث إثبات ابي محمد الحسن بن يحيى صاحب النسب ذلك في كتابه ، فظن كثير من الناس أنه حق لرواية رجل علوي له ، وإنما رواه عن الزبير بن بكار ، والحديث نفسه مختلفاً ، فتارة يروي : ان امير المؤمنين (عليه السلام) تولى العقد له على ابنته ، وتارة يروي : عن العباس انه تولى العقد له عنه ، وتارة يروي : انه لم يقع العقد الا بعد وعيد من عمر وتهديد لبني هاشم ، وتارة يروي : انه كان من اختيار وإيثار . ثم ان بعض الرواة يذكر ان عمر أولدها ولداً سماه زيدا ، وبعضهم يقول : انه قتل قبل دخوله بها ، وبعضهم يقول : ان لزيد بن عمر عقباً ، ومنهم يقول : انه قتل ولا عقب له ، ومنهم من يقول : انه وامه قتلا ، ومنهم من يقول : انَّ امه بقيت بعده ، ومنهم من يقول : إنَّ عمر امهر أُم كلثوم اربعين الف درهم ، ومنهم من يقول : أمهرها اربعة آلاف درهم ، ومنهم من يقول : كان مهرها خمسمائة درهم . وبدء هذا القول وكثرة الاختلاف فيه يبطل الحديث ولا يكون له تأثير على كل حال[1] .

٤ ـ اورد الحاكم حديث الزواج في المستدرك ، وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال : منقطع[2] والحديث المنقطع السند يكون مهملاً .

٥ ـ إن جل من ذكر زواجها من عمر ذكر انه تزوج بها بعد قتل عون بن جعفر[3] .

وعون هذا استشهد يوم تستر[4] سنة ١٧ للهجرة في خلافة عمر ، فكيف يتزوج بها من بعده .

---

(١) المسائل السروية ٦١ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ١٤٢/٣ .

(٣) اسد الغابة ٦١٥/٥ ، الطبقات الكبرى ٤٦٤/٨ .

(٤) الاستيعاب ١٦١/٣ ، الإصابة ٤٤/٣ .

٦ ـ مر عليك كلام صاحب الطبقات والبداية والنهاية في زواج محمد بن جعفر بأُم كلثوم بعد أخيه عون ، وأغرب ما جاء في تهويس القوم في هذه المهزلة هو كلام ابن عبد البر فقد قال : ومحمد بن جعفر بن ابي طالب هو الذي تزوج أُم كلثوم بنت علي بن ابي طالب بعد موت عمر بن الخطاب[١] .

وقال في نفس الكتاب : استشهد عون بن جعفر وأخوه محمد بن جعفر في تستر[٢] .

مع العلم ان يوم تستر كان في خلافة عمر وقبل وفاته بسبع سنين ، فكيف يستقيم ما ذكره ؟ !

٧ ـ الصورة التي مرت عليك من ارسال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ابنته الى عمر ، وهو يكشف عن ساقها ، وهي لا تعلم بالأمر ، فهل ترتضيها انت أيها القارىء الكريم لنفسك فضلاً عن الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) ؟

٨ ـ رووا : لما تأيمت أُم كلثوم بنت علي من عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) دخل عليها حسن وحسين أخواها فقالا لها : انك ممن قد عرفت سيدة نساء المسلمين وبنت سيدتهن ، وانك والله إنْ امكنت عليا من رمتك لينكحنك بعض ايتامه ، ولئن اردت ان تصيبي بنفسك مالاً عظيماً لتصيبنه . فوالله ما قاما حتى طلع علي يتكي على عصاءة فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر منزلتهم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال : قد عرفتم منزلتكم عندي يا بني فاطمة وآثرتكم على سائر ولدي لمكانكم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقرابتكم منه .

فقالوا : صدقت رحمك الله فجزاك الله عنا خيراً .

---

(١) الاستيعاب ٣/٣٢٧ .

(٢) الاستيعاب ٣/١٦١ .

فقال : اي بنية إنّ الله عز وجل قد جعل امرك بيدك ، فأنا أحب ان تجعليه بيدي .

فقالت : اي ابت ، إني امرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء ، وأُحب أن أُصيب مما تصيب النساء من الدنيا ، وأنا أُريد أن أنظر في أمر نفسي .

فقال : لا والله يا بنية ما هذا من رأيك ، ما هو إلا من رأي هذين ، ثم قام فقال : والله لا أُكلم رجلاً منهما أو تفعلين !! فأخذا بثيابه ، فقالا : اجلس يا ابت فوالله ما على هجرانك من صبر ، اجعلي أمرك بيده .

فقالت : قد فعلت .

قال : فإني قد زوجتك من عون بن جعفر ، وانه لغلام ، وبعث لها باربعة آلاف درهم ، وأدخلها عليه . أخرجه ابو عمر[1] .

ما أظن شخصاً يحمل ذرة من الإكبار والكرامة للإمامين الحسنين (عليهما السلام) يرتضي هذه الصورة ، كما هي لا تليق بالإمام امير المؤمنين (عليه السلام) في الإصرار على طلب ما ليس له ، ويحلف بالله اذا لم يعط ذلك ليهجر ولديه .

إنَّ مخترع هذا الزواج لو ذكره بدون هذه الرتوش لأمكن تصديقه ، ولكن كيف وقد جاء بهذه الطامات !

٩ ـ كيف يقدم الحسن والحسين (عليهما السلام) عبدالله بن عمر للصلاة عليها مع جلالة منزلتهما ، وانهما اولى بالصلاة عليها ، وانحراف ابن عمر عنهما وعن ابيهما (عليه السلام) معلوم ؟ !

١٠ ـ كيف يقبل الحسنان (عليهما السلام) بتكبير ابن عمر عليها أربعاً والذي عليه إجماع اهل البيت (عليهم السلام) هو خمس تكبيرات .

١١ ـ أجمعت كتب السير والمقاتل على حضور أُم كلثوم واقعة كربلاء ،

---

(١) أسد الغابة ٥/٦١٥ .

وذكروا مواقفها وخطبها ، فكيف يجتمع هذا مع وفاتها في حياة الإمام الحسن (عليه السلام) ؟ !

١٢ ـ مر عليك كلام صاحب الطبقات في زواج عبدالله بن جعفر بعد اختها زينب ، وأقل ما ورد في وفاة زينب (عليها السلام) انها ماتت ليلة الأحد ١٤ رجب سنة ٦٢ هـ .

مع حفصة بنت عمر

من قرأ حياة السيدتين عائشة وحفصة يجدهما وقد كانتا يداً واحدة ، ويشكلان في بيت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حزباً مستقلاً ، وحتى بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) بقي ذلك الوئام بينهما ، ولعل مرجع ذلك هو ما في الآباء ترثه الأبناء ، فكان الأبوان على حال ووفاق فورّثا ذلك لبنتيهما .

وحتى الخروج الى البصرة فقد عزمت حفصة على المسير مع عائشة لكن اخاها عبدالله بن عمر هو الذي منعها من ذلك .

قال الدكتور طه حسين : وقد رأى طلحة والزبير اثر عائشة وأحاديثها في الناس فرغبا اليها في أن تصحبهم الى البصرة ، فقالت : أتأمرانني بالقتال ؟ قالا : لا ، ولكن تعظين الناس وتحرضينهم على الطلب بدم عثمان ، فقبلت في غير تردد ، وأقنعت حفصة ، أُم المؤمنين بالسير معها ولكن أخاها عبدالله ابن عمر ردها عن أن تخالف ما أمر الله به نساء النبي في قوله عز وجل : ﴿ **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ فأقامت[1] .

وفي طريق السيدة عائشة الى البصرة وقد توهمت ان النصر سيكون حليفها فرغبت بالكتابة الى حفصة لتسرها بذلك ، ووقع الكتاب موقعه من حفصة حتى أخذت تجمع الجموع في بيتها متغنية به ، وبلغ أُم كلثوم ذلك فأتت لتقريعها وتوبيخها .

---

(١) الفتنة الكبرى ٢/٣٢ .

قال ابن ابي الحديد : لما نزل علي (عليه السلام) ذاقار كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر أما بعد فإني أُخبرك ان علياً قد نزل ذاقار ، وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا ، فهو بمنزلة الأشقر ان تقدم عقر وإنْ تأخر نُحر . فدعت حفصة جواري لها يتغنين ويضربن بالدفوف فأمرتهن أن يقلن في غنائهن : ما الخبر ما الخبر ، علي في السفر ، كالفرس الأشقر ، إنْ تقدم عقر ، وإنْ تأخر نحر .

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء ، فبلغ أُم كلثوم بنت علي (عليه السلام) ، فلبست جلابيبها ، ودخلت عليهن في نسوة متنكرات ، ثم أسفرت عن وجهها ، فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت .

فقالت أُم كلثوم : لئن تظَاهرتما عليه منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل[1] .

فقالت حفصة : كفى رحمك الله ، وأمرت بالكتاب فمزق ، واستغفرت الله .

قال أبو مخنف : روى هذا جرير بن يزيد عن الحكم ، ورواه الحسن بن دينار عن الحسن البصري ؛ وذكر الواقدي مثل ذلك ، وذكر المدائني مثله قال : فقال سهل بن حنيف في ذلك هذه الأشعار :

عذرنا الرجال بحرب الرجال فما للنساء وما للسباب
اما حسبنا ما اتينا به لك الخير من هتك ذاك الحجاب
ومخرجها اليوم من بيتها يعرفها الذنب نبح الكلاب
الى ان أتانا كتاب لها مشوم فيا قبح ذاك الكتاب[2]

---

(١) تشير (عليها السلام) الى سورة التحريم ﴿ وإنْ تظاهرا عليه فإنَّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾ انظر التفاسير وكتب السير .

(٢) شرح نهج البلاغة ١٤/١٤ .

في كربلاء

وأُم كلثوم هي التالية للعقلية سنا وفضلاً ، كما انها شريكتها في تحمل العبء الذي نهضت به بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) ، حتى انها توفيت بعد الرجوع الى المدينة بمدة يسيرة حزناً وكمداً على الحسين (عليه السلام) .

إنّ اسم أُم كلثوم يلمع دائماً في الحديث عن كربلاء وما تلاها من المشاهد .

نذكر بعض ما ورد عنها في كربلاء :

١ ـ روى السيد ابن طاووس (رحمه الله) وداع الحسين (عليه السلام) للعائلة : وجعلت أُم كلثوم تنادي : واأحمداه ، واعلياه ، واأُماه ، واأخاه ، واحسيناه ، واضيعتنا بعدك يا ابا عبدالله .

فعزاها الحسين (عليه السلام) وقال لها : يا أُختاه تعزي بعزاء الله ، فإن سكان السماوات يفنون ، وأهل الأرض كلهم يموتون ، وجميع البرية يهلكون .

ثم قال : يا أُختاه يا أُم كلثوم ، وأنت يا زينب ، وأنت يا فاطمة ، وأنت يا رباب ، انظرن اذا أنا قتلت فلا تشققن عليّ جيباً ، ولا تخمشن عليّ وجهاً ، ولا تقلن هجراً[1] .

---

(١) اللهوف / ٣٤ .

٢ ـ روى الشيخ التستري (رحمه الله) استغاثات الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء ، وعزم الإمام زين العابدين (عليه السلام) على الجهاد ، فقال : فأخذ بيده عصا يتوكأ عليها ، وسيفاً يجره في الأرض ، فخرج من الخيام ، وخرجت أُم كلثوم خلفه تنادي : يا بني ارجع ، وهو يقول : يا عمتاه ذريني اقاتل بين يدي ابن رسول الله .

فقال الحسين (عليه السلام) : يا أُم كلثوم خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد (صلى الله عليه وآله) .

فأرجعته أُم كلثوم[1] .

٣ ـ جاء في وداع الحسين (عليه السلام) للعائلة : انه (عليه السلام) أقبل على أُم كلثوم وقال لها : أُوصيك يا أُخية بنفسي خيراً ، وإنِّي بارز الى هؤلاء[2] .

٤ ـ وبعد مصرع الحسين (عليه السلام) اقبل فرسه الى الخيام ، ووضعت أُم كلثوم يدها على أُم رأسها ونادت : وامحمداه ، واجداه ، واأبتاه ، واأبا القاسماه ، واعلياه ، واجعفراه ، واحمزتاه ، واحسناه ، هذا حسين بالعرا ، صريع بكربلاء ، محزوز الرأس من القفا ، مسلوب العمامة والرداء ، ثم غشي عليها[3] .

(١) الخصائص الحسينية / ١٨٧ .

(٢) نفس المهموم / ١٨٤ .

(٣) مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي ٢ / ٣٧ .

في الكوفة

دخلت أُم كلثوم الكوفة في عهد أبيها امير المؤمنين (عليه السلام) بعد ان جعلها عاصمة دولته ، فكانت في .نظر أهلها ابنة سلطان المسلمين وأميرهم ، وإنْ كان إكبارهم لها صلوات الله عليها لم يخرجها عما أُدبت به من التواضع ، والخلق الكريم ، والكمال ، والأدب .

ودخلتها هذه المرة أسيرة ابن زياد ، ليس معها من حماتها حمي ، ولا من رجالها ولي .

دخلت الكوفة ومعها رؤوس اخوتها ، وابناء عمومتها ، وانصار أخيها من الصحابة والتابعين ، وسادة المسلمين ، دخلت الكوفة ومعها اخواتها وعائلة أخيها الحسين (عليه السلام) ، وبنات عبد المطلب سبايا في ذل الأسر .

دخلت الكوفة وقد خرج أهلها للتفرج عليهم ، وهذا ـ فيما احسب ـ أشد ما كانت تعانيه ، فهب ان ابن زياد قتل الحسين (عليه السلام) ليثبت له كرسي امارة العراق وما تبعه من الأقطار والاصقاع ، وقاد الحملة عمر بن سعد ليحصل على ملك الري وجرجان ، فما الذي حدا بأهل الكوفة أن يقفوا مثل هذا الموقف من الحسين (عليه السلام) ، فيسارعوا الى قتله ، ثم يخرجوا للتفرج على عياله ونسائه ؟ !

اشتد على أُم كلثوم الوجد ، وأمض بها المصاب ، وهي تشاهد هذا المنظر المؤلم ، وزاد في وجدها أن ترى أهل الكوفة يناولون الاطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز ، فصاحت بهم : يا أهل الكوفة إنَّ

الصدقة علينا حرام ، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الاطفال وأفواههم وترمي به الى الأرض[1] ثم انفجرت بخطبتها[2] .

(۱) نفس الهموم / ۲۱۳ .

(۲) انظر خطبها .

في المدينة

وبعد أن طلب الوليد بن عتبة ـ والي المدينة ـ من الحسين (عليه السلام) البيعة ليزيد، ويمتنع (عليه السلام) من ذلك قائلاً له: أيها الأمير نحن آل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ويزيد فاسق، شارب الخمر، وقاتل النفس، ومثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة[1].

خرج (عليه السلام) من المدينة بأهله وصحبه متوجهاً الى مكة ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الاعظم كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب؟

فقال (عليه السلام): لا والله لا أُفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض[2].

سار موكب الحسين (عليه السلام) متجهاً الى مكة وهو في أبهى منظر، وأجمل هيئة، عليه هيبة الرسالة، وسؤدد الإمامة، وأُبهة الملوك، لما حواه من عدة وجهاز، وكانت أُم كلثوم في طليعة نساء الموكب، يحف بها اولاد امير المؤمنين (عليه السلام) وبقية آل عبد المطلب، ومضت الأيام سريعة وإذا بها تأتي المدينة ولكن بموكب آخر يختلف عن الأول تماماً، فلا الحسين، ولا العباس، ولا الفتية الهاشمية معها، كلهم خلفتهم في كربلاء

---

(١) مثير الأحزان لابن نما / ١٤.
(٢) الإرشاد / ٢٠٢.

صرعى ، وزاد في وجدها وجود بعض ابناء الطلقاء والمنافقين الشامتين بقتل أخيها الحسين (عليه السلام) ، وما أصاب أهل البيت (عليهم السلام)[1] .

انفجرت أُم كلثوم عندما لاحت لها المدينة :

مــدينــة جــدنــا لا تقـبلينـا فبـالحسـرات والأحــزان جينـا[2]

(١) كابراهيم بن طلحة بن عبيد الله ، فإنه يستقبل الإمام زين العابدين (عليه السلام) بقوله : من الغالب ؟ ويجيبه (عليه السلام) : إذا دخل وقت الصلاة فأذن واقم تعرف الغالب (انظر كتابنا علي بن الحسين (عليه السلام) ص٧٩) ومعنى جوابه (عليه السلام) انهم الغالبون ، فذكرهم المخلد عبر الأجيال والقرون ، وعدوهم المخذول بما لحقه من إثم وعار ولعنة ، وذكر سيّء لا يمحى أثره مدى الدهر .

(٢) انظر فصل شعرها من هذا الكتاب .

خطبها

إنَّ مسير عائلة الحسين (عليه السلام) الى الكوفة ، ثم إلى الشام ، وما رافقها من محن ومصائب تفوق مصيبة كربلاء ، حتى إنَّ الامام زين العابدين (عليه السلام) سئل عن اعظم المصائب التي رآها ؟ فقال : الشام .

فعائلة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يطاف بها في البلدان ، وتجتمع الناس للنظر عليها ، ثم مجلس ابن زياد في الكوفة ، ومجلس يزيد في الشام . بعين الله ما أصابهم ، وفي سبيله ما دهمهم .

وكان لا بد لبنات محمد (صلى الله عليه وآله) ، وكريمات أمير المؤمنين (عليه السلام) من توضيح الموقف للناس ، واستغلال التجمع للدعوة الى الله تعالى ، وإعلان مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ، التي هي نفسها دعوة الى الله سبحانه وفعلاً نجحت هذه الدعوة الإلهية ، فكم من غافل ابصر ، وحائر اهتدى .

وسجل التاريخ خطباً كثيرة لبنات الرسالة في تلك المحافل ، نسجل ما ورد من خطب السيدة أُم كلثوم :

١ ـ قال السيد ابن طاووس : خطبت أُم كلثوم من وراء كلتها رافعة صوتها بالبكاء ، فقالت : يا اهل الكوفة سوأة لكم ، مالكم خذلتم حسيناً وقتلتموه ، وانتهبتم امواله وورثتموه ، وسبيتم نساءه ونكبتموه ، فتباً لكم وسحقاً .

ويلكم اتدرون اي دواه دهتكم ، وأي وزر على ظهوركم حملتم ، وأي دماء سفكتموها ، وأي كريمة اصبتموها ، واي صبية سلبتموها وأي اموال انتهبتموها ؟ قتلتم خير رجالات بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ونزعت الرحمة من قلوبكم ، ألا أن حزب الله هم الفائزون ، وحزب الشيطان هم الخاسرون .

ثم قالت :

قتلتم اخي ظلما فويـل لُأمكم	ستجـزون نـاراً حـرهـا يتـوقـد
سفكتم دماء حرم الله سفكهـا	وحـرمهـا القـرآن ثم محمـد
ألا فـابشروا بـالنار انكم غـدا	لفي سقـر حقـاً يقينـاً تخلدوا
وإنّي لأبكي في حياتي على اخي	على خير من بعد النبي سيولد
بـدمع غـزيـر مستهـل مكفكف	على الخد مني دائماً ليس يجمد

قال الراوي : فضج الناس بالبكاء والنوح ، ونشرت النساء شعورهن ، ووضعن التراب على رؤوسهن ، وخمشن وجوههن ، وضربن خدودهن ، ودعون بالويل والثبور ، وبكى الرجال ونتفوا لحاهم فلم ير باكية وباك اكثر من ذلك اليوم[١] .

(١) اللهوف / ٦٦ .

شعرها

وأهل البيت (عليهم السلام) في شغل عن الشعر وشبهه ، فهم ملازمون لتلاوة القرآن الكريم ، والعبادة ، وتهذيب الأمة ، لذا لم يبرز احد منهم بالشعر كما برزوا في العلوم كلها .

نعم ، ورد للأئمة (عليه السلام) الابيات القليلة في المواعظ والتهذيب ، كما ورد شعر قليل لبعض بناتهم اللواتي حضرن واقعة كربلاء .

ولست ادري ان هذا القليل من الشعر مبعثه لوعة المصاب ، ونفثة الحزن او ليدخلن في قائمة شعراء الحسين (عليه السلام) لما ورد من الاجر والثواب على ذلك ، وهن أحرص الناس على العمل الصالح ، والسبق الى المثوبة .

وكيف ما كان فقد ورد لُأم كلثوم :

١ ـ قالت بعد خطبتها بالكوفة :

قتلتم اخي صبرا فويل لُأمكم ستجزون نارا حرها يتوقد[1]

٢ ـ لما توجهت الى المدينة جعلت تبكي وتقول :

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والاحزان جينا

ألا فاخبر رسول الله عنا بانا قد فجعنا في اخينا

وان رجالنا في الطف صرعى بلا روس وقد ذبحوا البنينا

---

(١) نفس المهموم / ٢١٢ الابيات المذكورة آنفاً .

واخبر جدنا إنا اسرنا   وبعد الأسر يا جد سبينا
ورهطك يا رسول الله اضحوا   عرايا بالطفوف مسلبينا
وقد ذبحوا الحسين ولم يراعوا   جنابك يا رسول الله فينا
فلو نظرت عيونك للاسارى   على قتب الجمال محملينا
رسول الله بعد الصون صارت   عيون الناس ناظرة الينا
وكنت تحوطنا حتى تولت   عيونك ثارت الاعدا علينا
افاطم لو نظرت الى السبايا   بناتك في البلاد مشتتينا
افاطم لو نظرت الى الحيارى   ولو ابصرت زين العابدينا
أفاطم لو رأيتينا سهارى   ومن سهر الليالي قد عمينا
أفاطم ما لقيت من عداك   ولا قيراط مما قد لقينا
فلو دامت حياتك لم تزالي   الى يوم القيامة تندبينا
وعرج بالبقيع وقف وناد   أين حبيب رب العالمينا
وقل يا عم يا الحسن المزكى   عيال أخيك اضحوا ضائعينا
أيا عماه إنّ أخاك أضحى   بعيداً عنك بالرمضا رهينا
ولو عاينت يا مولاي ساقوا   حريماً لا يجدن لهم معينا
على متن النياق بلا وطاء   وشاهدت العيال مكشفينا
مدينة جدنا لا تقبلينا   فبالحسرات والاحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعا   رجعنا لا رجال ولا بنينا
وكنا في الخروج بجمع شمل   رجعنا حاسرين مسلبينا
ونحن في امان الله جهراً   رجعنا بالقطيعة خائفينا
ومولانا الحسين لنا انيس   رجعنا والحسين به رهينا
فنحن الضائعات بلا كفيل   ونحن النائحات على أخينا
ونحن السائرات على المطايا   نشال على جمال المبغضينا
ونحن بنات ياسين وطه   ونحن الباكيات على أبينا
الا يا جدنا قتلوا حسينا   ولم يرعوا جناب الله فينا
الا يا جدنا بلغت عدانا   مناها واشتفى الأعداء فينا

لقـد هتكـوا النسـاء وحملوهـا على الاقتـاب قهـرا أجمعينـا
وزينب أخـرجـوهـا من خبـاهـا وفـاطم والـه تبـدي الأنـينـا
سكينـة تشتكي من حـر وجـد تنـادي الغـوث رب العـالمينـا
وزيـن العـابـديـن بقيـد ذل ورامـوا قـتـلـه اهـل الـخـؤنـا
فبعـدهـم على الـدنيـا تـراب فكأس الموت فيهـا قد سقينـا
وهذي قصتي مع شـرح حالي الا يا سامعـون ابكوا علينـا[1]

(1) المنتخب للطريحي

وانت ايتها المسلمة

قرأت هذا الكتاب كما قرأت الكتب التي قبله ، وستقرئين إنْ شاء الله تتمة السلسلة . ومضافاً لما وجدته من ايمان راسخ ، وعقيدة ثابتة ، ومثل رفيعة ، وتفان في سبيل المبدأ ، والتضحية في سبيل الدين ، مضافاً لهذا كله وجدت العفاف في اعلى صورة . وطهارة النفس وصونها عما يشينها ، كما قرأت صورة مصغرة لحياتهن الزوجية ، وانسجامهن التام مع أزواجهن .

وأنت أسعدك الله اجعلي من حياة هذه السيدات نبراساً تسيري عليه ، ومثلاً أعلى تقتدي به ، ونوراً تهتدي به في ظلمات هذه الحياة . صوني نفسك عن التبذل والتبرج ، وانكمشي في بيتك عن الشباب الطائش ، الذي يريد أن يجعلك كعلبة السكاير ، يرمي بك في الشارع عند قضاء وطره منك ، كما يرمي علبة السكاير عند فراغها ، ولا تصدقي بوعوده الكذابة ، فقديما غدر الوف منهم بالوف مثلك . وأنتِ أيتها المتزوجة ، حبي زوجك حتى يحبك ، فقديماً طلب الوزير يحيى بن خالد البرمكي من هارون الرشيد ان يحب ولده الفضل ، وسأله هارون : وكيف لي بذلك .

فقال يحيى : احسن اليه فإنه سيحبك ، فإذا أحبك فانت سوف تحبه .

أحسبك تعتذري عند أول نظرة لكلامي ، بأن هذه السيدات سعدن بأزواج مثاليين ، وأنا لو قدر لي أن اكون عند احدهم لوجدتني سامعة مطيعة .. الخ .

وأنا يا اختي اعترف لك بذلك ، ولكنك ايضاً لست كخديجة ولا

فاطمة .

اصبري على ما في زوجك من غلظة وشدة ، فإذا وجدك غير أنت بالأمس فسوف يهش لك ، ويحمد سيرتك .

وحتى لو لم يفعل فتحمل هذا العبء فيه أجر عظيم ، ومثوبة من الله سبحانه ، والحذر ثم الحذر ان تدنسي فراشك ، وتهجني نسلك ، فهو العار والنار .

اخذ الله بأيدينا جميعاً لما فيه الخير والصلاح . **﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾**[1] .

---

(١) الإسراء / ٩٧ .

كلمات العلماء والعظماء

يمتاز أهل البيت عن غيرهم باجماع الأُمة باسرها على فضلهم وشرفهم وكمالهم بينما لم تجتمع الأُمة على غيرهم ، وهذا مما اختصوا به وميّزوا به .

وقد مرت عليك كلماتِ العلماء والعظماء على اختلاف نحلهم ومذاهبهم في كتبنا السابقة في الإشادة بهذه النساء الخالدات ، ونذكر الآن ما ورد في أُم كلثوم (عليها السلام) :

١ ـ قال محمد علي المدرس : أُم كلثوم بنت علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، كانت فهيمة كثيراً ، وبليغة ، وجليلة القدر ، وخطبتها في مجلس ابن زياد معلومة[١] .

٢ ـ قال الشيخ عبدالله المامقاني : أُم كلثوم بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) ، هذه كنية لزينب الصغرى ، وقد كانت مع أخيها الحسين (عليه السلام) بكربلاء ، وكانت مع السجاد (عليه السلام) في الشام ، ثم الى المدينة ، وهي جليلة القدر ، فهيمة ، بليغة ، وخطبتها في مجلس ابن زياد معروفة ، وفي الكتب مسطورة ، وإنّي اعتبرها من الثقات[٢] .

٣ ـ قال عمر رضا كحالة : أُم كلثوم بنت علي بن ابي طالب ، من فواضل نساء عصرها ، ولدت قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)[٣] .

---

(١) ريحانة الأدب ٦/٢٣٤ .

(٢) تنقيح المقال ٣/٧٣ .

(٣) اعلام النساء / ٢٥٥ .

نهاية المطاف

مرت علينا صفحات من حياة هذه المرأة العظيمة ، ولمحات من سيرتها الكريمة ، واستعراض لخطبها ، ومواقفها في يوم عاشوراء ، والأيام التي تلته .

وأحسب ان مهمتي في هذا الكتاب ـ ان وفقت ـ ان ادفع بالمرأة المسلمة نحو هذه السيرة ، وهذا النهج .

وبغير هذا وذاك فالكتاب اشغال ومضيعة للوقت. اننا مدعوون ـ رجالاً ونساءً ـ للسير على هدي اهل البيت (عليهم السلام) ، والتخلق بأخلاقهم ، والإنتهاج بنهجهم ، لنحقق ما نصبوا اليه من خير وسعادة ، والله المستعان ، وهو ولي التوفيق .

أعلام النساء

(٦)

زينب
بنت الامام امير المؤمنين
عليه السلام

الإهداء

يا أبا الشهداء

لقد سجل التاريخ يومك الخالد ـ يوم عاشوراء ـ بمداد من نور ، على صفحات العزة والخلود .

ولعمري ان موقف اختك العقلية كان متمما لنهضتك المباركة ، مكملاً لأشواطك الجهادية .

وإن هذا الكتاب صورة مصغرة لحياتها ، ومواقفها البطولية ، أرفعه اليك آملاً منك القبول .

عبدك

علي محمد علي دخيل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

يشترك هذا الكتاب بالكتب التي سبقته ، كترجمة مختصرة للسيدة زينب (عليها السلام) ، نذكر فيه ما ذكرناه فيها من الفصول .

ويختلف عنها إذ هو فصل من مأساة كربلاء وما تلاها من محن ورزايا .

ان حديث كربلاء برز على كل حديث ، فكل شخص يُكتب عنه وقد شهد كربلاء ينجر الكاتب للحديث عن الواقعة وما يتعلق بصاحب الترجمة متناسياً جوانب حياته الأُخرى .

وحتى الحسين (عليه السلام) ، فلو تصفحت الكتب المؤلفة عنه (عليه السلام) لوجدتها ـ مع كثرتها ـ تدور حول شهادته ، تاركة المجالات الأُخرى مع ما فيها من عظات وعظمة جديرة بالبحث والدراسة .

ولعل بعض الحق للكاتب في ذلك ، فمأساة كربلاء لم تشهد مثلها الانسانية في تاريخها الطويل ، ولم تروع البشرية طيلة قرونها المتطاولة ما رؤعته في يوم عاشوراء ، وما أُديل الباطل من الحق منذ أن خلق الله سبحانه الانسان كما أُديل في كربلاء .

ان حديث كربلاء طغى على التاريخ من أول يومه ، واستأثر باهتمام العالم ، وسيبقى حديث الأُمم والأجيال ، وسيبقى اسم الحسين (عليه السلام) نبراساً للثائرين ، ومثلاً أعلى للأحرار. ولقد كان للعقلية اليد الطولى في تكملة أشواط الحسين (عليه السلام) ، ونشر دعوته ، واعلان مظلوميته على الملأ ، فهي والحق شريكته في نهضته ، وصوته المدوِّي في الآفاق .

ان العقلية بخطبها وحججها وتدبيرها غيرت الاتجاه العام ، وأقامت الدنيا على الأمويين ، حتى اضطر يزيد الى لعن ابن زياد متبرياً من دم الحسين (عليه السلام) ، وأقام المآتم عليه في داره ، رعاية للشعور العام الذي تركته العقيلة في الشام .

واذا كانت الشام قاعدة أمية ، وعاصمة معاوية ، وقد استطاعت العقيلة ان تبلور فيها الموقف ، وتقلب الرأي العام ، فلنا ان نقدر ما أحدثته من أثر في الكوفة والمدينة ، وبقية الأمصار الاسلامية .

نعم ، لم يتم ليزيد عامه الأول حتى أعلنت المدينة ثورتها على يد ابناء المهاجرين والأنصار ، وتلتها مكة ، ثم الكوفة ، وكانت أخيراً انتفاضة ايران التي حطمت عروش أمية .

وهذا الكتاب صورة مصغرة لحياة هذه المرأة العظيمة ، واستعراض لبعض مواقفها البطولية في سبيل الاسلام ، وجهادها لاعلان كلمة الحق .

في سطور

جدها ـ لامها : رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

جدتها ـ لامها : خديجة بنت خويلد أم المؤمنين .

جدها ـ لابيها : أبو طالب .

جدتها ـ لأبيها : فاطمة بنت أسد .

أبوها : علي أمير المؤمنين (عليه السلام) .

امها : فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

أخواها : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[1] .

اختها : أم كلثوم .

ولدت في ٥ جمادى الأولى سنة خمس للهجرة .
سماها رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

ألقابها : الصديقة الصغرى ، العقيلة[2] عقيلة بني هاشم ، عقيلة الطالبيين ، العارفة ، الموثقة ، العالمة ، الفاضلة ، الكاملة ، عابدة آل علي .

زوجها : عبدالله بن جعفر بن أبي طالب .

---

(١) ولها اخوة وأخوات كثيرون ولكن ليسوا من فاطمة (عليها السلام) .

(٢) العقيلة : هي المرأة الكريمة على قومها ، العزيزة في بيتها .

أولادها : علي ، عون ، محمد ، عباس .

بناتها : ام كلثوم .

كان لها مجلس علمي حافل ، يقصده جماعة من النساء اللواتي يردن التفقه في الدين[1] .

شهدت مأساة كربلاء ، وكانت (عليها السلام) هي التي تدير شؤون العائلة بعد شهادة أخيها الحسين (عليه السلام) .

توفيت في ١٥ رجب سنة ٦٥ هجرية .

قبرها : في ضواحي دمشق ، يناسب جلالتها وعظمتها ، يتوافد إليه المسلمون من مختلف أقطار العالم ، للتبرك به ، والدعاء عنده ، ولها مشهد آخر في مصر لا يقل روعة وزواراً عن مشهدها في دمشق .

---

(١) بطلة كربلاء / ٤١ .

تفسيرها للقرآن الكريم

ذكر بعض أهل السير : أن العقيلة كان لها مجلس خاص لتفسير القرآن الكريم ، تحضره النساء[1] .

وليس هذا بمستكثر عليها ، فقد نزل القرآن في بيتها ، وأهل البيت أدرى بالذي فيه ، وخليق بامرأة عاشت في ظلال أصحاب الكساء ، وتأدبت بآدابهم ، وتعلمت من علومهم ، ان تكون لها هذه المنزلة السامية .

ونحن إذا تأملنا كلمة الامام زين العابدين (عليه السلام) لها (أنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة) أدركنا سمو منزلة العقيلة العلمية ، فالامام في عقيدتنا لا يستهويه حب فيكيل المدح ، ولا يستفزه بغض فيسرع في الذم ، وإنما كلامه مطابق للواقع .

وهناك ما يؤكد مقامها العلمي ، ومقدرتها على التفسير ، هي خطبها المدوّية ، في تلك المحافل الحاشدة بالشامتين بها ، والحاقدين عليها ، إنه لموقف يعجز عن الكلام فضلاً عن الخطابة ، ولكنها ابنة امير المؤمنين (عليه السلام) .

إن من سبر حياة العقيلة ـ لا سيما في الفترة التي تلت يوم عاشوراء ـ يقطع بأن لهذه المرأة شأن عظيم ، ومنزلة كبرى ، وان المولى جل شأنه رزقها من العلم والحلم وسائر الفضائل ، وهيأها لتحمل هذه المسؤوليات العظام ، ليتم على يديها النصر العظيم ، الذي بدأه سيد الشهداء بموقفه المشرف يوم

---

(١) سفينة البحار ١/٥٥٨ .

عاشوراء ، وأتمته هي (عليها السلام) بمواقفها في كربلاء ، والكوفة ، والشام .

ولولا مواقف العقيلة في الكوفة والشام لاستطاع بنو أمية تعمية الموضوع على المسلمين ، ولكانت هذه الفادحة العظمى تمر شأن غيرها من النكبات التي أُصيب بها المسلمون فنسوها ، ولكنها غيرت الموقف ، واربكت العاصمة الأموية ، وغيرت وجه التاريخ .

سيرتها

إن أفضل ما في حياة العظماء هي سيرتهم ، فهي حجر الزاوية في سر عظمتهم وخلودهم ، وإن دراستها تساعدنا على الاقتداء بهم ، وتبني مبادئهم ، وبذلك ترتفع الأمة ، وتحقق آمالها في السعادة والخير فيجب اذن أن نأخذ هذه السير للعمل والتطبيق ، لا للحديث والتاريخ ، نقدم في هذا الفصل بعض ما ورد من سيرة العقيلة (عليها السلام) .

١ ـ قال يحيى المازني : كنت في جوار أمير المؤمنين (عليه السلام) مدة مديدة ، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته ، فوالله ما رأيت لها شخصاً ، ولا سمعت لها صوتاً ، وكانت اذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) تخرج ليلاً ، والحسن عن يمينها ، والحسين عن شمالها ، وأمير المؤمنين امامها ، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين فأخمد ضوء القناديل ، فسأله الحسن مرة عن ذلك ، فقال : أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب[1] .

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) : ما ادخرت شيئاً من يومها لغدها[2] .

٣ ـ قال الامام زين العابدين (عليه السلام) : إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من قيام ، الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة ، الى

---

(١) زينب الكبرى للنقدي / ٢٢ .

(٢) زينب الكبرى / ٦١ .

الشام ، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس ، فسألتها عن سبب ذلك ، فقالت : أُصلي من جلوس لشدَّة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال ، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال ، لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة[1] .

٤ ـ إن الرسول الذي ساير أهل البيت في طريقهم من الشام الى المدينة قد أحسن صحبته لهم ، ولما قربوا من المدينة قالت فاطمة بنت امير المؤمنين لأُختها زينب : قد وجب علينا حق هذا لحسن صحبته فهل لك أن تصليه ؟

قالت : والله ما لنا ما نصله به إلا ان نعطيه حلينا .

قالت فاطمة : فأخذت سواري ودملجي ، وسوار أُختي ودملجها ، فبعثنا به اليه ، واعتذرنا من قلتها ، وقلنا : هذا بعض جزائك ، لحسن صحبتك إيانا .

فقال : لو كان الذي صنعته للدنيا كان في دون هذا رضاي ، ولكن والله ما فعلته إلا لله ، وقرابتكم من رسول الله (صلى الله عليه وآله)[2] .

---

(١) زينب الكبرى / ٦٣ .
(٢) البحار ٢٢٩/١٠ .

عبادتها

في سلسلة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) ذكرت لكل واحد منهم بعض ما ورد من عبادته وتهجده وأوراده .

ولذة العبادة ، ومناجاة المولى سبحانه وتعالى لا يعرفها إلا أهلها، فهم يأنسون بها أكثر من انسنا بأشيائنا المادية ، ويرتاحون اليها أكثر من ارتياحنا بزبرجة الحياة الفانية .

وفي هذه الصفحات بعض ما ورد من عبادة العقيلة (عليها السلام) .

١ ـ قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) : إن عمتي زينب مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا الى الشام ما تركت نوافلها الليلية[١] .

٢ ـ قال بعض ذوي الفضل : إنها صلوات الله عليها ما تركت تهجدها لله تعالى طول دهرها ، حتى ليلة الحادي عشر من المحرم[٢] .

٣ ـ كانت ثانية أُمها الزهراء في العبادة ، وكانت تؤدي نوافل الليل كاملة في كل اوقاتها ، حتى أن الحسين (عليه السلام) عندما ودع عياله وداعه الأخير يوم عاشوراء قال لها : أُختاه لا تنسيني في نافلة الليل ، كما ذكر ذلك البيرجندي ، وهو مدون في كتب السير[٣] .

---

(١) زينب الكبرى / ٦٢ .
(٢) زينب الكبرى / ٦٦ .
(٣) أدب الطف ٢٤٢/١ .

عصمتها

العصمة : هي لطف من الله تعالى بالمعصوم بحيث لا يكون له مع ذلك داع الى ترك الطاعة ، ولا الى فعل المعصية ، مع قدرته عليهما .

وهذا اللطف الإلهي يفيضه الله سبحانه على من استعد له ، وهيأ نفسه لحصوله قال السيد المرتضى (رحمه الله) : اعلم ان العصمة هي اللطف الذي يفعله الله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح ، فيقال على هذا : إن الله تعالى عصمه ، بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح ، ويقال : ان العبد معصوم لأنه اختار عند هذا الداعي الذي فعل له الامتناع من القبيح(١) .

والعصمة واجبة للأنبياء والأئمة (عليهم السلام) لوقوعهم في طريق التبليغ ، فلو لم يكونوا معصومين لجاز أن يقع منهم الخطأ والسهو ، بل والمعصية ، وبذلك يسقط مقامهم بين الناس ، فيتعذر عليهم التبليغ والارشاد ، فيفشلوا في مهمتهم ، وتنتفي الغاية من ارسالهم وتنصيبهم .

وشيء آخر يحدث : هو احتياجهم الى من يرشدهم ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، فيكون الآمر حينئذ مأموراً ، والناهي منهياً ، وفيه ما فيه من المفاسد ، وسد طريق الاصلاح .

فوجب لهذا وغيره عصمة النبي والامام من كل ذنب وخطأ .

وهناك أشخاص غير واجبي العصمة ، أي ليس من ضروريات الدين

---

(١) الأمالي ٣٤٧/٢ .

عصمتهم لأنهم لم يقعوا في طريق التبليغ ، لكنهم نالوا هذه المنزلة الرفيعة من الله سبحانه بصحة ضمائرهم ، وصدق نياتهم ، واخلاصهم في عبادته سبحانه وتعالى ، واتباعهم لأوامره وناهيه ، ودأبهم على طاعته حتى بلغوا اسمى درجات الفضل والكمال .

وتعرف هذه الملكة لهـؤلاء بأمرين :

١ ـ شهادة المعصوم ، فهي حجة بحقهم ، لأنه لا يعطيها اعتباطاً تنزيهاً له عن الخطأ في القول والعمل .

٢ ـ مرورهم بالأزمات العظيمة ، والنكبات المذهلة ، ومع ذلك لا يصدر منهم إلا الرضا والتسليم لأمره سبحانه ، فإذا كان هذا حالهم في أيام البؤس والمحن ، فهم أولى بالشكر في حال اليسر والرخاء .

ويقطع علماؤنا (رضوان الله عليهم) أن العقيلة من أولئك النفر ، فقد حصل لها الأمر الأول ـ شهادة المعصوم ـ بكلمة الإمام زين العابدين (عليه السلام) : عمة انت عالمة غير معلمة ، وفهمة غير مفهمة ، فهي إشارة الى هذه المنزلة .

قال العلامة الشيخ جعفر نقدي : يريد أن مادة علمها من سنخ ما منح به رجالات بيتها الرفيع ، أُفيض عليها إلهاماً لا بتخرج على استاذ ، وأخذ عن مشيخة ، وإن كان الحصول على تلك القوة الربانية بسبب تهذيبات جدها وأبيها وأخويها ، او لمحض انتمائها إليهم ، واتحادها معهم في الطينة ، المكهربيـــن لذاتها القدسية ، فأُزيحت عنها بذلك الموانع المادية ، وبقي مقتضى اللطف الفياض وحده ، واذ كان لا يتطرقه البخل بتمام معانيه عادت العلة لافاضة العلم كله عليها بقدر استعدادها تامة ، فافيض عليها بأجمعه ، إلا ما اختص به أئمة الدين (عليهم السلام) ، من العلم المخصوص بمقامهم الأسمى ، على أن هنالك مرتبة سامية لا ينالها الا ذو حظ عظيم ، وهي المرتبة الحاصلة من الرياضيات الشرعية ، والعبادات الجامعة لشرائط

الحقيقة ، لا محض الظاهر الموفي لمقام الصحة والأجزاء ، فإن لها من الآثار الكشفية ما لا نهاية لأمدها ، وفي الحديث (من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) ولا شك أن زينب الطاهرة قد أخلصت لله كل عمرها ، فماذا تحسب أن يكون المنفجر من قلبها على لسانها من ينابيع الحكمة . وما أحلى كلمة قالها علي جلال في كتاب الحسين : من كان النبي (صلى الله عليه وآله) معلمه ، ومن كان أبوه علي ابن أبي طالب ، وأمه فاطمة الزهراء ، ناشئاً في أحضان جده ، وأصدقاء أبيه ، سادات الأمة ، وقدوة الأئمة ، فلا شك أن يغر العلم غرا كما قال ابن عمر[1] وما صدر عنها في مأساة الطف أكبر شاهد على ما بيناه في الأمر الثاني - التسليم لأمره سبحانه - من الرضا بمر القضاء ، فهي تقول في عصر عاشوراء ، وقد وقفت على أخيها الحسين (عليه السلام) ، وهو مقطع بالسيوف : اللهم تقبل منا هذا القليل من القربان .

وتقول ليزيد : الحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان .

---

(١) زينب الكبرى / ٣٤ .

في كربلاء

وليس قصدي في هذه الصفحات أن أُحصي مواقف العقيلة في كربلاء ، أو أذكر كل أعمالها في يوم عاشوراء ، فكتب المقاتل قد تكفلت بذلك ، فقد ذكرت لها مقامات جليلة ، ومشاهد عظيمة في ذلك اليوم العصيب .

ولكن أُريد أن أذكر لها موقفاً مشرفاً في ذلك اليوم سيبقى خالداً مدى الدهر ، يقتبس منه المؤمنون ايماناً ، ويجد فيه المسلمون عزماً وحزماً ، ويأخذ منه المعتبرون عظة ودروساً ، ويستلهم منه الأبطال فتوة ونجدة ، ذلك موقفها بعد العصر من يوم عاشوراء .

فقد خرجت (عليها السلام) بعد مصرع الحسين (عليه السلام) وهي تنادي : واأخاه ، واسيداه ، واأهل بيتاه ، ليت السماء اطبقت على الأرض ، وليت الجبال تدكدكت على السهل[1] ثم انعطفت نحو المعركة ، يحيط بها الألوف من الأعداء ، حتى إذا انتهت الى جسد سيِّد الشهداء ، وقد غطت بدنه الشريف قطع السيوف والرماح والحجارة ، فأخذت ترفع ذلك عن بدنه الشريف ، ثم وضعت يديها تحته ، رافعة له ، وهي تقول : اللهم تقبل منا هذا القليل من القربان[2] .

يكاد العقل ينذهل لهذا الموقف ، ويحجم عن تفسيره ، أهو الايمان

---

(١) مقتل الامام الحسين (عليه السلام) للمقرم / ٣٥٩ .

(٢) زينب الكبرى / ٧٥ .

الثابت ، المستأصل في النفس ، المستغرق للحواس والمشاعر .

أم هو الانصهار في بوتقة الاسلام ، فلا ترى أعز منه وإن كان الحسين (عليه السلام) .

أو الرضا بمكروه القضاء ، والصبر في أعلى صوره ، وأسمى غاياته .

أو اجتمعت هذه كلها عندها ، فغدت ملاكاً سماوياً في أرض البطولات .

ثم انفجرت بشكواها الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قائلة : يا محمداه ، صلى عليك مليك السماء ، هذا حسين مرمل بالدماء ، مقطع الأعضاء ، وبناتك سبايا الى الله المشتكى ، والى محمد المصطفى ، والى علي المرتضى ، والى فاطمة الزهراء ، والى حمزة سيد الشهداء . يا محمد هذا حسين بالعرا ، تسفي عليه الصبا ، قتيل اولاد البغايا ، واحزناه ، واكرباه عليك يا أبا عبدالله . اليوم مات جدي رسول الله . يا أصحاب محمد هؤلاء ذرية المصطفى ، يساقون سوق السبايا ، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والردا ، بأبي من أضحى معسكره يوم الاثنين نهباً ، بأبي من فسطاطه مقطع العرى ، بأبي من لا غائب فيرجى ، ولا جريح فيداوى بأبي من نفسي له الفدا ، بأبي المهموم حتى قضى ، بأبي العطشان حتى مضى ، بأبي من شيبه يقطر بالدماء ، بأبي من جده محمد المصطفى ، بأبي من جده رسول إله السماء ، بأبي من هو سبط نبي الهدى ، بأبي محمد المصطفى ، بأبي خديجة الكبرى ، بأبي على المرتضى ، بأبي فاطمة الزهراء ، بأبي من ردت عليه الشمس حتى صلّى .

فأبكت كل عدو وصديق[1] .

---

(١) زينب الكبرى / ١١٠ وفي نفس المهموم /١٥٩ بلفظ مقارب .

بعد مصرع الحسين
(عليه السلام)

لم تر امرأة ما رأته زينب من المصائب والمحن ، شرقت الشمس وحولها الفتية الهاشمية ، وأشبال عبد المطلب ، وليوث الأنصار ، وغربت وهم صرعى على الصعيد مجزرين .

وليس هذا وحده ، فهناك العشرات من الأطفال يطاردون خلفها بعد أن أُضرمت النار في المخيم ، وهم ينادون : عمة الى أين نذهب ، هذه النار قد اقتربت منا .

وهناك عائلة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ومخدرات أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وبنات فاطمة (عليها السلام) ، وقد لذن بها محتميات من بأس الأعداء ، ينظرن ما تصنع . .

ويقول صاحب الخصائص الحسينية ، انها كانت قد وطنت نفسها عند إحراق الخيم أن تقر في الخيمة مع النسوة ، إن كان الله شاء إحراقهن كما شاء قتل رجالهن ، ولذلك قالت لزين العابدين (عليه السلام) عند اضطرام النار يا ابن أخي ما نصنع ؟ مستفهمة منه مشيئة الله فيهن ، وإلا فمن يرى النار يهرب منها بالطبع ، ولا يستشير فيما يصنع[1] ويجيب (عليه السلام) : عمة فروا على وجوهكم ففررن ، بنات الزهراء ، يتراكضن من خباء الى خباء ، ومن خيمة الى خيمة .

استمرت هذه النار بعض الوقت ، ملتهمة ما أبقاه أهل الكوفة من متاع

---

(١) أدب الطف ٢٤٢/١ .

لآل محمد ، ثم سكنت ، ولم يسلم من تلك الخيام إلا خيمة واحدة .

أخذت زينب تجمع فيها النساء والأطفال ، تتفقد النساء واحدة واحدة ، وتتفحص عن الأيتام جميعهم ، وطبيعي أنها لم تستطع أن تجمع كل الذين فروا ، فهناك أطفال سحقتهم الخيل ، وآخرون ذهبوا من غير قصد .

نعم إنها بذلت أقصى جهدها في جمع النساء والأطفال في تلك الخيمة ، ثم جلست طرف الخيمة ، وأمرت أختها أم كلثوم بالجلوس في الطرف الآخر حراسة للعائلة ، وحفظها من الطوارق .

تعمل زينب هذا وكأنها لم تصب بهذه الكارثة ، ولم تروع بهذه المصيبة ، فهي تدير العائلة كأحسن ما يمكن ان تدار ، تجمع المتشتت ، وتمرض المريض ، وتصبر النسوة ، وتهدىء اليتامى .

تقوم زينب بهذا ونحوه برباطة جأش ، وحزم وعزم ، وتتجلى في هذا الموقف مواهب العقيلة وما تتمتع به من إيمان وتقى ، ورضا بقضاء الله تعالى ، وصبر على بلائه .

مع الامام زين العابدين
(عليه السلام)

وبتخدير عام للمجتمع قام به ابن مرجانة ، وفي سبات عميق شمل رجالات الاسلام ، وبقايا الصحابة والتابعين ، وما أفاق الجميع إلا بعد أن قتل الحسين (عليه السلام) ، وأهل بيته ، وأصحابه ، رضـوان الله عليهـم أجمعين .

وأحسب أن قتله (عليه السلام) من عجائب الدنيا ، وإلا فكيف تقتل أمة سبط نبيها ، وتستأصل آله وأصحابه ، وبين ظهرانيهم بقايا الصحابة . ومن وعى أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) الكثيرة في أهل بيته ، فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يزل يشيد بأهل بيته (عليهم السلام) ، فيصفهم مرة : بسفينة نوح ، التي من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى ، وأخرى : بباب حطة الذي من دخله كان آمناً ، وثالثة : بالأمان لأهل الأرض ، وينعت الحسين (عليه السلام) : بالسيد ابو السادة ، والامام ابن الامام ، والحجة ابن الحجة ، أبو الحجج ، ومرة يقول : حسين مني وأنا من حسين ، وأخرى : سيد شباب اهل الجنة ، الى عشرات الأحاديث .

وهب أنهم قتلوا الحسين (عليه السلام) متناسين مقامه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فما هو المبرر لحمل عائلته سبايا ، كما يصنع بالكفار والمشركين .

بزغت شمس اليوم الحادي عشر من المحرم وأهل الكوفة يوقفون مطاياهم العجف بباب خباء زينب ، يريدون حملهم إلى الكوفة ، وليس لهم من رجالهم الأشاوس ، وفتية عبد المطلب ، إلا الامام زين العابدين (عليه

السلام) ، وقد أنهكته العلة ، وأقعده المرض .

وأنفت ابنة فاطمة أن يركب عائلة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، أجلاف أهل الكوفة ، وبقايا المنافقين ، فطلبت منهم أن يتنحوا عنهم ، ليركب بعضهم البعض .

ويذهب السيد الرضي (رضوان الله عليه) إلى أن النياق لم تكن تكفي جميع العائلة ، فركب البعض ، ومشي البعض ، فيقول :

ومسوق عاثر يسعى به اثر محمول على غير وطا

وكان برنامج السير الذي رسمه أهل الكوفة : هو أن يمروا بالعائلة على مصارع الشهداء ، وشاهدت زينب أخاها الحسين (عليه السلام) صريعاً تحف به الفتية الهاشمية ، كما شاهدت جزع الامام زين العابدين (عليه السلام) لذلك فقالت له مصبرة : ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي واخوتي ؟

فقال (عليه السلام) : وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي واخوتي وعمومتي وولد عمي مصرعين بدمائهم ، مرملين بالعراء ، مسلبين ، لا يكفنون ولا يوارون ، ولا يعرج عليهم أحد : ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر .

فقالت (عليها السلام) : لا يجزعنك ما ترى ، فوالله ان ذلك لعهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى جدك وأبيك وعمك ، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأُمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأُمة ، وهم معروفون في أهل السماوات ، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها ، وهذه الجسوم المضرجة ؛ وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه ، على كرور الليالي والأيام ، وليجهدنَّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد إلا ظهوراً ، وأمره إلا علواً[1] .

---

(١) كامل الزيارات / ٢٦٣ .

وبعد مسير للعائلة يستغرق أكثر من يومين ، تدخل زينب الى الكوفة ، عاصمة أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان مجلس ابن زياد ينتظرها . يستعرض ابن زياد آل محمد (صلى الله عليه وآله) ، ويسأل عن كل فرد منهم ، ويستغرب وجود الامام زين العابدين (عليه السلام) من بين آل الحسين (عليه السلام) حيا ، وقد سبقه النبأ من ابن سعد أنه اجتاحهم ، فيسأله : من أنت :

فقال (عليه السلام) : أنا علي بن الحسين .

فقال : أليس قد قتل الله علي بن الحسين ؟

فقال (عليه السلام) : كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس .

فقال ابن زياد : بل الله قتله .

فقال (عليه السلام) : الله يتوفى الأنفس حين موتها .

فغضب ابن زياد وقال : وبك جرأة لجوابي ، وفيك بقية للرد عليّ ، اذهبوا به فاضربوا عنقه .

فتعلقت به عمته زينب ، وقالت : يا ابن زياد حسبك من دمائنا ، واعتنقته وقالت : والله لا أُفارقه فإن قتلته فاقتلني معه .

فنظر ابن زياد اليها ثم قال : عجباً للرحم ، والله اني لأظنها ودت أني قتلتها معه ، دعوه فإني أراه لما به[1] .

وفي الشام كانت (عليها السلام) ترعاه وتتفقده . قال المنهال بن عمر للإمام زين العابدين (عليه السلام) وقد رآه بالشام : كيف أمسيت يا ابن رسول الله ؟

قال (عليه السلام) : أمسينا كمثل بني اسرائيل في آل فرعون ، أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها ، وامست قريش تفتخر على سائر

---

(١) الارشاد / ٢٤٤ .

العرب بأن محمداً منها ، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين ، فانا لله وإنا اليه راجعون .

قال المنهال : وبينا يكلمني اذ امرأة خرجت خلفه تقول له : إلى أين يا نعم الخلف؟ فتركني وأسرع اليها ، فسألت عنها قيل : هي عمته زينب[1] .

وبقيت (عليها السلام) طيلة الخط تمرضه ، وتدافع عنه وتعاونه في ادارة العائلة ، وبعد الرجوع الى المدينة كانت لها نيابة خاصة عنه ، يرجع إليها الشيعة في الفتوى رعاية على الامام (عليه السلام) وخوفاً عليه من بني أمية .

قال الشيخ المامقاني : أنابهـا السجاد (عليه السلام) نيابة خاصة في بيان الأحكام ، وجملة أخرى من آثار الولاية[2] .

---

(١) مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم / ٤٦٦ .

(٢) تنقيح المقال ٣/٧٩ .

مع ابن زياد

استدارت الدنيا وإذا بالحاكم صار محكوماً ، وبالمحكوم حاكماً ، فآل محمد (صلى الله عليه وآله) بين قتيل وأسير ، والحكم والأمر لأبناء الطلقاء والبغايا ، ومن عجائب هذه الاستدارة أن يحكم العراقين ابن مرجانة ، وحفيد سمية .

لقد صنع ابن مرجانة صنعاً دل على لؤمه وبغيه وغيه ، فهبه قتل الحسين (عليه السلام) فما معنى أمره بوطىء الخيل صدره الشريف ؟ ! وما هو المبرر لحمل عائلته الى الكوفة سبايا ؟ ! وأكثر من هذا ، فهو يستعرض عائلة الرسول (صلى الله عليه وآله) بالسؤال عن أفرادها ويتفقدهم واحداً واحداً ، فسأل : من هذه المنحازة عن النساء ؟

قيل له : زينب ابنة أمير المؤمنين .

وأحسب ان المجيب له عن سؤاله قدَّر خسته ولؤمه ، فأراد أن يذكره بأنها ابنة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وبدلاً من أن يرعوي فإذا به يقول : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم .

ولم تمهله العقيلة حتى أجابته : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) ، وطهرنا من الرجس تطهيرا ، إنما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا .

قال ابن زياد : كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك ؟

قالت (عليها السلام) : ما رأيت إلا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله

عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أُمك يا ابن مرجانة .

فغضب ابن زياد ، واستشاط من كلامها معه في ذلك الحشد ، فقال له عمرو بن حريث : إنها امرأة وهل تؤاخذ بشيء من منطقها ، ولا تلام على خطل .

فالتفت إليها ابن زياد وقال : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك ، والعصاة المردة من أهل بيتك .

فقالت (عليها السلام) : لعمري لقد قتلت كهلي ، وأبدت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثثت أصلي ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت[1] .

واذا كان كلامها لم يلهب الدنيا ناراً على ابن زياد ، ولم يحرك سوى البطل عبد الله بن عفيف الأزدي (رضوان الله عليه) ، فقد بقي صداه في الآذان ، يستنهض المسلمين ، ويحفزهم للاطاحة بالحكم الأموي الجائر ، فكانت انتفاضة التوابين ، ثم تلتها ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي رحمه الله ، وقتله لابن زياد ، وبقي كلامها ـ فيما أحسب ـ يصك المسامع حتى عبر حدود الكوفة إلى ايران ، وعهده الآباء للأبناء ، حتى كانت حصيلته الرايات السود التي استأصلت أمية .

---

(١) مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم / ٤٢٣ .

في الشام

لم يكتف بنو أمية بما فعلوه بالحسين (عليه السلام) وأهل بيته من القتل والتمثيل ، حتى حملوا عائلته من بلد إلى بلد سبايا ، وكانت خاتمة المطاف الشام ، ومجلس يزيد بن معاوية .

لقد زين يزيد الشام ، وأعلن عن عيد جديد ، وفتح مبين ، وأمر الناس باستقبال أسارى هذا الفتح ، وخرجت الألوف في نشوة الفرح والسرور لاستقبال عائلة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ورؤوس الشهداء .

جاءوا بهم الى مجلس يزيد وقد امتلأ بالناس ، وهم لا يزالون مكتّفين بالحبال ، وأُنزل رأس الحسين (عليه السلام) من على الرمح ، ووضع بين يدي يزيد في طست ، فجعل ينكث ثناياه بقضيب في يده وهو يقول :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وتنبري زينب (عليه السلام) فتجيبه بخطبة عصماء ، لم يدر في خلده أن يسمع تعنيفاً مثلها[1] .

ولم تكن مهمة زينب في الشام الخطبة وحدها ، بل هناك أعمال كثيرة قامت بها في حفظ العائلة ، وإعلان مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ، ذكرتها كتب المقاتل والسير .

---

(١) انظر فصل خطبها من هذا الكتاب .

كلمات العلماء والعظماء

يكفي فاطمة فضلاً وشرفاً كلمة الإمام الحسين (عليه السلام) فيها ، لأن الأئمة (عليهم السلام) لا يحابون احداً ، ولا يستهويهم حب فيمدحون ، ولا يزعجهم بغض فيذمون ، وكلامهم هو الميزان للشخص ، والمعيار الحقيقي له .

وعلماؤنا (رضوان الله عليهم) في مؤلفاتهم في كتب الرجال اذا صحت عندهم رواية في توثيق رجل لا يبالون بعدها بكلام غيره .

نذكر في هذا الفصل كلمة الإمام (عليه السلام) وغيرها من الكلمات :

١ ـ قال الإمام الحسين (عليه السلام) لابن أخيه الحسن المثنى وقد جاء اليه يخطب احدى ابنتيه : أختار لك فاطمة ، فهي أكثر شبهاً بأُمي فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) . اما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار ، وأما في الجمال تشبه الحور العين[1] .

٢ ـ ذكرت فاطمة عند عمر بن عبد العزيز وكان لها معظماً ، فقيل : انها لا تعرف الشر .

---

(١) اسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار / ٢١٠ .

فقال : عدم معرفتها الشر جنبها الشر[1] .

٣ ـ قال الشيخ المفيد : ولما مات الحسن بن الحسن (رضي الله عنه) ، ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) على قبره فسطاطاً ، وكانت تقوم الليل ، وتصوم النهار[2] .

٤ ـ قال الشيخ عباس القمي : وقبض الحسن بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة ، وضربت فاطمة على قبره فسطاطاً ، وكانت تصوم النهار ، وتقوم الليل الى سنة ، نقل ذلك الشيخ المفيد ، وكثير من علماء الشيعة والسنة ، وكان ذلك شايعاً بين النساء المحترمات الحانيات الخ[3] .

٥ ـ قال الشيخ جعفر النقدي : هي من عالمات نساء اهل البيت (عليهم السلام) ، تروي الحديث عن أبيها ، وعن أُم سلمة ، وأُم هاني ، وعن عمتها زينب الكبرى ، وعن أخيها زين العابدين ، ويروي عنها ولدها عبدالله وغيره .

استودعها الحسين (عليه السلام) مواريث الانبياء ، وسلمتها الى السجاد بعد برئه من المرض . . . وخطبتها بالكوفة تنبىء أنها على جانب عظيم من العلم والفضل . وفي بعض الأخبار : كانت عندها اشياء من آثار رسول الله (صلى الله عليه وآله)[4] .

وقال ايضاً : وفضائل فاطمة وزهدها وعبادتها وما جاء في ذلك من الأخبار كثيرة جداً وبما نقلناه الكفاية[5] .

٦ ـ قال خير الدين الزركلي : فاطمة بنت الحسين بن علي بن ابي

---

(١) اعلام النساء ٤/٤٧ .
(٢) الارشاد / ١٩٧ .
(٣) نفثة المصدور / ٣٩ .
(٤) زينب الكبرى / ٥٦ .
(٥) كتابة فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) ص١٣ .

خطبها

لم يكن يدور في خلد زينب أنها ستخطب يوماً ما في مجتمع كبير ، حاشد بالأعداء والشامتين ، ولكن قاتل الله الظروف التي أبرزتها حتى خطبت ، وهي التي كان لا يُرى لها شخص ، ولا يُسمع لها صوت .

ولم تر حتى عينها ظل شخصها الى ان بدت في الغاضرية حسرا

ولكنها الظروف نفسها التي أخرجت أمها الزهراء (عليها السلام) إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين خطبت خطبتها الشهيرة .

نذكر في هذا الفصل خطبتي العقيلة في الكوفة والشام :

١ ـ خطبتها (عليها السلام) في الكوفة :

قال حذيم الأسدي : لم أر والله خفرة قط أنطق منها ، كأنها تنطق وتفرغ عن لسان علي (عليه السلام) ، وقد أشارت الى الناس بأن أنصتوا ، فارتدت الأنفاس ، وسكنت الأجراس ، ثم قالت بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على رسوله (صلى الله عليه وآله) : أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل[١] والغدر والخذل ، أتبكون فلا رقأت[٢] العبرة، ولا هدأت الزفرة ، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً ، تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم ، هل فيكم إلا الصلف[٣] والعجب والشنف[٤] والكذب ، وملق الاماء[٥] وغمز

(١) الختل : الخداع .

(٢) رقأت : جفت .

(٣) الصلف : الذي يمتدح بما ليس عنده .

(٤) الشنف : البغض بغير حق .

(٥) الاماء : الوصائف .

الأعداء[١] أو كمرعىً على دمنة[٢] أو كقصة على ملحودة[٣] ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون ، أتبكون أخي ؟ ! أجل والله فابكوا فإنكم أحرى بالبكاء ، فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً ، فقد ذهبتم بعارها ، ومنيتم بشنارها[٤] ولن ترحضوها ابداً[٥] وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب أهل الجنة ، وملاذ حربكم ، ومعاذ حزبكم ،ومقر سلمكم ، وآسي كلمكم[٦] ومفزع نازلتكم ، والمرجع اليه عند مقاتلتكم ، ومدرة حججكم[٧] ومنار محجتكم ، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم ، وساء ما تزرون ليوم بعثكم ، فتعسا تعسا ، ونكسا نكساً ، لقد خاب السعي ، وتبت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤتم بغضب من الله ، وضربت عليكم الذلة والمسكنة ، أتدرون ويلكم أي كبد لمحمد (صلى الله عليه وآله) فريتم ؟ وأي عهد نكثتم ؟ وأي كريمة له أبرزتم ؟ وأي حرمة له هتكتم ؟ وأي دم له سفكتم ؟ لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السماوات يتفطرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، لقد جئتم بها شوهاء[٨]صلعاء ، عنقاء سوداء ، فقماء ، خرقاء[٩] كطلاع الأرض[١٠] أو ملء السماء ، أفعجبتم أن تمطر السماء دماً ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا

---

(١) الغمز : الطعن .

(٢) الدمنة : المكان الذي يكثر فيه بول الابل وبعرها .

(٣) القصة : بناية مجصصة على القبر .

(٤) الشنار : العار .

(٥) ترحضوها : تغسلوها .

(٦) وأسى كلمكم : دواء جرحكم .

(٧) المدرة : زعيم القوم ولسانهم المتكلم عنهم .

(٨) الشوهاء : القبيحة . الفقهاء . التي ثناياها العليا الى الخارج فلا تقع على السفلى ،

(٩) الخرقاء : الحمقاء .

(١٠) طلاع الأرض : ملؤها .

ينصرون ، فلا يستخفنكم المهل ، فإنه عز وجل لا يحفزه البدار[٣] ولا يخشى عليه فوات الثأر ، كلا إن ربك لبالرمصاد .

ثم أنشأت تقول :

ماذا تقولون اذ قال النبي لكم ماذا صنعتم وأنتم آخر الأُمم
بأهل بيتي وأولادي وتكرمتي منهم اسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
اني لأخشى عليكم أن يحل بكم مثل العذاب الذي أودى على ارم

قال حذيم : فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم ، فالتفت الى شيخ في جانبي يبكي وقد اخضلت لحيته بالبكاء ، ويده مرفوعة الى السماء وهو يقول : بأبي وأُمي كهولهم خير كهول ، ونساؤهم خير نساء ، وشبابهم خير شباب ، ونسلهم نسل كريم ، وفضلهم فضل عظيم ، ثم أنشد :

كهولكم خير الكهول ونسلكم اذا عد نسل لا يبور ولا يخزى[١]

٢ ـ خطبتها في الشام :

لما سمعت زينب بنت علي (عليه السلام) يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعرى :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف ان لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

قالت : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله سبحانه حيث يقول : ﴿ **ثم كان عاقبة الذين أساؤا**

---

(١) يحفزه : يدفعه .

(٢) الاحتجاج ٢/٣١ .

السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴾ أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض ، وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الأُسارى ، أنَّ بنا على الله هوانا ، وبك عليه كرامة ، وان ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك[١] جذلان[٢] مسرورا ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة[٣] والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : **﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين ﴾** .

أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك وإماءك[٤] وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل[٥] ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من حماتهن حمي ، ولا من رجالهن ولي ، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر الينا بالشنف والشنآن ، والإحن والأضغان ، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم .

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب اهل الجنة ، تنكثها بمخصرتك[٦] وكيف لا تقول ذلك ، وقد نكأت القرحة[٧] واستأصلت

---

(١) نظرت في عطفك : أخذك العجب .

(٢) جذلان : فرح .

(٣) مستوسقة : مجتمعة .

(٤) تخديرك حرائرك واماءك : القائك الستر عن نسائك وجواريك

(٥) تستشرف : تنظر ، المناهل : مواضع شرب الماء في الطريق .

(٦) بمخصرتك : المخصرة كالسوط وشبهه .

(٧) نكأت القرحة : قشرتها .

الشأفة[1] باراقتك دماء ذرية محمد (صلى الله عليه وآله) ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وتهتف بأشياخك ، وزعمت انك تناديهم ، فلتردن وشيكا موردهم ، ولتودن أنك شللت وبكمت ، ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت .

اللهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا .

فوالله ما فريت إلا جلدك ، ولا حززت إلا لحمك ، ولتردن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ، ويأخذ بحقهم ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ .

وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد (صلى الله عليه وآله) خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين ، بئس للظالمين بدلاً ، وايكم شر مكانا ، وأضعف جنداً

ولئن جرّت علي الدواهي مخاطبتك ، اني لاستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك[2] وأستكثر توبيخك ، ولكنّ العيون عبرى ، والصدور حرى .

ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء ، بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنطف[3] من دمائنا ، والأفواه تتحلب[4] من لحومنا ،

---

(١) استأصلت الشافة : استأصل الشيء اذا قطعه ؛ الشأفة : قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى وتذهب واذا قطعت مات صاحبها .

(٢) استعظم تقريعك : يشق عليّ تعنيفك ، تشير (عليها السلام) الى سمو مكانتها وشرفها ، وانها أسمى من أن تعنف وتوبخ مثل يزيد حقارة ووضعة .

(٣) تنطف : تقطر .

(٤) تحلّب فمه : سال بالريق .

وتلك الجثث الطواهر ، الزواكي تنتابها العواسل[1] وتعفرها أُمهات الفراعل[2] ولئن اتخذتنا مغنماً ، لتجدنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك ، وما ربك بظلام للعبيد ، وإلى الله المشتكى وعليه المعول .

فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها ، وهل رأيك الا فند وأيامك الا عدد ، وجمعك الا بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين ، والحمد لله رب العالمين ، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، انه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل فقال يزيد :

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح[3] .

---

(١) العواسل : الرماح المضطربة .

(٢) الفراعل : أولاد الضباع .

(٣) مقتل الامام الحسين (عليه السلام) للمقرم / ٤٦٤ وذكرها السيد في اللهوف / ٧٦ والاحتجاج ٢/٣٤ وفي زينب الكبرى ٥٢ .

استجابة دعائها

أمر المولى سبحانه عباده بالدعاء ووعدهم الاجابة ، فقال عز من قائل : **﴿ ادعوني استجب لكم ﴾** وقال : **﴿ أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾** .

وهناك أشخاص لا ترد دعوتهم ، كالمظلوم ، فقد ورد أن دعوة المظلوم أنفذ من السهم .

وقد حذر الشاعر العربي الظالم من دعوة المظلوم :

تنام عينك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

وليس في الدنيا مظلومية أعظم من مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) .

فمنذ وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وهم مظلومون مضطهدون ، تتبعوهم قتلاً وسجناً وتشريداً .

ونحن ذكرنا في سلسلتنا السابقة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) استجابة الدعاء لكل واحد منهم (عليهم السلام) ، ونذكر الآن بعض ما ورد من استجابة دعاء العقيلة (عليها السلام) :

١ - روى أهل المقاتل : ان شامياً تعرض فاطمة بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فدعت زينب (عليها السلام) بقولها : قطع الله لسانك ، وأعمى عينيك ، وأيبس يديك .

فاستجاب الله دعاءها في ذلك الرجل ، فقالت : الحمد لله الذي عجل

لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة[1] .

٢ ـ ان امرأة في الكوفة تسمى (أُم هجام) أهانت رأس الحسين (عليه السلام) عند المرور به على قصرها ، فدعت زينب على قصرها بالهجوم ، فوقع القصر في الحال ، وهلك من فيه ، وكانت هذه المرأة الخبيثة من نساء الخوارج[2] .

٣ ـ دعت على رجل سلبهم في كربلاء فقالت (عليها السلام) : قطع الله يديك ورجليك واحرقك الله بنار الدنيا قبل نار الآخرة .

فوالله ما مرت الأيام حتى ظهر المختار وفعل به ذلك ثم أحرقه بالنار[3] .

---

(١) زينب الكبرى / ٦٦ .
(٢) زينب الكبرى / ٦٧ .
(٣) تظلم الزهراء / ٢١٧ .

شعرها

للعقيلة شأن أسمى من الشعر ، وأرفع من الأدب ، فهي العالمة غير المعلمة ، وهي التي تفسر القرآن الكريم لجماعة النسوة ، ولها مجلس لتعليم الفقه . لكن مأساة كربلاء وما تلاها من مشاهد الحزن والأسى جعلتها تنفس عن آلامها برثاء أخيها الشهيد ، ولعلها كانت تستهدف بهذه المراثي غاية أهم من الرثاء ، هي تعرية الظالمين ، والنيل منهم ، والتحريض عليهم .

أُسجل بعض ما وجدته من شعرها ، وأحسب أن لها شعراً غير الذي ذكرته ، فاتني العثور عليه .

١ ـ لما رأت رأس الحسين (عليه السلام) نطحت جبينها بمقدم المحمل ، حتى سال الدم من تحت قناعها ، وأومت اليه بحرقة ، وجعلت تقول :

يا هلالاً لما استتم كمالا   غاله خسفه فأبدى غروبا
ما توهمت يا شقيق فؤادي   كان هذا مقدراً مكتوبا[١]

٢ ـ ولها (عليها السلام) في رثاء الحسين (عليه السلام) :

على الطف السلام وساكنيه   وروح الله في تلك القباب
نفوس قدست في الأرض قدساً   وقد خلقت من النطف العذاب
مضاجع فتية عبدوا فناموا   هجودا في الفدافد والروابي

---

(١) زينب الكبرى / ١١٠ .

علتهم .في مضاجعم كعاب باردان منعمة رطاب
وصيرت القبور لهم قصورا مناخا ذات أفنية رحاب[1]

٣ ـ قالت بعد خطبتها في الكوفة :

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا صنعتم وأنتم آخر الأُمم
بأهل بيت واولادي وتكرمتي منهم أُساري ومنهم ضرجوا بدم
ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
اني لأخشى عليكم أن يحل بكم مثل العذاب الذي أودى على إرم[2]

٤ ـ فلما رأت (عليها السلام) رأس أخيها بكت وانشأت :

اتشهرونا في البرية عنوة ووالدنا أوحى اليه جليل
كفرتم برب العرش ثم نبيه كأن لم يجئكم في الزمان رسول
لحاكم إله العرش يا شرامة لكم في لظى يوم المعاد عويل[1]

---

(١) أدب الطف ٢٣٦/١ .

(٢) الاحتجاج ٣١/٢ .

(٣) رياض الأحزان / ٧٢ .

احترام الامام الحسين (عليه السلام) لها

لقد كرر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الثناء على بعض النساء ، سواء من سلف منهن : كمريم ابنة عمران ، و آسية بنت مزاحم ، أو من تأخر منهن : كخديجة بنت خويلد ، وفاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وفاطمة بنت أسد ، وغيرهن كثير . كل ذلك منه (صلى الله عليه وآله) تثمين للايمان ، وتقييم للدين . وكي لا يغمط صاحب فضل فضله .

كما أن هذه الأحاديث منه (عليه السلام) هي تشجيع للمسلمات للسلوك في الطريق الذي سلكته هذه النسوة ، وتبنّي النهج الذي نهجنه ، فيندفعن آنذاك نحو الفضيلة والكمال ، فيتكامل حينئذ نصف المجتمع الأكبر .

وعلى هذا سار أئمة الهدى (عليهم السلام) ، في تكريم بعض النساء اللواتي فضلن على غيرهن تقىً وديناً ، كحبابة الوالبية وغيرها كثير ، ذكرهن أصحاب السير والمعاجم .

ومن تتبع التاريخ وجد للعقيلة مكانة لا تضاهيها فيها امرأة أُخرى ، باستثناء أُمها الزهراء (عليها السلام) ، وجدتها خديجة ، ووجد كلمات الثناء عليها من المعصومين (عليهم السلام) وغيرهم كثيرة ، وليست واقعة كربلاء هي التي أسبغت عليها هذه المكانة ، بل هي عريقة المجد ، ربيبة الشرف ، سبطة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وابنة الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وأُخت الحسنين (عليهما السلام) ، أضف الى ذلك كله

كمالاتها الذاتية ، وفضائلها الاكتسابية .

ويكفي في فضلها ما ذكره العلامة السيد جعفر بحر العلوم (رحمه الله) :

انها دخلت على أخيها الحسين (عليه السلام) ، وكان يقرأ القرآن ، فوضع القرآن على الأرض ، وقام لها إجلالاً[1] .

إن هذا الإكبار من سيد الشهداء (عليه السلام) لها يشهد على رفعة مكانتها ، وعظيم منزلتها ، وسمو فضلها عند الائمة (عليهم السلام) ، وقديماً قيل : لا يعرف الفضل إلا أهله .

(١) تحفة العالم ١/٢٣١ .

الكتب المؤلفة فيها

ان اسم زينب (عليها السلام) يلمع في كتب التاريخ والسير والتراجم، وهو أكثر إشعاعاً في البحوث والكتب التي تتحدث عن مأساة كربلاء.

ويستطيع المتتبع أن يؤلف كتاباً مستقلاً عن المصادر التي تتحدث عن العقيلة[1] واقتصرت في هذا الفصل على الكتب المستقلة التي رأيتها أثناء كتابة هذا الكتاب، والتي أشار اليها الآخرون:

١ ـ بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء / الدكتورة بنت الشاطىء / ط ٢ صفحة ١٥٥ قطع الربع / مكتبة الأندلس / بيروت.

٢ ـ خطب الحوراء زينب سلام الله عليها / جاسم السيد حسن شبر / صفحة ٤٦ قطع الربع / دار النشر والتأليف / النجف.

٣ ـ الخصائص الزينبية / السيد نور الدين الجزائري نقل عنه الشيخ جعفر نقدي ص ٣٦.

٤ ـ الرسالة الزينبية / ابن طولون الدمشقي / نقل عنها حسن قاسم في كتابه ص٥٧.

٥ ـ الرسالة الزينبية / شمس الدين السخاوي المصري / نقل عنها

---

(١) سبق لنا أن ألفنا كتاباً مستقلاً عن الكتب المؤلفة في الزهراء (عليها السلام) والمصادر الأخرى عنها (عليها السلام)، وطبع الكتاب في مطبعة الآداب.

حسن قاسم في كتابه ص٨ .

٦ ـ زينب أخت الحسين / محمد الحسين الأديب / صفحة ٦٤ قطع الكف / الحيدرية / النجف .

٧ ـ زينب الكبرى / جعفر النقدي / صفحة ١٥٤ قطع الربع / ط ٤ الحيدرية / النجف .

٨ ـ زينب / عبد العزيز سيد الأهل / صفحة ١٨٠ قطع الربع / القاهرة .

٩ ـ الرسالة الزينبية / جلال الدين السيوطي / نقل عنها النقدي وفرج آل عمران .

١٠ ـ سيدة زينب / محمد الحاج سالمين / نقلت عنه الدكتورة بنت الشاطىء .

١١ ـ السيدة زينب / أحمد فهمي / نقل عنه فرج آل عمران .

١٢ ـ السيدة زينب / حسن محمد قاسم / صفحة ٩٥ قطع الربع / المطبعة المحمودية / مصر .

١٣ ـ السيدة زينب / محمد علي المصري / نقل عنه فرج آل عمران والنقدي .

١٤ ـ السيدة زينب / محمود البيلاوي / ذكره عمر رضا كحالة في أعلام النساء ٢ / ٩١ .

١٥ ـ شرح الخطبة الزينبية / هادي البناني / ذكره في الذريعة١٣ / ٢٢١ .

١٦ ـ الطراز المذهب / عباس قلي خان / صفحة ٦٦٠ قطع الكبير / ايران .

١٧ ـ عقيلة بني هاشم / علي بن الحسين الهاشمي صفحة ٥٦ القطع الكبير / مطبعة الآداب / النجف .

١٨ ـ عقيلة الوحي زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) / عبد الحسين شرف الدين / صفحة ٣١ قطع الكف / مطابع ابن زيدون / دمشق .

١٩ ـ القصيدة الزينبية[١] / علي رضا الهندي / صفحة ١٦ قطع الكف / مطبعة الأزهر / بغداد .

٢٠ ـ المرقد الزينبي / فرج آل عمران / مطبوع مع كتابه زينب الكبرى .

٢١ ـ مع بطلة كربلاء / محمد جواد مغنية / صفحة ١٤٦ قطع الربع / المكتبة الأهلية بيروت ١٩٦٢ .

٢٢ ـ مقام السيدة زينب / البيان العام للتبرعات والنفقات في بناء وتعمير المقام الشريف ابتداء من ١٩٥٠ لغاية ١٩٥٨ / صفحة ٢٤ قطع الربع / مطبعة ابن زيدون دمشق .

٢٣ ـ نفحات من سيرة السيدة زينب بنت الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنها / أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر / صفحة ٤٨ / مطبعة دار التأليف مصر ١٣٦٥ .

٢٤ ـ وفاة زينب الكبرى / فرج آل عمران القطيفي / صفحة ٨٤ قطع الربع / المطبعة الحيدرية / النجف ١٣٧٩ .

---

(١) معلقة على الضريح الشريف بدمشق .

كلمات العلماء والعظماء

تقرأ في هذا الفصل كلمات العظماء والمؤلفين على اختلاف نحلهم ومذاهبهم في تبجيل العقيلة (عليها السلام) ، والثناء عليها ، وذكر مواقفها الجهادية ، ودفاعها عن مبدأالحق ، وصرختها في وجه الظالمين .

ولو استقصينا كتب السير والتراجم لجمع كلماتهم لحصل لدينا كتاب قد يربو على حجم هذا الكتاب ، وقد اقتصرنا على كلمات :

١ ـ قال لها الامام زين العابدين (عليه السلام) : انت بحمد الله عالمة غير معلمة ، وفهمة غير مفهمة[١] .

٢ ـ كان عبدالله بن العباس اذا تحدث عنها قال : حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي (عليه السلام)[٢] .

٣ ـ قال بشير بن حذيم الأسدي : نظرت الى زينب بنت علي يومئذ ولم أر خفرة قط أنطق منها ، كأنما تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وتفرغ عنه[٣] .

٤ ـ قالت حكيمة بنت الامام محمد بن علي الرضا (عليه السلام) : ان الحسين بن علي (عليهما السلام) أوصى الى اخته زينب بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الظاهر ، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين

---

(١) زينب الكبرى / ٣٤ .

(٢) مقاتل الطالبين / ٦٠ .

(٣) مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي ج٢/٤٠ .

(عليه السلام) من علم ينسب الى زينب بنت علي تسترا على علي بن الحسين (عليه السلام)[1] .

٥ ـ قال محمد بن علي بن الحسين القمي (الشيخ الصدوق) : كانت زينب لها نيابة خاصة عن الحسين (عليه السلام) ، وكان الناس يرجعون اليها في الحلال والحرام حتى برىء زين العابدين (عليه السلام)[2] .

٦ ـ قال علي بن محمد الجزري (ابن الأثير) : كانت زينب امرأة عاقلة ، لبيبة ، جزلة ، زوجها أبوها علي (رضي الله عنه) من عبدالله بن أخيه جعفر ، فولدت له علياً ، وعوناً الأكبر ، وعباساً ، ومحمداً ، وأُم كلثوم ، وكانت مع أخيها الحسين (رضي الله عنه) لما قتل ، وحملت الى دمشق ، وحضرت عند يزيد بن معاوية ، وكلامها ليزيد حين طلب الشامي اختها فاطمة بنت علي من يزيد مشهور ، مذكور في التواريخ، وهو يدل على عقل وقوة جنان[3] .

٧ ـ قال النيسابوري في رسالته العلوية : كانت زينب ابنة علي في فصاحتها ، وبلاغتها ، وزهدها ، وعبادتها ، كأبيها المرتضى ، وأُمها الزهراء[4] .

٨ ـ قال جلال الدين السيوطي في رسالته الزينبية : ولدت زينب في حياة جدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكانت لبيبة ، جزلة ، عاقلة ، لها قوة جنان . . . الخ[5] .

٩ ـ قال صاحب انساب الطالبيين :

---

(١) كمال الدين / ٢٧٥ .
(٢) زينب الكبرى / ٣٥ .
(٣) أسد الغابة ٥/٤٦٩ .
(٤) زينب الكبرى / ٢٩ .
(٥) زينب الكبرى / ٢٩ .

وقد امتازت بمحاسنها الكثيرة ، وأوصافها الجليلة ، وخصالها الحميدة ، وشيمها السعيدة ، ومفاخرها البارزة ، وفضائلها الطاهرة[1] .

١٠ ـ قال العلامة البرغاني :

ان المقامات العرفانية الخاصة بزينب من مقامات الامامة ، وانها لما رأت حالة زين العابدين حين رأى أجساد أبيه وأخوته ، وعشيرته ، وأهل بيته على الثرى صرعى ، مجزرين كالأضاحي ، وقد اضطرب قلبه ، واصفر وجهه ، اخذت (عليها السلام) في تسليته ، وحدثته بحديث أُم أيمن[2] .

١١ ـ قال صاحب الطراز المذهب :

ان فضائلها وفواضلها ، وخصالها وجلالها ، وعلمها وعملها ، وعصمتها ، وعفتها ، ونورها وضياءها ، وشرفها ، وبهاءها ، تالية أُمها (عليها السلام) ونائبتها[3] .

١٢ ـ قال محمد رضا المدرس : كانت زينب الكبرى من الفصاحة والبلاغة والعبادة والزهد والتدبير ، والشجاعة ، قرينة أبيها وأُمها ، فإن انتظام أُمور الهاشميين بعد شهادة الحسين (عليه السلام) كان برأيها وتدبيرها[4] .

١٣ ـ قال الشيخ عبدالله المامقاني : زينب وما زينب ، وما أدراك ما زينب ، هي عقيلة بني هاشم ، وقد حازت من الصفات الحميدة ما لم يحزها بعد أُمها احد ، حتى حق أن يقال : هي الصدّيقة الصغرى ، هي من الحجاب والعفاف فريدة لم ير شخصها أحد من الرجال من زمان أبيها واخويها الى يوم الطف ، وهي من الصبر والثبات وقوة الايمان والتقوى وحيدة ، وهي في

---

(١) زينب الكبرى / ٢٨ .
(٢) زينب الكبرى / ٢٧ عن مجالس المؤمنين .
(٣) زينب الكبرى / ٢٧ .
(٤) جنات الخلود / ١٩ .

الفصاحة والبلاغة كأنها تفرغ عن لسان امير المؤمنين (عليه السلام)[1] .

١٤ ـ قال محمد فريد وجدي :

هي زينب بنت علي بن أبي طالب كانت من فضليات النساء ، وجليلات العقائل ، كانت مع اخيها الحسين بن علي في وقعة كربلاء . . الخ[2] .

١٥ ـ قال السيد جعفر بحر العلوم :

زينب الكبرى ، زوجة عبدالله بن جعفر ، تكنى أُم الحسن ، ويكفي في جلالة قدرها ، ونبالة شأنها ، ما ورد في بعض الأخبار : من أنها دخلت يوماً على الحسين (عليه السلام) ، وكان يقرأ القرآن ، فوضع القرآن على الأرض ، وقام لها إجـلالاً[3] .

وقال : يستفاد من آثار اهل البيت جلالة شأن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (عليهما السلام) ، ووقارها ، وقرارها بما لا مزيد عليه ، حتى اوصى إليها اخوها (عليه السلام) ما أوصى قبل شهادته ، وانها من كمل معرفتها ، ووفور علمها ، وحسن اعراقها ، وطيب اخلاقها ، كانت تشبه امها ست النساء ، فاطمة الزهراء ، في جميع ذلك ، في الخفارة والحياء ، وأباها في قوة القلب في الشدات ، والثبات عند النائبات ، والصبر على الملمات ، والشجاعة الموروثة من صفاتها ، والمهابة المأثورة من سماتها[4] .

١٧ ـ قال الدكتور علي ابراهيم حسن :

السيدة زينب هي شقيقة الحسن والحسين (عليهما السلام) . . .

وهي أشهر نساء العرب فصاحة ، وأكثرهن تعبدا ، ونزلت عليها

(١) تنقيح المقال ٣/٧٩ .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٤/٧٩٥ .

(٣) تحفة العالم ١/٢٣١ .

(٤) رياض الأحزان / ٢٤ .

المصائب بفجيعتها في اخوتها .

وقال : فتوفيت تلك السيدة الطاهرة الذيل ، النقية القلب ، البليغة ، الفصيحة ، الشجاعة ، بعد أن مرت في حياتها بأيام كلها بؤس وشقاء ، شهدت خلالها مصرع من شملوها بالرعاية من الأهل والأعزاء[1] .

١٨ ـ قال السيد محسن الأمين :

وأُمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . كانت زينب (عليها السلام) من فضليات النساء ، وفضلها أشهر من ان يذكر ، وأبين من أن يسطر ، وتعلم جلالة شأنها ، وعلو مكانها ، وقوة حجتها ، ورجاحة عقلها ، وثبات جنانها ، وفصاحة لسانها ، وبلاغة مقالها ، حتى كأنها تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبها بالكوفة والشام . . . وليس عجباً من زينب ان تكون كذلك وهي فرع من فروع الشجرة الطيبة النبوية ، والأرومة الهاشمية ، جدها الرسول ، وأبوها الوصي ، وأُمها البتول ، وأخواها لامها وأبيها الحسنان ، ولا بدع ان جاء الفرع على منهاج أصـــله[2] .

١٩ ـ قال السيد هبة الدين الشهرستاني :

لزينب أُخت الحسين (عليهما السلام) شأن ودور كبير النطاق ضمن قضية الحسين (عليه السلام) ، وفي نساء العرب نوادر أمثالها ممن قمن في مساعدة الرجال وشاركنهم في تاريخهم المجيد . وقد صحبت زينب أخاها في سفره الخطير صحبة من تقصد ان تشاطره في خدمة الدين وترويج امره فكانت تدير بيمناها ضيافة الرجال وباليسرى حوائج الأطفال وذاك بنشاط لا يـــوصـــف[3] .

---

(١) نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب /٤٨و٥٢ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩١/٣٣ .

(٣) نهضة الحسين (عليه السلام) /١٠١ .

٢٠ ـ قال عمر ابو النصر :

وأما زينب بنت فاطمة فقد أظهرت أنها من أكثر أهل البيت جرأة ، وبلاغةً وفصاحةً ، وقد استطارت شهرتها بما أظهرت يوم كربلاء وبعده من حجة ، وقوة ، وجرأة ، وبلاغة ، حتى ضرب بها المثل ، وشهد لها المؤرخون والكتاب[1]

٢١ ـ قال خير الدين الزركلي :

كانت ثابتة الجنان ، رفيعة القدر ، خطيبة ، فصيحة ، لها أخبار الخ[2] .

٢٢ ـ قال عمر رضا كحالة :

سيدة جليلة ، ذات عقل راجح ، ورأي وفصاحة ، وبلاغة ، ولدت قبل وفاة جدها بخمس سنين[3] .

٢٣ ـ قال السيد عبد الحسين شرف الدين :

فكانت من الهاشميات كالتي أنجبتها ، تنطق الحكمة والعصمة من محاسن خلالها ، ويتمثلان وما اليهما من اخلاق في منطقها وأفعالها ، فلم ير أكرم منها أخلاقاً ، ولا أنبل فطرة ، ولا أطيب عنصراً ، ولا أخلص جوهراً ، إلا ان يكون جدها ، واللذين أولداها ، وكانت ممن لا يستفزها نزق ، ولا يستخفها غضب ، ولا يروع حلمها رائع .

آية من آيات الله في ذكاء الفهم ، وصفاء النفس ، ولطافة الحس ، وقوة الجنان ، وثبات الفؤاد ، في أروع صورة من صور الشجاعة والاباء والترفع . الـخ[4] .

---

(١) فاطمة بنت محمد .

(٢) الإعلام ١٠٨/٣ .

(٣) اعلام النساء ٩١/٢ .

(٤) كتابه عقيلة الوحي / ٢٤

٢٤ ـ قال أحمد الشرباصي :

فشملها بجلال النبوة ، ونور الحكمة ، وأرضعها لبان الاسلام ، وغذاها بأكف الحق ، وورثت عن أبيها البطل المغوار ، وسيف الله الغالب ، صفة الشجاعة والاقدام ،والفصاحة والبلاغة . . ولها من جودها وكرمها ، وعلمها ، وفضلها ، وجرأتها ، واقدامها ، ونصيحتها ، وبذلها ، وبلاغتها ، وتأثيرها ، وأدبها ، وفكرها ، لها من كل هذا لسان صدق يرفعها الى قمة المجد حين تتسابق الأتراب ، وتتفاضل خرائد البيوتات[1]

٢٥ ـ قال الشيخ جعفر النقدي :

أما زينب صلوات الله عليها ، فلقد كانت في عبادتها ثانية أُمها الزهراء (عليها السلام) ، وكانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن[2].

٢٦ ـ قال حسن قاسم :

السيدة الطاهرة الزكية ، زينب بنت الامام علي بن أبي طالب ، ابن عم الرسول ، صلوات الله تعالى عليه وشقيقة ريحانتيه ، لها أشرف نسب وأجل حسب ، وأكمل نفس ، وأطهر قلب ، فكأنها صيغت في قالب ضمخ بعطر الفضائل ، فالمستجلي آثارها يتمثل أما عينيه رمز الحق ، رمز الفضيلة ، رمز الشجاعة ، رمز المروءة ، وفصاحة اللسان ، قوة الجنان ، مثال الزهد والورع ، مثال العفاف والشهامة ؛ ان في ذلك لعبرة. وقال: ولئن كان في النساء شهيرات فالسيدة أولاهن ، واذا عدت الفضائل فضيلة فضيلة من وفاء ، وسخاء ، وصدق ، وصفاء ، وشجاعة ، وإباء ، وعلم ، وعبادة ، وعفة ، وزهادة ، فزينب أقوى مثال للفضيلة بكل مظاهرها .

وقال : ان اشتهار فضائل السيدة زينب والآثار المروية فيها وعنها في كتب التاريخ ليغني عن التوسع في ترجمتها الشريفة ، وبوجه إجمالي : فهي

---

(١) كتابه نفحات من سيرة السيدة زينب / ٢١ .

(٢) كتابه زينب الكبرى / ٦٦ .

ينبوع فضائل باقية الذكر ، ولا عجب ان عدت المثل الأعلى لرمز الحق ، ومثال الفضيلة ، وشأن الحق ان يستمر ، والفضيلة ان تشتهر ، وقد طبع آل علي على الصدق حتى كأنهم لا يعرفون غيره ، وفطروا على الحق فلا يتخطونه قيد شعرة ، فهم مع الحق والحق معهم يدور حيثما داروا ، ولقد كانت معركة أخيها الحسين المظهر الأتم للحق ، وكانت هي من هذه النهضة داعية للحق ، هاتفة باسمه ، ونور الحق لا يطفأ ، وروح الصدق لا تبيد[1] .

٢٧ ـ قال محمد علي المصري :

السيدة زينب (رضي الله عنها) تعالى ، هي ابنة سيد سادات الأُمة ، علي (كرم الله وجهه) ، وابنة السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، وهي من أجلِّ أهل البيت حسباً ، وأعلاهم نسباً ، خيرة السيدات الطاهرات ، ومن فضليات النساء ، وجليلات العقائل ، التي فاقت الفوارس في الشجاعة ، واتخذت طول حياتها تقوى الله بضاعة ، وكان لسانها الرطب بذكر الله على الظالمين غضباً ، ولأهل الحق عيناً معيناً ، كريمة الدارين ، وشقيقة الحسنين ، بنت البتول الزهراء ، التي فضلها الله على النساء ، وجعلها عند أهل العزم أو العزائم ، وعند أهل الجود والكرم هاشم . . . ولدت (رضي الله عنها) سنة خمس من الهجرة النبوية ، أي قبل وفاة جدها (صلى الله عليه وآله) بخمس سنين ، فسر مُولدها أهل بيت النبوة أجمعين ، نشأة حسنة كاملة ، فاضلة عالمة ، من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وكانت على جانب عظيم من الحلم والعلم ، ومكارم الأخلاق ، ذات فصاحة وبلاغة ، يفيض من يدها عيون الجود والكرم ، وقد جمعت بين جمال الطلعة ، وجمال الطوية ، حتى أنها اشتهرت في بيت النبوة ، ولقبت بصاحبة الشورى ، وكفاها فخراً انها فرع من شجرة أهل بيت النبوة ، الذين مدحهم

---

(١) كتابه زينب الكبرى / ٥ .

الله في كتابه العزيز[1] .

٢٨ ـ قالت الدكتورة بنت الشاطىء :

كانت زينب عقيلة بني هاشم في تاريخ الاسلام ، وتاريخ الانسانية ، بطلة استطاعت ان تثأر لأخيها الشهيد العظيم ، وان تسلط معاول الهدم على دولة بني امية ، وأن تغير مجرى التاريخ .

وقالت ايضاً معلقة على النتائج التي ترتبت على مقتل الحسين (عليه السلام) : ثم سقوط الدولة الاموية فيما بعد ، وقيام الدولة العباسية على دعوة ظنت الشيعة انها للعلويين، ثم ظهور الدولة الفاطمية بالمغرب ، وما صاحب هذا كله وما اعقبه من معارك واحداث كتبت تاريخنا كله منذ مقتل الحسين بل حدث هناك ما هو اهم من هذا : تأصل مذهب الشيعة ، وكان له اثر بعيد في الحياة السياسية ، والمذهبية للشرق والاسلام ، وزينب هي باعثة ذلك ومثيرته .

لا اقول هذا من عندي تزيداً وانما هو قول التاريخ[2] .

٢٩ ـ قال الشيخ محمد جواد مغنية :

ان صلاة السيدة زينب ليلة الحادي عشر من المحرم كانت شكراً لله على ما أنعم ، وانها كانت تنظر الى تلك الأحداث على أنها نعمة خص الله بها أهل بيت النبوة من دون الناس أجمعين ، وأنه لولاها لما كانت لهم هذه المنازل والمراتب ، عند الله والناس . . ولا يشك مؤمن عارف بأن أهل البيت لو سألوا الله سبحانه دفع الظلم عنهم ، ولجوا عليه في هلاك الظالمين لأجابهم إلى ما سألوا . كما لا يشك مسلم بأن رسول الله (صلى الله عليه) لو دعا على مشركي قريش لاستجاب دعاءه . . ولكنهم لو دعوا واستجاب لم تكن لهم هذه الكرامة التي نالوها بالرضا ، والجهاد ، والقتل ، والاستشهاد .

---

(١) زينب الكبرى / ٣٣ .

(٢) كتابها بطلة كربلاء / ١٥٣ و١٤٤ .

وفيَ هذا تجد تفسير قول الحسين : رضا الله رضانا أهل البيت ، نصبر على بلائه ويوفينا أُجور الصابرين . وقول أبيه أمير المؤمنين وهو يجيب على هذا السؤال : كيف صبرك اذا خضبت هذه من هذه ؟ فقال : ليس هذا من مواطن الصبر ، ولكن من مواطن البشرى والشكر .

وقال أيضاً : وتضرعت سيدة الطف الى الله سبحانه أن يتقبل هذا القربان القليل ، لأنها لا تستكثر شيئاً في سبيل الله وطاعته ، حتى قتل أخيها ، وذبح ابنائها ، والسير بها مسبية من بلد إلى بلد . . لقد قدم إبراهيم على ذبح ولده اسماعيل طاعة لله ، واستسلم الولد مختاراً للذبح ، امتثالاً لأمر الله . . وهكذا سيدة الطف استسلمت لقضاء الله ، ورضيت به ، ولم تستكثر وتستعظم ما حل بها تماماً ، كما استسلم ابراهيم واسماعيل لأمر الله وارادته[1] .

٢٩ ـ قال خالد محمد خالد : السيدة زينب التي جلست تستقبل الضحايا وتبصر المصاير في تفويض لله ، ورضا بقضائه[2] .

---

(١) مع بطلة كربلاء / ٦٢و١٣٠ .

(٢) أبناء الرسول في كربلاء ١٧٨ .

نهاية المطاف

كانت هذه الصفحات موجزاً مصغَّراً لحياة السيدة زينب ، وسجلاً صغيراً لسيرتها الكريمة ، كما هي جانب من جوانب مأساة الطف التي عاشتها العقيلة منذ بدايتها وحتى النهاية .

إن هذه الدراسة ـ على اختصارها ـ صورة للنضال والجهاد في سبيل العقيدة والمبدأ ، والدفاع عن المثل التي جاء بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، تحملت أعباءها العقيلة ، كجانب تكميلي لثورة أخيها السبط الشهيد ، فكان موقفها وبقية بنات الوحي في الكوفة والشام امتداداً لموقف ابي الشهداء في كربلاء . واستمراراً لصرخته الاصلاحية في وجوه الظالمين : **﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾** .

أعلام النساء

(٧)

سكينة بنت الامام الحسين
عليهما السلام

الاهداء

يا أبا الشهداء

هذه صفحات من سيرة عزيزتك سكينة ، وقبس من حياتها الكريمة ، وبعض ما جرى عليها من بعدك ، أُقدمها بين يديك ، وأملي يا سيدي منك القبول .

عبدك

علي محمد علي دخيِّل

بسم الله الرحمان الرحيم

هذا الكتاب

هذه صفحات من سيرة السيدة سكينة بنت الامام الحسين (عليه السلام) ، أو هي جانب من مأساة كربلاء ، وما تلاها من وقائع ومآسي تحمّل فيها أهل البيت (عليهم السلام) القتل ، والأسر ، والشماتة ، وفجائع تنوء بحملها الجبال الرواسي .

كما يتناول الكتاب بعض ما نسبوه لهذه المرأة العظيمة من مجالسة الشعراء ، والإستماع لمناشدتهم .. الخ .

وإذا كان تبرير السلف لظلمهم آل محمد (عليهم الصلاة والسلام) هو الطلب للدنيا ، والإستئثار بالملك ، والتفرد بالسلطان ، فما هو عذر الأواخر ، وقد تتبعوهم بالإفتراء ، والتحامل ، والدس ، والوقيعة ، والتهم ، فقد نسجت أخيلتهم وقائع ومشاهد نسبوها لأهل البيت ما أنزل الله بها من سلطان عقوقاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهم ، ومغايظه له في قطعهم، وعناداً له في الأمر بوصلهم .

وكان سهم السيدة سكينة من هذا التحامل والدس النصيب الأوفى ، فقد صوروها ملكة للشعر ، وربة للقريظ ، يجتمع بناديها الشعراء ، وينشدون بين يديها ، فيكون قولها الفصل ، وحكمها الماضي ، واختيارها الموفق ، الى تهم غيرها .

وجدير بالذكر أن الشواعر التي ذكرهن التاريخ ، وبلغن في الشعر القمة كالخنساء ، وليلى الأخيلية وغيرهما ، لم يذكر لهن المؤرخون هذه الفضيلة ـ

اعني التحكيم - بينما لم يذكروا للسيدة سكينة شعراً سوى سبعة أبيات في رثاء أبيها الحسين (عليه السلام) .

وليتهم اكتفوا منها بذلك ، فلم يزوجوها بأخيلتهم بمن ليس لها بكفء ، ومن تحول العداوة المتوارثة في أن ترتضيه لها زوجاً ، ويألفها قرينة .

ثم هم بعد هذا وذاك جعلوا تغزل ابن ابي ربيعة فيها ، وتغنيه بحبها .

وهذا الكتاب المامة سريعة بحياة هذه المرأة العظيمة ، واستعراض لسيرتها ومآثرها ، ورد افتراءات القوم وتحاملهم عليها ، هذا وأملي أن تجد هذه الدراسات قبولاً عند المرأة المسلمة ، فتتخذ من هذه السيرة دليلاً ومرشداً ، يوصلها لخير الدنيا وسعادة الآخرة ، ومن الله نستمد التوفيق .

في سطور

جدها : أمير المؤمنين (عليه السلام) .

جدتها : فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

أبوها : الإمام الحسين (عليه السلام) .

عمها : الامام الحسن (عليه السلام) .

عماتها : زينب ، ام كلثوم[1] .

أُمها : الرباب بنت امرىء القيس بن عدي القضاعي .

اخوتها : الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، علي الأكبر شهيد كربلاء ، عبدالله الرضيع .

أختاها : فاطمة ورقيّة .

أُسمها : آمنة ، أو أمينة ، أو أُميمة ، وأُمها لقبتها بسكينة لسكونها وهدوئها .

زوجها : عبدالله بن الإمام الحسن (عليه السلام) .

وفاتها : يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة ١١٧ هـ .

عمرها : ٧٥ سنة .

---

(١) هؤلاء هم أخوة أبيها من فاطمة (عليها السلام) ، ولها أعمام وعمات هم لغير فاطمة (عليها السلام) .

الإستغراق مع اللّه

لأهل البيت (عليهم السلام) نهج خاص في الحياة ، يختلف عن غيرهم من الناس ، ومن هذا النهج هيامهم بالعبادة ، والإتصال بالله سبحانه ، والإنقطاع اليه .

إن من درس حياتهم (عليهم الصلاة والسلام) ، ونظر الى ما ذكره المؤرخون من عبادتهم ، وأدعيتهم ، وتلاوتهم ، وبكائهم ، يقطع بذلك ، فكل من ترجم لهم (عليهم السلام) ، ذكر لهم هذا الاستغراق مع المولى جل شأنه ، ولم يذكر المؤرخون وأهل السير والتراجم لغيرهم ما ذكروه لهم من العبادة ، حتى ان بعضهم صلوات الله وسلامه عليه كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة[1] الى غير ذلك من تلاوة للقرآن الكريم ، وأدعية ، وأوراد .

ولكثرة خلوتهم بربهم ، وتفرغهم لعبادته أنشأوا أدعية كثيرة تفتخر بها الطائفة اليوم ، اذ لم يرد مثلها عن غيرهم ، ولم يعرفها المسلمون لغيرهم من الصحابة ، والتابعين ، والعلماء .

كل هذا يدل على انقطاعهم الى المولى جل شأنه ، والإستغراق في ملكوته ، والهيام بحبه والتزلف لديه سبحانه وتعالى .

وقد أخذ عنهم هذا الإنقطاع والاستغراق مع الله سبحانه ابناؤهم ، فما

---

(١) انظر سلسلة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) للمؤلف .

في الآباء يرثه الأبناء ، وقد ورثت سكينة عن أبيها وجدها هذا الاستغراق ، وقد شهد لها السبط الشهيد بذلك بقوله لابن أخيه الحسن المثنى : وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله ، فلا تصلح لرجل[1] .

وهذا الاستغراق الذي يشهد به سيد الشهداء (عليه السلام) ـ وكفى به شاهداً ـ حوَّله الزبير بن بكار الى مجالسة مع الشعراء . . .

﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾[2] .

---

(١) اسعاف الراغبين بها مش نور الابصار / ٢١ .

(٢) البقرة / ٧٩ .

في كربلاء

وفاجعة كربلاء على عنفها تشتد وتخف ـ نسبياً ـ على بعض من عاشها ، فكان ثقلها منصب على سيد الشهداء (عليه السلام) ، فقد فقد فيها أولاده وأُخوته وبني عمومته وأصحابه . بينما اكتفت من بعض شهداء الطف بنفسه فقط ، إذ لم يكن له فيها ولد ولا أهل ، كزهير بن القين ، وبرير بن خضير الهمداني (رضوان الله عليهما) وغيرهما .

كما ان العقيلة (عليها السلام) كانت تلي الإمام الحسين (عليه السلام) في المصائب ، فقد شاطرته (عليها السلام) فيما تحمل ، ثم انفردت من بعده بمحنة تدبير اليتامى والأرامل ، ثم كوارث الكوفة ، وفجائع الشام ومن بعد مصائب العقيلة تأتي مصيبة السيدة سكينة ، فهي من أكبر المصائب ، فقد أُصيبت بأبيها (عليه السلام) ، وناهيك بها مصيبة تصغر بعدها المصائب ، وتتضاءل إزاءها المحن ، فهو سيد الموجودات ، وأنفس ما على وجه الأرض . كما أُصيبت بأخويها علي وعبدالله ، وعمومتها ، وزوجها ، وبني عمومتها ، وأصحاب أبيها ، (رضوان الله عليهم أجمعين) .

وقد أثرت فيها مصيبة أخيها الرضيع تأثيراً عظيماً ، فكل شيء كان يدور في خلدها الا قتل عبدالله ، فقد كانت تنتظر أن تستقبله ـ بعد أن أخذه الحسين (عليه السلام) الى القوم ـ وقد ارتوى من الماء ، وجيء إليها ببقية منه ، فإذا هي تنظره وسهم حرملة قد ذبحه .

فهب انكم قاتلتم فقتلتم   فما ذنب اطفال تعاني نبالها

أذهل سكينة قتل أخيها عبدالله والمصائب التي تحملتها طيلة ذلك اليوم حتى أنها لم تستطع ان تقوم لتوديع أبيها الحسين (عليه السلام) ، حيث حفت به بنات الرسالة ، وكرائم الوحي يودعنه ، فقد ظلت مكانها واجمة ولحظ سيد الشهداء (عليه السلام) ابنته وهي بهذا الحال فوقف يكلمها مصبراً وهو يقول :

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي منك البكاء اذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ما كان مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت اولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان[1]

وبعد مصرع الحسين (عليه السلام) ومجيء جواده الى الخيام عارياً ، وسرجه خالياً خرجت سكينة فنادت : واقتيلاه ، واأبتاه ، واحسناه ، واحسيناه ، واغربتاه ، وابعد سفراه ، واكربتاه ، فلما سمع باقي الحرم خرجن فنظرن الفرس فجعلن يلطمن الخدود ، ويقلن ، وامحمداه . . .[2] .

وحصلت سكينة على فرصة أُخرى لتوديع أبيها (عليه السلام) والتزود منه ، وذلك في اليوم الحادي عشر من المحرم ، بعد أن حملهم القوم يريدون بهم الكوفة ، وقد جعلوا طريقهم على المعركة .

شاهدت سكينة جسد أبيها على الصعيد فألقت بنفسها عليه تتزود من توديعه وتبثه ما اختلج في صدرها من المصاب .

ولم يستطع احد أن ينحيها عنه حتى اجتمع عليها عدة وجروها عنه بالقهر[3] .

---

(١) سكينة بنت الحسين (عليه السلام) للفكيكي / ١٢٣ .
(٢) زينب الكبرى للنقدي / ١٠٩ .
(٣) تظلم الزهراء / ٢٢٤ .

شعرها

وهذا الفصل يكذِّب ما نسب للسيدة سكينة (عليها السلام) من مجالسة الشعراء وموضوع التحكيم بينهم، فلو كانت بالمستوى الشعري الذي زعموه لملأت الدنيا رثاء لأبيها الحسين (عليه السلام) ، فقد ذكروا أن الخنساء كانت تقول البيت والبيتين وبعد مقتل اخويها بلغت في رثائها الغاية .

وشيء آخر لا يخفى على الباحث ملاحظته : هو أن هذه الأبيات التي ذكرها لها الزجاج ـ وعليه العهدة ـ ولم نجد مع تتبعنا لها غيرها تنفي أن يكون قائلها بمستوى من يرتضيه رواة فحول الشعراء حكماً فيما بينهم ، ولكن اجتمعت عداوة زبيري ، وحقد مرواني ، والمشتكى الى الله سبحانه وتعالى :

ونعود فنذكر أبياتها في الحسين (عليه السلام) :

لا تعذليه فهمٌّ قاطع طرقه ... فعينه بدموع ذرف غدقه
ان الحسين غداة الطف يرشقه ... ريب المنون فما أن يخطىء الحدقة
بكف شر عباد الله كلهم ... نسل البغايا وجيش المرَّق الفسقه
يا أُمه السوء هاتوا ما احتجاجكم ... غدا وجلكم بالسيف قد صفقه
الويل حل بكم الا بمن لحقة ... صيرتموه لأرماح العدى درقه
يا عين فاحتفلي طول الحياة دما ... لا تبك ولداً ولا أهلا ولا رفقه
لكن على ابن رسول الله فانسكبي ... قيحاً ودمعاً وفي أثريهما العلقة[1]

(١) أمالي الزجاج / ١٦٩ .

أزواجها

وموقف الأُمة منذ الصدر الأول بالنسبة لأهل البيت (عليهم السلام) يدعو إلى العجب والغرابة ، فهم قدّموا من عـزله الله ورسوله في بلاغ سورة من القرآن الكريم على من أمره الله ورسوله في البلاغ والأداء ، واستمر السلف والخلف على هذه المناوأة من حيث يعلمون أو لا يعلمون .

وليت الأُمة اكتفت منهم بذلك ولم يتتبعوهم قتلاً وتشريداً .

تـركـوهـم شتى مصـارعـهـم وأجـمـعـهـا فـظـيـعـه

وجاء بعد هؤلاء دور العلماء والمؤلفين فإذا بهم يكيلون لهم التهم والافتراءات ولم يسلم منهم حتى امير المؤمنين (عليه السلام) بل وحتى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فقد ذكر بعض مؤلفيهم أن امير المؤمنين (عليه السلام) خطب ابنة أبي جهل ، وجاءت فاطمة (عليها السلام) الى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) شاكية ، ويخطب النبي (صلى الله عليه وآله) في المسلمين قائلاً : ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب فلا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، إلاّ أنْ يريد علي بن أبي طالب أن يطلّق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنها بضعة مني يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها[1] .

أنا لا أدري من أين ابدأ الحديث في هذه القصة الخيالية ، كيف يتزوج الامام (عليه السلام) على الزهراء (عليها السلام) وهي سيدة نساء

---

(١) أسد الغابة ٥/٥٢١ .

العالمين ، لا تضاهيها امرأة في شرف ولا جمال ولا كمال ؟ !

ولو سلمنا برغبته (عليه السلام) في التزويج فتوصد في وجهه الأبواب الا ابنة أبي جهل .

وكيف تشكو فاطمة (عليها السلام) ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تعلم أن ذلك من حقه ، وهي تقرأ قوله تعالى : ﴿ **مثنى وثلاث ورباع** ﴾ ونصب عينها زوجات أبيها (صلى الله عليه وآله) ؟

ولماذا يخطب النبي (صلى الله عليه وآله) على رؤوس الأشهاد شاكياً علياً ، فهبه لا يرغب بهذا الزواج فلماذا لا يكلمه في ذلك وهو أطوع له من يمينه ؟

ام كلمه فلم يستجب وأصر على الخطوبة مخالفاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فاضطر صلوات الله عليه أن يشهِّر به بين المسلمين ؟ !

نعوذ بالله من ذلك ونستغفره .

ان هذا المستوى من الحياة يأباه الناس العاديون ، ويلصقه هؤلاء بآل الرسول (صلى الله عليه وآله) .

واذا كان الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) وهو هو رفعة وجلالة وقدسية لم يسلم من القوم فكيف يكون حال أهله وذويه من افتراءات القوم وتهمهم ؟

ومن هذه الأباطيل المنسوبة لهم : تعدد الأزواج للسيدة سكينة ، فقد خبطوا في ذلك خبط عشواء ، وغاب عنهم مقياس العلم والأخلاق .

قالت الدكتورة بنت الشاطىء بعد ان أوردت قوائم الأزواج ، وتختلط الأسماء اختلاطاً عجيباً بل شاذاً حتى ليشطر الإسم الواحد شطرين يؤتى بكل شطر منهما على حدة فيكون منهما زوجان للسيدة سكينة فعبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام شطر شطرين فكان منه زوجان : عبدالله بن عثمان

وعمرو بن حكيم بن حزام أو كما ترجم في دائرة المعارف عمرو بن الحاكم ولا سبيل هنا أمام ما نرى من تناقض وشذوذ إلى تتبّع حياتها الزوجية تتبعاً دقيقاً يعتمد على اليقين التاريخي هذا اليقين الذي يعزّ علينا في التاريخ النقلي بوجه عام وهو هنا في موضوع زوجية سكينة أبعد من أن يلتمس وأعز من أن يدرك أو ينال . فنحن لا نكاد نحاول ما نبغي من تتبع حتى يلقانا عنت من اضطراب الروايات وتناقض الأخبار وتعدد الأقوال واشتباك السبل إلى حد يتعذر علينا معه أن نستبين وجه الحق في هذا الحشد المختلط المشتبك وإذ ذاك لا سبيل إلى أنْ نطمع في أكثر من الترجيح الذي يعتمد على ما نسميه بالطمأنينة النفسية أكثر مما يعتمد على مرجحات منهجية وقرائن غالبة .

لقد كان أمر هذا التناقض في الروايات والأخبار يهون ويسهل لو أنّه توزع بين مراجع شتىٰ مختلفة ينفرد كل منها باحدى الروايات فيكون سبيلنا إلى الترجيح أن نختار أقدمها أو آصلها أو أدعاها الى الثقة على هدي القواعد المقررة للترجيح والوزن والمقابلة والتعديل والتجريح . ولكنا هنا أمام روايات متناقضة تجتمع في المصدر الواحد دون محاولة من مؤلفها للفصل بينها أو حسم الخلاف فيها بل دون كلمة تؤذن بأنه يحس ضيقاً بهذا الخلاف .

ففي صفحة واحدة من الأغاني مثلاً تقرأ أربع روايات متناقضة متضاربة سردها أبو الفرج متتابعه ثم لا شيء أكثر من هذا السرد . وإذا بلغ الخلاف في الموضع الواحد أن يكون الأصبغ المرواني أول أزواجها في رواية ورابعهم في أخرى ثم لا يشار الى هذا الخلاف بكلمة واحدة .

وإذا بلغ الشذوذ فيما يروى من حياتها الزوجية أن تلد لمصعب بنتاً تتزوج من عمها أخي مصعب (كما في دائرة المعارف الاسلامية) وأن يقال أن الرباب بنت امرىء القيس التي أهلكها الحزن على زوجها الحسين فماتت بعده بعام واحد قد بعثت من قبرها لتشهد مصرع مصعب بعد سنة ٧٠ وترفض زواج بنتها سكينة من قاتله (كما في الأغاني) وأن تزوجها دائرة المعارف عبدالله بن عثمان ابن أخي مصعب وعمرو بن الحاكم بن حزام ولا خبر في

نسب قريش وأنساب العرب عن وجود اخ لمصعب اسمه عثمان أو حفيد لحزام اسمه عمرو بن الحاكم[1] .

وقالت : ونقل صاحب الأغاني رواية عن سعيد بن صخر عن أُمه سعيدة بنت عبدالله بن سالم : ان السيدة سكينة لقيتها بين مكة ومنى فاستوقفتها لتريها ابنتها من مصعب وإذا هي قد اثقلتها بالحلي واللؤلؤ ، وقالت : ما ألبستها الدر إلا لتفضحه .

ثم أتبعها ابو الفرج برواية أُخرى عن شعيب بن صخر عن أُمه سعدة بنت عبدالله : إنَّ سكينة أرتها بنتها من الحزامي وقد اثقلتها بالحلي وقالت : والله ما ألبستها إياه إلاَّ لتفضحه .

وهكذا بين فقرة وأُخرى صار سعيد بن صخر شعيب بن صخر ، وصارت سعيدة بنت عبدالله بن سالم سعدة بنت عبدالله ، كما صارت بنت مصعب بنت الحزامي[2] .

وتتحدث الدكتورة عن زواج سكينة بعمرو بن حكيم بن حزام فتقول : وعمرو هذا أو عمر هو أخ لجد عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام زوجها بعد مصعب ؛ ولا ندري كيف أدركت سكينة إلى أن يصبح في حساب هؤلاء أن تتزوج من رجلين بينهما ثلاثة أجيال[3] .

وقالت : إنَّ الشيعة كما ذكرنا في مطلع هذا الفصل يرفضون الإعتراف بهذه الزيجات المتعاقبة ولا يقبلون منها غير ما ذكروه من زواجها بابن عمها الحسن ثم مصعب بن الزبير ، وعذرهم واضح ، فما كانت هذه الأخبار في تناقضها وتدافعها واختلاطها بالتي تدعو إلى شيء من ثقة وطمأنينة وقد رأيناها زوجت سكينة من عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام ثم من عم

(١) كتابها سكينة بنت الحسين ضمن موسوعة آل النبي / ٨٣٢ .

(٢) موسوعة آل النبي / ٨٥٨ .

(٣) موسوعة آل النبي : ٨٨٤ .

أبيه عِمر بن حكيم .

وبعثت الموتى من قبورهم بعد سنين ذوات عدد ، فجعلت الرباب أُم سكينة ترفض زواجها من عبدالله بن مروان ، بعد مقتل مصعب .

وسبقت الزمن فجاءت على مسرح الأحداث بالأجنة في بطون أُمهاتهم حتى جعلت هشام بن عبد الملك الذي ولد بعد مقتل مصعب أو كان رضيعاً في عامه الأول يتدخل في حكاية ابراهيم بن عبد الرحمن لما أراد زواجها بعد ترملها من مصعب بن الزبير فليس بالغريب ان ترفض الشيعة هذه الروايات جميعاً وقد تعارضت فتساقطت ، وكذب بعضها بعضاً ، وجاوزت نطاق المعقول[1] .

أقول : والذي عليه الشيعة : انها لم تتزوج غير ابن عمها عبدالله بن الإمام الحسن (عليه السلام) .

ويوافق الشيعة على زواجها بعبدالله بن الإمام الحسن (عليه السلام) غيرهم من السنة .

نذكر من كتب الطرفين[2] .

---

(١) موسوعة آل النبي / ٨٨٥ .

(٢) اعلام الورى ١٢٧ المجدي (مخطوط) اسعاف الراغبين ٢١٠ رياض الجنان ٥١ مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم ٣٣٠ سكينة ابنة الحسين (عليه السلام) للمقرم ٧٢ ادب الطف ١٦٢/١ سفينة البحار ٦٣٨/١ .

مع الشعراء

لم تقف اتهامات الأُمويين ومن لف لفهم للسيدة سكينة في موضوع تعدد الأزواج ، بل استمرت وتنوعت حتى كانت عندهم ممن تغزَّل بها ابن ابي ربيعة ، إلى غير ذلك .

ومن غريب هذه الأباطيل ما رواه ابو الفرج الاصفهاني من اجتماع رواة الشعراء عندها يحكمونها فيما شجر بينهم من التفاضل بين الشعراء ، فذكر عن الزبيري : اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الاحوص ، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه ، وقال : صاحبه أشعر ، فحكّموا سكينة بنت الحسين بن علي (عليهما السلام) ، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر ، فخرجوا يتقادون حتى استأذنوا عليها ،فأذنت لهم ، فذكروا لها الذي كان من أمرهم فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الذي يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   حين الزيارة فارجعي بسلام

وأي ساعة أحلى للزيارة من الطروق ، قبح الله صاحبك وقبح شعره ، الا قال : فادخلي بسلام .

ثم قالت لراوية كثير : أليس صاحبك الذي يقول :

يقر بعين ما يقر بعينها   وأحسن شيء ما به العين قرت

فليس شيء أقر لعينها من النكاح ، أفيحب صاحبك أن ينكح ؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره .

ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول :

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فما أرى بصاحبك من هوى ، انما يطلب عقله ، قبح الله صاحبك وقبح شعره .

ثم قالت لراوية نصيب : أليس صاحبك الذي يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا حربا من ذا يهيم بها بعدي

فما أرى له همة الا من يتعشقها بعده ! قبحه الله وقبح شعره ، ألا قال :

أهيم بدعد ما حييت فان امت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبك الذي يقول :

من عاشقين تواعدا وتراسلا ليلاً اذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قال : نعم .

قالت : قبحه الله وقبح شعره ! ألا قال : تعانقا .

قال اسحاق في خبره : فلم تثن على واحد منهم في ذلك اليوم ولم تقدمه

قال : وذكر لي الهيثم بن عدي مثل ذلك في جميعهم الا جميلاً فإنه خالف هذه الرواية وقال : فقالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذي يقول :

فيا ليتني أعمى اصم تقودني بثينة لا يخفى علي كلامها

قال : نعم .

قالت : رحم الله صاحبك كان صادقاً في شعره ، كان جميلاً كاسمه ؛ فحكمت له[1] .

---

(١) الأغاني ١٦/١٦٥ .

وأقول : إن أثر الصنعة واضح على هذه الرواية ، وهي من نسج الزبيري عدو أهل البيت ، وما أكثر مفترياته هو وذويه على آل الرسول (صلى الله عليه وآله) ، لقد جعل من ابنة الرسالة النابغة الذبياني (فقد كان يضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها)[1] .

وجدير بالذكر ان المؤرخين لم يحدثونا عن مثل هذا الإجتماع لمن سبقها من نساء أهل البيت عليهم الصلاة والسلام كفاطمة وزينب (عليهما السلام) مع انهما أجل وأعلم من سكينة ، بل لم يذكر التاريخ اجتماع مثل هؤلاء الرواة عند أحد من الأئمة (عليهم السلام) للحكومة فيما بينهم .

نعم ، ورد في نهج البلاغة : سئل (عليه السلام) : من أشعر الشعراء ؟ فقال :

ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها ، فإن كان ولا بد فالملك الضليل (يريد امرأ القيس)[2] .

أنا لا أدري كيف يقبل هؤلاء بحكم سكينة لهم أو عليهم مع أنه لم يرو لها إلا سبعة أبيات لا تؤهل قائلها لمثل هذا المنصب الكبير ؟

وقد سئل المرحوم الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء طاب ثراه عن هذا الاجتماع فقال : لم يذكره ابن قتيبة ولا ابن طيفور في بلاغات النساء مع أنهما أقدم من أبي الفرج .

وقال (رحمه الله) : ابو الفرج كتابه كتاب لهو وقد يأخذ عن الكذابين ، وحماد الذي جاءت عنه الرواية كذاب[3] .

وقال الشيخ جعفر النقدي (رحمه الله) : اما وصف الحسين (عليه

---

(١) الأغاني ٦/١١ .
(٢) شرح نهج البلاغة ١٥٣/٢٠ .
(٣) جنة المأوى ٢٣٢ .

السلام) لابنته سكينة من غلبة الاستغراق مع الله تعالى فيكذب الانقال المروية عن الزبير بن بكار وأضرابه من النواصب كعمه مصعب الزبيري ، من اجتماع الشعراء عندها ، ومحاكمتها بينهم ، وأمثال ذلك مما ينافي في شأن خفرة من خفرات النبوة ، وعقيلة من عقائل بيت العصمة ، وان تعجب فاعجب من أبي الفرج الاصبهاني ومن حذا حذوه أن ينقلوا مفتريات هؤلاء في كتبهم من غير فكر ولا تروي ، على أن الزبير بن بكار كان عدواً لآل علي ، بل لسائر بني هاشم ، كان يصنع المفتريات في رجالهم ونسائهم حتى أرادوا قتله ، ففر من مكة الى بغداد أيام المتوكل ، ذكر ذلك ابن خلكان في تاريخه وفيات الأعيان[1] .

ومما هو جدير بالذكر أن تعلم أن مثل هذا الإجتماع عقد برعاية عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمي ، فقد روى ابو الفرج عن أبي عمر وقال : أنشدت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة : (وجدت الخمر جامحة وفيها) الخ وبحضرتها جماعة من الشعراء فقالت : من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً يشبهها ويدخل في معناها فله حلتي هذه ؛ فلم يقدر أحد منهم على ذلك[2] .

وذكر ابو الفرج نفسه اجتماعاً مشابهاً للاجتماع الذي نسبه للسيدة سكينة عقد برعاية امرأة اموية ، قال :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبدالله بن اسماعيل بن ابي عبيد الله كاتب المهدي قال : وجدت في كتاب أبي بخطه : حدثني ابو يوسف التجيبي قال : حدثني اسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً ، قال : حدثني النصيب ابو محجن أنَّه خرج هو وكثير والاحوص غب يوم امطرت فيه السماء فقال هل لكم في ان نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه أبصارنا ؟ فقالوا : نعم ، فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من

---

(١) فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) / ١٣ .
(٢) الأغاني ١٥٨/١٤ .

الدواب ، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب ، وتنكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق ، فجعلوا يتصفحون ويرون بعض ما يشتهون حتى رفع لهم سواد عظيم فأموه حتى أتوه فإذا وصائف ورجال من الموالي ونساء بارزات فسألنهم أن ينزلن فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلة فقالوا : لا نستطيع ، ونمضي في حاجة لنا ، فحلفنهم أن يرجعوا اليهن ففعلوا وأتوهن فسألنهم النزول فنزلوا ، ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت : ادخلوا ، فدخلنا على امرأة جميلة برزة على فرش لها فرحبت وحيت وإذا كراسي موضوعة فجلسنا جميعاً في صف واحد كل إنسان على كرسي فقالت ان أحببتم أن ندعو بصبي لنا فنصيحه ونعرك اذنه فعلنا ، وان شئتم بدأنا بالغداء ، فقلنا : بل تدعين الصبي ولن يفوتنا الغداء ، فأومأت بيدها الى بعض الخدم فلم يكن الا كلا ولا حتى جاءت جارية جميلة قد سترت عليها بمطرف فأمسكوه عليها حتى ذهب بهرها ثم كشف عنها واذا جارية ذات جمال قريبة من جمال مولاتها فرحبت بهم وحيتهم فقالت لها مولاتها خذي ويحك من قول النصيب عافى الله ابا محجن .

ألا هل من البين المفرق من بد ... وهل مثل ايام بمنقطع السعد
تمنيت ايامي اولئك والمنىٰ ... على عهد عاد ما تعيد ولا تبدي

فغنته فجاءتْ به كأحسن ما سمعته بأحلى لفظ وأشجىٰ صوت ثم قالت لها : خذي ايضاً من قول ابي محجن عافى الله ابا محجن :

أرق المحب وعاده سهده ... لطوارق الهم التي ترده
وذكرت من رقت له كبدي ... وأبى فليس ترق لي كبده
لا قومه قومي ولا بلدي ... فنكون حينا جيرة بلده
ووجدت وجداً لم يكن احد ... من أجله بصبابة يجده
الا ابن عجلان الذي تبلت ... هند ففات بنفسه كمده

قال : فجاءت به أحسن من الأول فكدت أطير سروراً ، ثم قالت لها ويحك خذي من قول ابي محجن عافى الله ابا محجن :

فيا لك من ليل تمتعت طوله — وهل طائف من نائم متمتع
نعم ان ذا شجو متى يلق شجوه — ولو نائماً مستعتب او مودع
له حاجة قد طالما قد اسرها — من الناس من صدر بها يتصدع
تحملها طول الزمان لعلها — يكون لها يوماً من الدهر منزع
وقد قرعت في ام عمرو لي العصا — قديماً كما كانت لذي الحلم تقرع

قال : فجاءني والله شيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها الغناء في شعري وما سمعت منه من حسن الصنعة وجودتها وإحكامها ، ثم قالت لها خذي ايضاً من قول ابي محجن عافى الله ابا محجن :

يا أيها الركب اني غير تابعكم — حتى تلموا وأنتم بي ملمونا
فما أرى مثلكم ركبا كشكلكم — يدعوهم ذو هوى ان لا يعوجونا
ام خبروني عن داء بعلمكم — وأعلم الناس بالداء الأطبونا

قال نصيب : فوالله لقد زهوت بما سمعت زهواً خيل الي أنّي من.قريش وان الخلافة لي ، ثم قالت : حسبك يا بنية هات الطعام ، يا غلام ، فوثب الاحوص وكثير وقالا : والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجلس فقد اسأت عشرتنا واستخففت بنا ، وقدمت شعر هذا على أشعارنا وأسمعت الغناء فيه وان في أشعارنا لما يفضل شعره وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا :

فقالت : على معرفة كل ما كان مني فأي شعركما أفضل من شعره أقولك يا أحوص :

يقر بعيني ما يقر بعينها — واحسن شيء ما به العين قرت

ثم قولك يا كثير في عزة :

وما حسبت ضمرية جدوية — سوى التيس ذي القرنين ان لها بعلا

ام قولك فيها :

إذا ضمرية عطست فنكها — فإن عطاسها طرف السفاد

قال : فخرجا مغضبين واحتبستني فتغديت عندها وأمرت لي بثلثمائة دينار وحلتين وطيب ، ثم دفعت الي مائتي دينار قالت ادفعها الى صاحبيك فإن قبلاها وإلا فهي لك فأتيتهما منازلهما فأخبرتهما القصة فأما الاحوص فقبلها واما كثير فلم يقبلها وقال : لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها ، فأخذتها وانصرفت .

فسألت النصيب ممن المرأة ؟

فقال : من بني امية ولا اذكر اسمها ما حييت لأحد[1] .

وشيء آخر يجب ان ينتبه له هو أثر الصنعة واضح على هذا التلفيق المنسوب للسيدة سكينة ، وهو تجميع لكلمات عدة من النقاد والبصراء بالشعر ، وقد مرَّ عليك آنفاً نقد المرأة الأُموية لبعض الأبيات بالنقد الذي نسبوه للسيدة سكينة ، كما ان بيت نصيب واصلاحه المنسوب الى السيدة سكينة رواه ابن قتيبة بلفظ مقارب لعبد الملك بن مروان ، قال : دخل الاقيشر على عبد الملك بن مروان وعنده قوم فتذاكروا الشعر وقول نصيب :

اهيم بدعد ما حييت فإن أمت فيا ويح دعد من يهيم بها بعدي

فقال الاقيشر : والله لقد أساء قائل هذا الشعر .

فقال عبد الملك : فكيف كنت تقول لو كنت قائله ؟

قال : كنت اقول :

تحبكم نفسي حياتي فإن امت او كل بدعد من يهيم بها بعدي

فقال عبد الملك : والله لأنت اسوأ قولاً منه حين توكل بها

فقال الاقيشر : فكيف كنت تقول يا امير المؤمنين ؟

---

(١) الأغاني ٣٦٠/١ .

قال : كنت أقول :

تحبكم نفسي حياتي فإن امت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

فقال القوم جميعاً : انت والله يا امير المؤمنين أشعر القوم[1] .

(١) الشعر والشعراء ١/٤١٢ .

اجتماع الصورين

لا شك أن واقعة الطف عطفت بقلوب المسلمين جميعاً نحو اهل البيت (عليهم السلام) ، وزادت في محبة الأُمة لهم ، واحترامها إيَّاهم ، فطبيعة الإنسان شجب الظلم ، وبغض مرتكبيه ، والعطف على المضطهدين وليس على وجه الأرض أكثر مظلومية من آل البيت (عليهم السلام) كما أنها نفسها أججت أحقاداً كامنة عليهم لدى بعض النفوس الخبيثة ، خصوصاً بعدما رأوا ما كسبوه من ود وعطف ولعل آل الزبير أشد الناس في ذلك ، لقد ورثهم العداء لأهل البيت (عليهم السلام) عبدالله بـن الزبير ، فقد كان هذا الرجل يحمل العداء لهم بشكل غريب ، فقد روى ابن ابي الحديد واكثر المؤرخين انه قطع في الخطبة ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمعاً كثيرة فاستعظم الناس ذلك ، فقال : إنِّي لا أرغب عن ذكره ولكن له اهيل سوء اذا ذكرته أتلعوا اعناقهم فأنا أُحب ان اكبتهم[1] .

وكان أشدهم عداوة وتعصباً الزبير بن بكار وعمه مصعب فقد رويا الطامات فيهم مضافاً لشغبهم عليهم عند ولاة الامر ، والسعي في قتلهم .

ومن هذه الطامات التي رووها اجتماع الصورين .

قال ابو الفرج الاصفهاني : أخبرني علي بن صالح ، قال : حدثنا ابو هفان عن اسحاق عن ابي عبدالله الزبيري قال : اجتمع نسوة من أهل المدينة من اهل الشرف ، فتذاكرن عمر بن ابي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٢٧/٢٠ .

فتشوقن اليه وتمنينه ، فقالت سكينة بنت الحسين (عليها السلام) : انا لكُن به ، فأرسلت اليه رسولاً وواعدته الصورين ، وسمت له الليلة والوقت ، وواعدت صواحباتها ، فوافاهنَّ عمر علي راحلته ، فحدثهن حتى أضاء الفجر وحان انصرافهن ، فقال لهن : والله إنّي لمحتاج الى زيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئاً ، ثم انصرف الى مكة وقال :

قالت سكينة والدموع ذوارف ... منها على الخدين والجلبات
ليت المغيري الذي لم اجزه ... فيما أطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى أيامنا ... اذ لا نلام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فبت كأنما ... ترمي الحشا بنوافذ النشاب
أسكين ما ماء الفرات وطيبه ... مني على ظمأ وفقد شراب
بألذ منك وان نأيت وقلما ... ترعى النساء امانة الغياب(١)

ونقول : إنَّ هذه الأبيات ليست في سكينة بنت الامام الحسين (عليه السلام) ، وإنّما هي في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف ، وان عداوة الزبيري صيرتها في سكينة ، ودليلنا :

١ ـ قال العلامة الشنقيطي : أكثر الروايات سكينة في المتمم واسكين في المرخم ، والرواية الصحيحة : قالت سعيدة في المتمم واسعيد في المرخم وسعيدة تصغير سعدى وهي بنت عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) . وسبب هذا الشعر أن سعدى المذكورة كانت جالسة في المسجد الحرام فرأت عمر بن ابي ربيعة يطوف بالبيت فأرسلت اليه إذا فرغت من طوافك فاتنا ، فأتاها ، فقالت : لا اراك يا ابن أبي ربيعة سادراً في حرم الله ، أما تخاف الله ويحك ، الى متى هذا السفه ؟ !

فقال : اي هذه دعي عنك هذا من القول أما سمعك ما قلت فيك ؟

(١) الأغاني ١٦٢/١ .

قالت : لا ، فما قلت ؟

فأنشدها الابيات

فقالت : اخزاك الله يا فاسق علم الله انّي ما قلت مما قلت حرفاً ولكنك انسان بهوت .

هذا هو الصحيح وإنّما غيرّه المغنون فجعلوا سكينة ، مكان سعيدة وأسكين مكان أسعيد[1] .

٢ ـ قال الاستاذ عبد السلام محمد هارون :

ويفهم من كلام أبي الفرج ان الرواية الصحيحة في البيت قالت سعيدة ، وفي البيت الخامس التالي (أسعيد) وكلاهما تصغير ترخيم لسعدى وهي سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف .

وللشعر على هذه الرواية قصة في الأغاني ، ثم قال ابو الفرج : وانما غيرّه المغنون[2] .

٣ ـ ذكرت هذه القصيدة بكاملها في ديوان ابن ابي ربيعة لشارحه الاستاذ محمد العناني المصري : قال :

وكانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) جالسة في المسجد الحرام فرأت عمر يطوف بالبيت فأرسلت اليه : اذا فرغت من طوافك فأتنا ، فأتاها ، فقالت : مالي أراك يا ابن ابي ربيعة سادراً في حرم الله ، ويحك أما تخاف الله ، ويحك الى متى هذا السفه فقال : اي هذه دعي عنك هذا من القول أما سمعت ما قلت فيك :

قالت : لا فما قلت ، فانشدها قوله

---

(١) كتاب الأمالي شرح احمد بن الأمين الشنقيطي / ١٠٦ .

(٢) امالي الزجاج / ١٦٣

ردع الفؤاد بنكرة الاطراب ... وصبا اليك ولات حين تصابي
ان تبذلي لي نائلاً يشفى به ... سقم الفؤاد فقد اطلت عذابي
وعصيت فيك اقاربي فتقطعت ... بيني وبينهم عرى الاسباب
وتركتني لا بالوصال ممتعاً ... يوماً ولا اسعفتني بثواب
فقعدت كالمهريق فضلة مائه ... من حرِّ هاجرة للمع سراب
يشفى به منه الصدى فأماته ... طلب السراب ولات حين طلاب
قالت سعيدة والدموع ذوارف ... منها على الخدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم نجزه ... فيما اطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى أيامنا ... اذ لا نلام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فبت كأنما ... ترمي الحشا بنوافذ النشاب
أسعيد ما ماء الفرات وطيبه ... مني على ظمأ وحب شراب
بألذ منك وان نأيت وقلما ... ترعى النساء امانة الغياب

فلما فرغ من الإنشاد قالت له : اخزاك الله يا فاسق علم الله انِّي ما قلت حرفاً ولكنك انسان بهوت[1] .

٤ ـ ان ابا الفرج نفسه ذكر في موضع آخر من أغانيه هذا الاجتماع عن الرواة أنفسهم ، وذكر سكينة ولكن لم ينسبها الى الحسين ، كما ذكر شعراً غير الشعر الأول قال : أخبرني علي بن صالح قال حدثنا ابو هفان عن اسحاق عن مصعب الزبيري قال : اجتمع نسوة فذكرن عمر بن ابي ربيعة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه ، فتشوقن اليه وتمنينه ، فقالت سكينة : انا لكن به ، فبعثت اليه رسولاً ان يوافي الصورين ليلة سمتها ، فوافاهن على رواحله ، فحدثهن حتى طلع الفجر وحان انصرافهن فقال لهن : والله إنِّي لمحتاج الى زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) ، والصلاة في مسجده ولكني لا أخلط بزيارتكن شيئاً ثم انصرف الى مكة وقال في ذلك :

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة /٢٨ شرح محمد العناني .

المم بزينب ان البين قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدة وما على المرء الا الحلف مجتهدا
لاختها ولأخرى من مناصفها لقد وجدت به فوق الذي وجدا
لو جمع الناس ثم اختير صفوهم شخصاً من الناس لم اعدل به أحداً[1]

فهو لم ينسب سكينة كما رأيت ، ولا بد أن تكون سكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير ، لأن عمر بن ابي ربيعة كان يلتقي بها ، لكن العداوة قلبتها إلى سكينة بنت الحسين (عليه السلام) تخفيفاً من العار والشنار اللاحق بهم ، وبغضاً وعداوة لآل البيت (عليهم السلام) : فقد ذكر ابو الفرج اجتماع عمر بن ابي ربيعة بسكينة الزبيرية ، فقال : اخبرني الحرمي قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب ، عن ذهبية مولاة محمد بن مصعب بن الزبير ، قالت : كنت عند امة الواحد أو امة المجيد بنت عمر بن ابي ربيعة في الجنبذ[1] الذي في بيت سكينة بنت خالد ابن مصعب انا وأبوها عمر وجاريتان له تغنيان ، يقال لإحديهما (البغوم) والاخرى (اسماء) وكانت امة المجيد بنت عمر تحت محمد بن مصعب بن الزبير ، قالت : فقال عمر بن ابي ربيعة وهو معهم في الجنبذ :

صرمت حبلك البغوم وصدت عنك في غير ريبة اسماء[2]

ولنا بعد في نقاش ليلة الصورين حديث :

كيف تعقد سكينة مثل هذا الاجتماع والمدينة بأسرها في مأتم على الحسين (عليه السلام) ؟ ! فالرباب ـ أُم سكينة ـ يقول عنها ابن كثير : ولما قتل كانت معه فوجدت عليه وجداً شديداً . . . وقد خطبها بعده اشراف قريش فقالت : ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والله لا يؤويني ورجلاً بعد الحسين سقف ابداً . ولم تزل عليه كمدة حتى

---

(١) الأغاني ١/١٠٥ .
(٢) الجنبذ : القبة .
(٣) الأغاني ١/١٦٥ .

ماتت ، ويقال : انها عاشت بعده اياماً يسيرة[1] .

وأُم البنين فقد كانت تخرج كل يوم ترثيه ـ العباس (عليه السلام) ـ وتحمل ولده عبيد الله ، فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة فيهم مروان بن الحكم فيبكون لشجى الندبة[2]

والرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) : ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث الينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين (صلوات الله عليه)[3] .

وانت سلمك الله اذا علمت أن سكينة تقول للصحابي الجليل سهل بن سعد الساعدي في الشام : قل لصاحب هذا الرأس ان يقدم الرأس امامنا حتى يشتغل الناس بالنظر اليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

قال سهل : فدنوت من صاحب الرأس فقلت له : هل لك ان تقضي حاجتي وتأخذ مني اربعمائة دينار ؟ قال : وما هي ؟ قلت : تقدم الرأس امام الحرم . ففعل ذلك ، فدفعت اليه ما وعدته[4] .

واذا كان حال هذه السيدة في الصيانة والحجاب في موضع سلب فيه الاختيار ، فهل يتصور مسلم ان تواعد عمر بن ابي ربيعة الصورين ؟ !

ولو قلنا : ان اجتماع الصورين تأخر عن واقعة الطف كثيراً حتى نستها سكينة ، فإن ابن ابي ربيعة تاب عام ٦٢ هـ فيبطل الاجتماع ايضاً .

ولو صح اجتماع الصورين لذكره كبار مؤرخي الشيعة ومحدثيهم ، فقد

---

(١) البداية والنهاية ٢١٠/٨ ، وفي تذكرة الخواص ٢٧٥ بلفظ مقارب .
(٢) ابصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام) /٣٦ .
(٣) تنقيح المقال ٢٠٣/٣
(٤) البحار ٢٢٣/١٠

تميزوا بالاطلاع والتحقيق ، وعدم المهادنة ، فهذه كتب الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي والطبرسي وغيرهم من أعلام الطائفة وهي خالية من الإشارة الى ذلك ونحوه ؛ ومن قرأ مصنفات هؤلاء الاعلام يجد ما كتبوه عمن شذ من أولاد الأئمة (عليهم السلام) ، فهذا جعفر بن الإمام الهادي (عليه السلام) وقد وصفوه بالكذب وشرب الخمر ، ومعاونة الظالمين ، كما تناولوا غيره كعلي بن اسماعيل بن الإمام الصادق (عليه السلام) وغيرهما ، فهم لم يتعصبوا إلاَّ للحق ، ولم يكتبوا إلاَّ للتاريخ .

ونختم هذا الفصل بكلمة الدكتورة بنت الشاطىء ، قالت : ربما عرض لنا آخر الأمر أن نسأل : متى ظهرت سكينة في المجتمع طليقة متحررة وشاركت في التاريخ الأدبي بعصرها ؟ الأخبار التي بين ايدينا تشير إلى أنها ظهرت لأول مرة في موسم الحج سنة ٦٠هـ حين صحبت أباها (رضي الله عنه) في هجرته من المدينة إلى مكة ، وقد كانت اذ ذاك في ربيعها الثاني عشر أو الثالث عشر ، وغير بعيد أن تكون قد لفتت اليها الأنظار بنضرة صباها وحيوية مرحها ، وبهاء طلعتها ، ولكن مهابة أبيها الإمام الحسين كانت كافية وحدها لأن تلجم ألسنه الشعراء عن التغني باسمها في قصائد الغزل فهل ترى حلت عقدة لسانهم بعد عودتها إلى المدينة اثر فاجعة كربلاء ؟ !

المؤرخون يقررون أن المدينة كانت في مأتم عام لسيد الشهداء ، وان أُمها الرباب قد أمضت عاماً بأكمله حادة حزينة حتى لحقت بزوجها الشهيد ، وان أُم البنين بنت حزام بن خالد العامرية زوج الإمام علي بن أبي طالب كانت تخرج الى البقيع كل يوم فتبكي ابناءها الأربعة اعمام سكينة الذين استشهدوا مع أخيهم الحسين في كربلاء : عبدالله وجعفر وعثمان والعباس ، بني علي بن ابي طالب (كرّم الله وجهه) ، فتلبث نهارها هناك تندب بنيها أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع الناس اليها يسمعون منها فكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي .

فهل ترى كان يحدث هذا وسكينة تعقد مجالس الغناء في دارها ،

وتواعد عمر الصورين ذات ليلة استجابة لرغبة نسوة شاقهن مجلس ابن ابي ربيعة ؟ !

هل كان مروان بن الحكم يسمع أُم البنين تندب أعمام سكينة فيبكي لها وسكينة تبكي بدموع ذوارف على الخدين والجلباب لفراق عمر بن ابي ربيعة ، وتصغي الى شدو المغنين بقولها على لسانه :

ليت المغيري الذي لم اجزه فيما اطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى ايامنا اذ لا نلام على هوى وتصابي

فلعل عمر إذن قد قال فيها ما قال بعد عودتها من سفرها الى مصر مع عمتها زينب عقيلة بني هاشم ؟

الذين أرّخوا للسيدة زينب ذكروا وفاتها في شهر رجب سنة ٦٢هـ وقد ثوت في مرقدها الأخير هناك وآبت سكينة من رحلتها مضاعفة اليتم لتشهد بعد ذلك ثورة أهل المدينة على بني امية وخروجهم على يزيد بن معاوية لقلة دينه ، وهي الثورة التي انتهت بموقعة الحرة ـ بظاهر المدينة ـ حيث استشهد من أولاد المهاجرين والأنصار ٣٠٦ شخصاً ، وعدد من بقية الصحابة الأولين ، وهجر المسجد النبوي فلم تقم فيه صلاة الجماعة لمدة أيام .

والمنقول ان عمر تاب توبته المشهورة في ذلك العام ، وشغل العالم الإسلامي بعد ذلك بقيام حركة التوابين في العراق الذين آدهم الندم على عدم نصرة الإمام الحسين الشهيد فلم يروا كفارة دون القتل في الثأر له ولصحبه فهل يا ترى كانت سكينة تصم أُذنيها عن هتاف التوابين لترغيم(ابن سريح) على الغناء في دارها مع عزة الميلاء وتفتنه عن توبته عن الغناء[1] .

---

(١) موسوعة آل النبي / ٩٤١ .

تغزل ابن ابي ربيعة
بسكينة

أصاب سكينة السهم الأوفى من تهم اعداء أهل البيت (عليهم السلام) ، وإذا كان الشاعر يخاطب بني العباس مشيراً إلى تعرض المتوكل لقبر الحسين (عليه السلام) :

فتأسفوا ان لا يكـونوا شـاركوا   فـي قتـله فـتـتـبـعـوه رمـيـمـا

فقد تأسف الزبيريون ومن لف لفهم ان لا يكونوا شاركوا اهل الكوفة في قتل الحسين (عليه السلام) وأولاده واخوته فتتبعوا آله بالافتراءات والتهم ، ولعل اعظمها : تغزل ابن ابي ربيعة بسكينة .

ومضافاً لما مر في الفصل السابق نقول : ان الله سبحانه قد يختار لأوليائه القتل ولكن : يستحيل ان يختار لهم الهوان ، وما ينافي الكرامة ، فالأئمة (عليهم السلام) كلهم قضوا سماً وقتلاً على أيدي طغاة زمانهم ولكنهم لم يتعرضوا في حياتهم لحظة لما ينافي العزة والجلالة ، ولم يحدثنا التاريخ ان احد الطغاة نال منهم ما لا يليق بمقامهم الكريم ، كانوا يجلونهم عن ذلك كما ان الله سبحانه يصرف ذلك عنهم .

ويذهب الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) وآخرون : ان جهة اعجاز القرآن هو الصرف من الله تعالى لأهل الفصاحة واللسان عن معارضة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمثله في النظام عند تحديه لهم ، وجعل انصرافهم عن الاتيان بمثله وان كان في مقدورهم دليلاً على نبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واللطف من الله مستمر في الصرف عنه الى آخر الزمان ،

وهذا من أوضح برهان في الإعجاز[1] ، وجدير بلطفه سبحانه وتعالى ان يصرف عن اهل البيت (عليهم السلام) ما لا يليق بشأنهم ، ويدنس ساحتهم ، لأنهم الثقل الذي خلفه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)بين ظهراني الأُمة ، وجعل مودتهم أجراً على الرسالة .

إنَّ واقعة الطف وما تلاها من المشاهد والمصائب لم يحدثنا التاريخ عن ارتكاب أهل الكوفة لشيء مع القتلى أو الأسرى يتنافى وقدسية أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) . وإلى هذا أشار الحسين (عليه السلام) في وداعه للعائلة بعد أن قُتل جميع أهله وأصحابه :و واعلموا أنَّ الله تعالى حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء ، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب ، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة ، فلا تشكوا ، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم[2] .

ومما هو جدير بالذكر : ان الحكم بن عباس الكلبي ـ شاعر بني أُمية ـ قال متشمتاً بمقتل زيد الشهيد (عليه السلام) وصلبه :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب

فبلغ قوله الإمام الصادق (عليه السلام) ، فرفع يديه إلى السماء وهما يرتعشان ، وهو يقول : اللهم إنْ كان عبدك كاذباً فسلط عليه كلبك ، فبعثه بنو أُمية الى الكوفة فافترسه الأسد . واتصل خبره بالصادق (عليه السلام) فخر ساجداً وقال : الحمد لله الذي انجزنا ما وعدنا[3] . فهو (عليه السلام) لم يدع على قاتل عمه ، ولكن دعا على الحكم لأن القتل لهم ـ كما يقولون ـ عادة وكرامتهم من الله الشهادة ، ولكن هذا اللون من التشمت والاستهزاء

(١) اوائل المقالات / ٧٣ .
(٢) مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم /٣٤٨ وفي نفس المهموم /١٨٨ ، بلفظ مقارب .
(٣) الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) للمؤلف / ١١٨ عن عدة مصادر .

والتفاضل يراه (عليه السلام) لا يليق بكرامتهم، فيدعو عليه.

أنا لا أدري كيف يتغزل ابن ابي ربيعة بسكينة ويسلم من دعاء أئمة العصر (عليهم الصلاة والسلام)، وحجج الله على البرية، ومن لا ترد لهم دعوة[1].

واذا كان بنو النجار ـ كما يروي ابو الفرج ـ لما هجاهم ابو واسع احد بني الأسعر من بني أسد بن خزيمة، ولا ذنب لهم، دعو الله عز وجل عليه، فخرج من المدينة يريد أهله، فعرض له الاسد فقضقضه[2] فقال ابن حسان في ذلك:

ابلغ بني الأسعر ان جئتهم ما بال ابناء بني واسع الخ[3]

فأئمة أهل البيت أجدر وأولى باستجابة الدعاء من بني النجار. وعمر بن ابي ربيعة نفسه هلك بدعاء امرأة عليه، فإنه نظر في الطواف الى امرأة شريفة، فرأى أحسن خلق الله صورة فذهب عقله عليها، وكلمها فلم تجبه فقال فيها:

الريح تسحب أذيالا وتنشرها يا ليتني كنت ممن تسحب الريح الخ

فبلغها شعره فجزعت منه، فقيل لها: اذكريه لزوجك، فإنه سينكر عليه قوله.

فقالت: كلا والله لا أشكوه إلاَّ إلى الله، ثم قالت: اللهم إنْ كان نوه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح، فضرب الدهر من ضربة، ثم أنه غدا يوماً على فرس فهبت ريح فنزل فاستتر بسلمة[4] فعصفت الريح فخدشه غصن منها

---

(١) ذكرنا في سلسلة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) استجابة الدعاء لكل واحد منهم.

(٢) قضقضه: كسره وحطمه.

(٣) الأغاني ١١٨/١٥.

(٤) السلم: شجر من العضاء وورقه القرظ الذي يدبغ به الأديم.

فدمي وورم به ومات من ذلك[1] .

وشيء آخر يجب أن لا يغفله المتأمل : إنَّ جميع المسلمين ، بل جميع النَّاس ، كانوا ينظرون إلى أهل البيت (عليهم السلام) نظرة قدس وإجلال ، فيستحيل أن يقدم شاعر مسلم يعيش بالقرب منهم على ذلك مهما بلغ من الإسفاف والإنحطاط ، واذا كان كعب بن الجُعيل يقول ليزيد بن معاوية لما أمره بهجاء الأنصار : ارادّي أنت الى الكفر بعد الإسلام ؟ ! أأهجو قوماً آووا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونصروه ؟

قال : أما إذا كنت غير فاعل فارشدني الى من يفعل ذلك .

قال : غلام منا خبيث الدين نصراني ، فدله على الاخطل[2] .

وتقول بنت الشاطىء رداً على الدكتور زكي مبارك في تعرضه لسكينة في كتاب (حب ابن أبي ربيعة) : ولا تسأله اين كان بنو هاشم واين كان الإمام زين العابدين وعمر يرفع عقيرته بالغزل في سكينة وبيتهاقد صار (مألفاً للمغنين ملاذاً للشعراء المخلصين لما خلقوا من عبادة الطرف الساحر والقد الرشيق) فمثل الإمام زين العابدين من لا يغضب لأخته حتى غضب (ابن ابي عتيق) فيما نقل الدكتور لابنة عمه زينب بنت موسى الجمحية لما تغزل فيها عمر على السماع فرد عليه عمر :

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي ... ان بي يا عتيق ما قد كفاني
لا تلمني وانت زينتها لي ... انت مثل الشيطان للانسان

ومثل بني هاشم آل البيت من لا يغضبون لابنتهم كما غضب بنو تميم ابن مرة وولد طلحة بن عبيد الله لأختهم عائشة وتوعدوا عمر إن هو تغزل بها أن يؤدبوه فأقسم بالله ان لا يذكرها بشعر أبداً .

---

(١) الأغاني ٢٤٨/١ .

(٢) الأغاني ٣٨/١٦ .

مثلهم من لا يغار على سكينة كما غار ابو الاسود الدؤلي على زوجته أو كما غار الحجاج بن يوسف الثقفي على فاطمة بنت عبد الملك ـ وليست من ثقيف ـ فكتب إلى عمر يتوعده بكل مكروه إنْ ذكرها في شعره .

أجل لا تسأل عن هذا فإنَّما يسأل من يحاسب قلمه ويتقي الحق والضمير فيما يكتب ويحترم عقله وعقول الناس[١] .

---

(١) موسوعة آل النبي / ٩٣٤ .

كلمات العلماء والعظماء

وأهل البيت (عليهم السلام) في غنى عن مدح المادحين ، وتقريظ المحبين ، فلهم النسب الرفيع ، والمنزلة العظيمة ، ولهم غير هذا وذاك العمل الصالح ، والسيرة المستقيمة ، والسلوك الصحيح ، الذي خلد ذكرهم عبر السنين والأجيال ، رغم كثرة اعدائهم وحاسدي فضلهم .

ومما اعتدنا عليه في السلسلة والسلسلة التي قبلها هو تسجيل بعض كلمات العلماء والعظماء في الشخص المترجم ، فنذكر الآن بعض الكلمات في السيدة سكينة (عليها السلام) :

١ ـ قال الإمام الحسين (عليه السلام) : وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل[١] .

وقال لها يوم عاشوراء مصبراً :

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء اذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فانت اولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان[٢]

٢ ـ قال شمس الدين محمد بن طولون :

وكانت من سادات النساء ، وأهل الجود والفضل ، (رضي الله عنها)

---

(١) اسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار / ٢١٠ .
(٢) سكينة للفككي / ١٢٣ .

وعن أبيها[1] .

٣ ـ قال شمس الدين يوسف بن قزاغلي الحنفي ـ سبط ابن الجوزي ـ لها السيرة الجميلة ، والكرم الوافر ، والعقل التام ، وهذا قول ابن قتيبة[2] .

٤ ـ قال احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان :
كانت سيدة نساء عصرها ، ومن أجمل النساء ، وأحسنهن اخلاقاً[3] .

٥ ـ قال خير الدين الزركلي : كانت سيدة نساء عصرها[4] .

٦ ـ قال الدكتور حسن ابراهيم حسن : كانت السيدة سكينة بنت الحسين بن علي سيدة نساء عصرها ، ومن اظرفهن واحسنهن اخلاقاً[5] .

٧ ـ قال الدكتور علي ابراهيم حسن : تتصف بنبل الفعال ، وجميل الخصال ، وطيب الشمائل[6] .

٨ ـ قال عمر رضا كحالة : سيدة جليلة ذات نبل ومقام رفيع وقال : وكانت سكينة ذات بيان وفصاحة . قالت ابنة لعثمان بن عفان في مأتم كانت فيه سكينة : انا بنت الشهيد . فسكتت سكينة ، فقال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله ، قالت سكينة : هذا ابي أو ابوك ؟ !

فقالت العثمانية : لا أفخر عليكم ابداً[7] .

٩ ـ قال مبارك ابراهيم : سكينة بنت الحسين : الشريفة ، الطاهرة ،

---

(١) الأئمة الاثنا عشر / ٧٢ .
(٢) تذكرة الخواص / ٢٨٨ .
(٣) وفيات الأعيان ٢١١/١ .
(٤) الاعلام ١٦٠/٣ .
(٥) تاريخ الاسلام السياسي ٥٤٧/١ .
(٦) نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب / ٦٨ .
(٧) اعلام النساء ٢٠٢/٢ و٢٢٣ .

المطهرة ، والزهرة الباسمة ، الناضرة بين زهرات اهل البيت ، وهي التي بجدها انبياء الله قد ختموا ، وأبوها هو مولانا ابو عبدالله الحسين بن علي ، الذي ورد في حقه ، إنَّ الرسول صلوات الله وسلامه عليه جاء ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين ، ثم أخذ كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم كساء ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ وقال : اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً[1] .

---

(١) نساء شهيرات ص٥ .

نهاية المطاف

وهذا الكتاب موجز لحياة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) ، أو هو جانب من جوانب مأساة كربلاء وما تلاها من المشاهد والمواقف التي شهدتها بنات امير المؤمنين (عليه السلام) سواء في الكوفة او الشام .

ثم ان هذه الصفحات بقدر ما تتعلق بحياة السيدة سكينة تكشف عن جناية بعض المؤرخين بالنسبة لاهل البيت (عليهم السلام) ، وحقدهم الدفين عليهم ، والصاق الاباطيل والإتهامات بهم .

ومن المؤسف للتاريخ أن يحاول ستر فضائح الأُمويين وإسدال الستار على أعمالهم ، وهي كظلام الليل الدامس لا تكشف ظلمته الوف المصابيح فضلاً عن بصيص شمعة ، ويحاول تعمية مناقب أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) وفضائلهم وهي كالشمس لا يواريها السحاب ، ولا تستر بالراح ، إن أعشت عنها عين رأتها عيون .

أعلام النساء

(٨)

فاطمة
بنت الامام الحسين
عليه السلام

الاهداء

يا ابا الشهداء

هذه لمحات من حياة عزيزتك (فاطمة) لم أجد أحق باهدائها اليه منك . فتقبلها يا سيدي فأنت أولى بالقبول .

عبدك

علي محمد علي دخيِّل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

نقدم في هذا الكتاب حلقة جديدة من مأساة الطف ، وما تلاها من الفجائع والرزايا التي تحملها أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) في سبيل الحفاظ على رسالة جدهم الأقدس بعيدة عن أيدي الظالمين والملحدين ، باذلين من أجلها دماءهم ودموعهم .

ان يوم عاشوراء بشهدائه ، واسرائه ، برجاله ، ونسائه ، بأطفاله ورضعانه ، بيتامـاه ويتيماته ، سيبقى خالداً ما دامت سماء وأرض ، وما دام كوكب وبدر ، لا تزيده الأعوام إلّا خلوداً ، والدهور إلا تطاولاً ورفعة ، فهو كلما اخلق الزمان تجدد .

إنَّ مأساة الطف وما أعقبها من المآسي والمحن صفحة فريدة لم تشهدها البشرية من قبل ولا من بعد ، وكيف وقد اسفرت عن مصرع كهول آل محمد وشبانهم وأطفالهم ورضعانهم مجزرين كالأضاحي ، فكان أفظع مشهد لناظر ، وأقرح موقف لمتأمل : ارض صبغتها الدماء ، أشلاء مبعثرة على الصعيد ، أيد مقطعة على الأرض ، رؤوس مرفوعة على الرماح ، اخبية اضرمت فيها النار ، أطفال تلاحقهم الخيل ، وقد احرق قلوبهم الظمأ ، وثواكل يندبن قتلاهن بالإيماء .

كما ان المشاهد التي تلت يوم الطف كانت أشد على آل محمد (صلى الله عليه وآله) ، فمخدرات الرسول (صلوات الله عليه) ، وعقائل الوحي ، وبنات أمير المؤمنين (عليه السلام) أُسارى من بلد الى بلد يتصفح وجوههن القريب والبعيد ، وأمامهن رؤوس حُماتهن .

كان هذا وغيره مما عاشته هذه السيدة ، وعانته ، واكتوت بناره ، وتحملت منه عبئاً ثقيلاً ، فكانت ـ كباقي الفاطميات ـ شريكة للحسين (عليه السلام) في يومه الخالد .

وعسى أن أُوفق في هذا الكتاب لاستعراض بعض جوانب حياتها الكريمة ، وسيرتها المثالية ، فهي ـ مضافاً لما مر ـ سليلة الوحي ، وابنة الوصي ، وبضعة الشهيد ، لها من مجدها ، وعزها ، وشرفها ، وتقواها ، ما يجعلها في صفوف الخالدين .

في سطور

جـدها : الامام امير المؤمنين (عليه السلام) .

جدتهـا: فاطمة الزهراء (عليها السلام) .

ابوهـا : الإمام الحسين (عليه السلام)

عمهـا : الإمام الحسن (عليه السلام) .

عماتهـا : زينب ، ام كلثوم[1] .

أمهـا : أُم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي .

اخوتـها : الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، علي الأكبر (شهيد كربلاء) عبدالله الرضيع .

اختاها : سكينة ، ورقيّة .

زوجهـا : الحسن المثنى بن الإمام الحسن (عليه السلام) .

كنيتهـا : أُم عبدالله .

لقبهـا : فاطمة الصغرى ، النبوية .

اولادهـا : عبـدالله المحض[1] ، ابـراهيم (الغمـر) ـ الحسن

---

(١) ولها أعمام وعمات هم أخوة الحسين (عليه السلام) لأبيه .

(٢) انما سمي المحض لأنه اجتمعت عليه ولادة الحسن والحسين (عليهما السلام) ، وكان يشبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

(المثلث) ـ زينب .

وفاتها : سنة ١١٧ هـ عن اكثر من سبعين سنة .

من راويات الحديث ، فقد وردت أحاديث كثيرة اسندت عنها .

عبادتها

أخذ أهل البيت (عليهم السلام) العبادة عن جدهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقد قام النبي (صلى الله عليه وآله) مصلياً حتى تورمت قدماه ، فأنزل الله سبحانه : ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ أي لتتعب بالعبادة وقيام الليل .

وذكر اهل السير : إنَّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة[١] .

وإذا فات فاطمة أن تدرك جديها (عليهما الصلاة والسلام) ، فقد شاهدت أباها الإمام الحسين (عليه السلام) ، وأخاها الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، وكل منهما كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة[٢] .

فخليق بها بعد هذا أن تدأب على العبادة ، وتلتذ بمناجاة المولى جل شأنه ، والمثول بين يديه سبحانه وتعالى .

نسجل بعض ما ورد من عبادتها .

١ ـ قال الإمام الحسين (عليه السلام) فيها : أمّا في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار[٣] .

---

(١) الغدير ٥/٢٥ عن مصادر كثيرة .
(٢) تاريخ ابن الوردي ١/٢٣٣ اعيان الشيعة ٤ق ١/١٢٤ المناقب ٢/٢٥١ .
(٣) ادب الطف ١/١٦٤ .

٢ ـ قال الشيخ المفيد (رحمه الله) : كانت فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) تقوم الليل ، وتصوم النهار[١] .

٣ ـ كانت تسبّح بخيوط معقود فيها[٢] .

٤ ـ ضربت على قبر زوجها فسطاطاً ، كانت تصوم النهار وتقوم الليل ، الى سنة . نقل ذلك الشيخ المفيد ، وكثير من علماء الشيعة والسنة[٣] .

---

(١) الإرشاد / ١٩٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨/٤٧٤ السمط الثمين /١٦٨ .

(٣) نفثة المصدور / ٣٩ .

استيذاعها الوصية

وهناك جوانب كثيرة ترفع بهذه المرأة الى القمة ، وتجعلها في مصاف العظماء ، ولعلك ترى في هذا الكتاب بعض جوانب هذه العظمة ، ومنها ـ وما أكثرها ـ استيداع سيد الشهداء (عليه السلام) ابنته هذه بعض وصاياه .

روى ثقة الإسلام عن الإمام الباقر (عليه السلام) : ثم ان حسينا (عليه السلام) لما حضره الذي حضره ، فدعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) فدفع اليها كتاباً ملفوفاً ، ووصية ظاهرة ، وكان علي بن الحسين (عليه السلام) مبطوناً لا يرون الا انه لما به ، فدفعت فاطمة الكتاب الى علي بن الحسين (عليه السلام)[1] .

---

(١) اصول الكافي / ١٤٧ .

في كربلاء

استفاقت بنت الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء والحسين (عليه السلام) يصيح في أهل الكوفة : ألا وإنَّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين : بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأُنوف حمية ، ونفوس ابية ، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام . ألا واني زاحف بهذه الأسرة ، على قلة العدد ، وخذلان الناصر[1] .

وأيقنت فاطمة بالمصير الذي ينتظر أباها الحسين (عليه السلام) وآله وأصحابه ، وبالمستقبل المظلم امامها .

كان هذا حديث الصباح ، وقد ارتفعت الشمس في الأُفق ، وما أن غربت شمس ذلك اليوم ، واذا ليس معها من ذويها احد ـ باستثناء الإمام زين العابدين (عليه السلام) ـ فكلهم قد اكلتهم الحرب ، وتركتهم على الصعيد صرعى مجزرين .

أتصورها في ذلك المساء ، وقد لاذت بعمتها زينب (عليها السلام) ، وجلست معها في طرف الخباء ، ولا أحسبها تبكي ، فقد بكت ذلك اليوم حتى جفت مدامعها ، وبح صوتها ، ثم مصابها بعد هذه الفاجعة بأبيها وأهلها أعظم من أن تبكيهم ، وأكبر من أن تستنزل لهم العبرات ، ولكنها كانت جالسة مع عمتها تتنفس الصعداء ، وتكاد انفاسها تخرج بقلبها المنكلم ،

---

(١) يوم الحسين (عليه السلام) للمؤلف / ٢٧ .

وكبدها المتفتت بالحسرات ، وزادها ألماً وغصة أنّ أباها الحسين (عليه السلام) وبقية الهاشميين والأصحاب ، قد قطعت رؤوسهم ، وبقيت أجسامهم بالعراء ، فكان تفكيرها في مصير تلك الأشلاء الطاهرة ، وقد صهرتها اشعة الشمس . وهي إنْ تناست هذا المشهد يتراءى لها مصير العائلة بين أيدي أجلاف الكوفة ، وكيف سينتهي بذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) المطاف ، وهل يكون اتجاههم في الغد الى المدينة ، أو للكوفة ، حيث ينتظرهم مجلس ابن مرجانة .

طلع فجر اليوم الحادي عشر ، وجاء أعوان ابن سعد بالابل ليحملوا عليها كرائم الوحي ، ومخدرات الرسالة الى الكوفة ، ولكنّهنّ طلبن منهم أن يسمحوا لهن أن يركّب بعضهن البعض ، ففعلوا .

سار بهن الحادي على ساحة المعركة ، فشاهدت أباها ، وأُخوتها ، وأهلها صرعى لا مغسلين ولا مكفّنين ، سمعت عمتها زينب تصيح : يا محمداه ، هذا حسين بالعراء ، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء ، وبناتك سبايا ، وذريتك مقتلة ، فأبكت كل عدو وصديق[1] .

أحسب فاطمة وقد همت بأن تلقي بنفسها على أبيها متزودة منه ومودعة ، ولكنها علمت ان ذلك يسبب آلامــاً للعائلة ، لأن النساء والاطفال سيفعلون مثلها ، ودعت فاطمة اباها وهي على ظهر الناقة ، فكانت آخر نظرة لجسده الشريف دون الرأس .

ثم سارت ومعها يتامى آل الرسول ، وثواكل آل محمد (صلى الله عليه وآله) متجهة مع الركب الى الكوفة .

---

(١) مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم / ٣٩٦ .

في الكوفة

تميزت واقعة كربلاء عن غيرها من وقائع الدنيا بجرائم ارتكبها اهل الكوفة واذناب بني أُمية لم يرتكبها غيرهم ، ولم يسجلها التاريخ لأحد قبلهم ولا بعدهم .

فلم يشهد التاريخ معركة ذبح فيها الاطفال والرضع عن عمد واصرار ، بمرأى من أُمهاتهم وأخواتهم كما حصل في كربلاء .

هبوا انكم قاتلتم فقتلتم   فما ذنب اطفال تعاني نبالها

ولم يشهد التاريخ رض الأجساد ، والتمثيل بجثث القتلى قبل يوم عاشوراء ـ باستثناء ما قامت به هند ام معاوية من التمثيل بحمزة بن عبد المطلب ـ .

ثم كانت خاتمة المطاف تسيير عائلة آل الرسول (صلى الله عليه وآله) سبايا ، تحيط بها رؤوس أوليائها وحماتها .

اتجهوا بموكب عائلة الحسين (عليه السلام) الى الكوفة ـ عاصمتهم وقاعدة خلافتهم ـ وراد في مصاب العائلة أن يستقبلهم الكوفيون رجالاً ونساء متفرجين ، وغير متكثرين بما صدر منهم نحو العترة الطاهرة . وإذا كان بنو اسرائيل يقتلون من طلوع الشمس الى غروبها سبعين نبياً ثم يجلسون في اسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يصنعوا شيئاً ، فأهل الكوفة قتلوا عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ونيفاً وسبعين رجلاً من خيار الصحابة والتابعين، وحملوا نساء آل محمد (صلى الله عليه وآله) سبايا ، ثم خرجوا

يتفرجون عليهم لقد اذهل هذا الموقف عقائل الوحي ، ومخدرات الرسالة ، وبنات امير المؤمنين (عليه السلام) ، فانفجرن بخطبهن ، فبعد خطبة زينب (عليها السلام) تخطب فاطمة[1]

(١) انظر فصل خطبها من هذا الكتاب .

في الشام

ويوم عاشوراء وما تلاه من أيام ، حلقة متواصلة المصائب على أهل البيت (عليهم السلام) ، فبعد ما شاهدوا من الرزايا والمحن في كربلاء فوجئوا بالكوفة ، ومجلس ابن زياد ، ثم من بعدها الشام ، وفي كلا البلدين هم بين كتل الأعداء ، وجموع الحاقدين .

ويعتبر أهل البيت (عليهم السلام) مصيبة الشام اشد المصائب التي رأوها ، فقد سئل الإمام زين العابدين (عليه السلام) عن أشد المصائب عليه فقال : الشام .

وطبيعي ان تكون الشام كذلك ، فهم في قاعدة عدوهم ، وفي بلد ليس لهم به ناصر ولا معين ، وقد غذاهم معاوية أربعين سنة بعداوة أهل البيت ، وسب امير المؤمنين (عليه السلام) ، حتى شاب عليه الصغير ، وهرم الكبير .

وإذا كان أهل البيت (عليهم السلام) قد شاهدوا قبل الشام اسر الكوفة، ومجلس ابن زياد ، فهو قياس مع الفارق، فالكوفة وان كان موقفها غير مشرف، إلاّ ان فيها من أنكر على ابن زياد فعله ، وعرض نفسه للقتل ، كعبدالله بن عفيف الأزدي (رضوان الله عليه) ، وزيد بن أرقم ، والمختار بن ابي عبيدة الثقفي ، كما ان هناك من هو أقل إيماناً وعزماً من هؤلاء ، كان يحز في نفسه ما يراه ، ويتحفز للنهوض ، حتى ان عمرو بن حريث لحظ ذلك في المجلس لما همَّ ابن مرجانة بالعقيلة ، فقال له : إنّها امرأة ، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ، لما رأى وجوه الناس قد تغيرت وخاف أن تبدر منهم بادرة مع

ابن زياد .

ولكن الشام وقد حصل فيها لآل البيت عكس ذلك ، فهناك من يقول للإمام زين العابدين (عليه السلام) : الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم[1] . ويقف آخر في مجلس يزيد يستوهب فاطمة ابنة الحسين (عليه السلام) لتكون خادمة عنده .

قالت فاطمة : فأرعدت ، وظننت ان ذلك جائز لهم ، فأخذت بثياب عمتي زينب ، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون .

فقالت عمتي للشامي : كذبت والله ولؤمت ، ما ذاك لك ولا له ، فغضب يزيد وقال : كذبت ، ان ذلك لي ، ولو شئت ان أفعل لفعلت .

قالت : كلا والله ، ما جعل الله لك ذلك ، الا أن تخرج من ملتنا ، وتدين بغيرها .

فاستطار يزيد غضباً وقال : اياي تستقبلين بهذا ، إنَّما خرج من الدين أبوك وأخوك .

قالت : بدين الله ، ودين ابي ، ودين أخي ، اهتديت أنت وجدك ، وابوك ، ان كنت مسلماً .

قال : كذبت يا عدوة الله .

قالت له : انت أمير تشتم ظالماً ، وتقهر بسلطانك ، فكأنه استحى وسكت .

فعاد الشامي فقال : هب لي هذه الجارية .

فقال له يزيد : اعزب ، وهب الله لك حتفاً قاضياً[2] .

---

(١) مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم / ٤٤٨ .

(٢) الإرشاد / ٢٤٦ .

صرخة في الشام

مما انفردت به مصائب كربلاء عن غيرها من المصائب والمحن : أنها أبكت حتى الأعداء والقتلة أنفسهم ، وناهيك بمصاب يبكي له العدو . فقد ذكر اهل المقاتل بكاء عمر بن سعد بعد ما كلمته العقيلة (عليها السلام) عصر عاشوراء[1] ، كما بكى غيره من أهل العسكر ، ولعن يزيد وابن مرجانة ، فقد سمع شبث بن ربعي ـ قائد الرجالة ـ وهو يقول : قاتلنا مع علي ابن ابي طالب ومع ابنه الحسن آل ابي سفيان خمس سنين ، ثم عدونا الى ابنه وهو خير أهل الأرض نقتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية[2] .

وهي إنْ أبكت هؤلاء الشقاة ، واحترقت لها قلوبهم ، فطبيعي انها ابكت جميع الخلق .

اي المحاجر لا تبكي عليك دما ابكيت والله حتى محجر الحجر

ولعل الحوادث التي تلت مقتل سيد الشهداء (عليه السلام) وآله الميامين هي أكثر جلباً للبكاء ، وأشد وجعاً للقلوب .

فالحسين (عليه السلام) وآله وأصحابه قوم كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعم ـ كما تقول العقيلة ـ ولكن المصيبة مصيبة النساء والأطفال ، وقد أُحرقت الخيام وهن يتراكضن في البيداء ، ومنادي القوم : احرقوا بيوت

---

(١) مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم / ٣٥٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٦/٢٥٠ .

الظالمين ، فإن وقفن فالنار تلتهمهن ، وان فررن فالى السلب وحوافر الخيل ، وان احتمين فالحماة صرعى مضرجين بالدماء .

ثم تلا هذا المشهد الرهيب ، سوقهم الى الكوفة ـ عاصمة جدهم ـ أُسارى ، ثم مجلس ابن مرجانة ، وكانت خاتمة المطاف الشام .

نحن لا نستطيع ان نقدر ما لاقاه أهل البيت (عليهم السلام) في الشام ، وقد مر عليك آنفاً كلمة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في أنها أعظم المصائب .

لقد شاهد اهل البيت فرح اهل الشام ، وشماتة بنيّ أُمية ، ومجلس يزيد ، ورأس الحسين (عليه السلام) بين يديه .

روى السيد الأمين (رحمه الله) : لما دخل نساء الحسين (عليه السلام) على يزيد ، والرأس بين يديه ، جعلت فاطمة وسكينة يتطاولان لينظرا الى الرأس ، وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس ، فلما رأين الرأس صحن ، فصاحت نساء يزيد ، وولولت بنات معاوية .

فقالت فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) : أبنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبايا يا يزيد ؟ !

فبكى الناس ، وبكى اهل داره ، حتى علت الأصوات[1]

---

(١) اعيان الشيعة ٢٤٨/٤٢

خطبها

لو ترك اهل البيت (عليهم السلام) وشأنهم لكان لهم شأن غير هذا ، ولكن الأُمة الجأتهم الى اشياء لم يكن في حسبانهم ان يفعلوها . ومن هذه الأشياء التي اضطر اليها أهل البيت (عليهم السلام) هو خطب نسائهم ، فلو لم يحتّم عليهم الواجب من إعلان مظلوميتهم ، والمطالبة بحقهم ، والنيل من عدوهم ، لما كان لهن خطب ، ولكانت لكل واحدة منهن مجالس نسائية للفقه والتفسير ، وتعليم المرأة وتثقيفها ، كما حصل للعقيلة (عليها السلام) .

ولكنّهنّ - كما قلت - اظطررن للخطب ، وما حيلة المضطر الا ركوبها .

نذكر بعض ما ورد من خطب فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) :

١ - روى زيد بن موسى قال : حدثني ابي عن جدي (عليهم السلام) قال خطبت فاطمة الصغرى بعد أن وردت من كربلاء فقالت : الحمد لله عدد الرمل والحصى ، وزنة العرش الى الثرى ، وأحمده وأُؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ، وان أولاده ذبحوا بشط الفرات بغير ذحل ولا ترات . اللهم إنّي أعوذ بك أن افتري عليك الكذب أو أن أقول عليك خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، المسلوب حقه ، المقتول من غير ذنب ، كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله فيه معشر مسلمة بألسنتهم تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته ، حتى

قبضته اليك محمود النقيبة طيب العريكة ، معروف المناقب ، مشهور المذاهب ، لم تأخذه فيك اللهم لومة لائم ، ولا عذل عاذل . هديته اللهم للاسلام صغيراً ، وحمدت مناقبه كبيراً ، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك (صلى الله عليه وآله) حتى قبضته اليك زاهداً في الدنيا ، غير حريص عليها ، راغباً في الآخرة ، مجاهداً لك في سبيلك ، رضيته فاخترته فهديته الى صراط مستقيم .

اما بعد : يا اهل الكوفة يا أهل المكر والغدر والخيلاء ، فانا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا ، فجعل بلاءنا حسناً وجعل علمه عندنا ، وفهمه لدينا ، فنحن عيبة علمه ، ووعاء فهمه وحكمته وحجته على الأرض في بلاده لعباده ، أكرمنا الله بكرامته ، وفضلنا بنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) على كثير ممن خلق تفضيلاً بينا ، فكذبتمونا وكفرتمونا ، ورأيتم قتالنا حلالاً ، وأموالنا نهباً ، كأننا أولاد ترك وكابل ، كما قتلتم جدنا بالأمس ، وسيوفكم تقطر من دمائنا اهل البيت لحقد متقدم ، قرت لذلك عيونكم ، وفرحت قلوبكم افتراءً على الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين . فلا تدعونكم انفسكم الى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا فإنّ ما اصابنا من المصائب الجليلة ،والرزايا العظيمة (في كتاب من قبل ان نبرأها إنَّ ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) . تباً لكم فانتظروا اللعنة والعذاب فكأن قد حل بكم وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم بعذاب ، ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا ألا لعنة الله على الظالمين ، ويلكم أتدرون اية يد طاعنتنا منكم ، واية نفس نزعت الى قتالنا ، أم بأية رجل مشيتم الينا تبغون محاربتنا ، والله قست قلوبكم وغلظت أكبادكم ، وطبع على افئدتكم وختم على سمعكم وبصركم وسوَّل لكم الشيطان ، وأملى لكم ، وجعل على أبصاركم غشاوة فانتم لا تهتدون ، فتباً لكم اهل الكوفة أي ترات لرسول الله (صلى الله عليه وآله) قبلكم ، وذحول

لديكم بما صنعتم بأخيه علي بن ابي طالب جدي ، وبنيه وعترته الطيبين الأخيار ، فافتخر بذلك مفتخر كم وقال :

نحن قتلنا عليا وبني علي بسيوف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأي نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب ، افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم الله ، وأذهب عنهم الرجس فاكظم واقع كما اقعى أبوك فانما لكل امرىء ما كسب وما قدمت يداه وحسدتمونا ويلاً لكم على ما فضلنا الله .

فما ذنبنا ان جاش دهرا بحورنا وبحرك ساج ما يواري الدعامصا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وقالوا : حسبك يا ابنة الطيبين فقد أحرقت قلوبنا ، وانضحت نحورنا ، وأضرمت أجوافنا فسكتت[1] .

---

(١) اللهوف / ٦٥ .

كلامها

وأهل البيت (عليهم السلام) هم معدن الحكمة ، وينبوع المعارف ، واهل الفصاحة ، منهم تعلم الناس الخطب والمواعظ ، وما سن الفصاحة لقريش ـ كما يقول معاوية ـ غير علي بن ابي طالب (عليه السلام)[1] . لقد ورد لكل واحد منهم سلام الله عليهم كلام نفيس في المواعظ ، والاخلاق ، والآداب ، وأحسب ما ضيعه التاريخ لهم باضعاف ما أثبته ، لتطاول الزمن ، وتأخر عصر التدوين ، وغير ذلك وربما يوجد في كتب السير والتراجم للسيدة فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) غير ماذكرناه ، ولكن لم نطلع عليه .

والذي ـ ذكرناه ـ على قلته ـ يعطينا نموذجاً من فصاحة هذه المرأة ، ومبلغ علمها ، وحرصها على التوجيه والإرشاد . نذكر لها :

١ ـ قالت (عليها السلام) : والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئاً ، ولا أدركوا من لذاتهم شيئاً ، إلا وقد ناله أهل المروآت ، فاستتروا بجميل ستر الله[2] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/ ٢٥ .

(٢) الاعلام ٥/٣٢٨ الدر المنثور / ٣٦١

شعرها

أثرت فاجعة كربلاء على جميع المسلمين عبر القرون والأجيال ، والهبت عواطف الشعراء ، فقل من أتى بعدها من الشعراء الا ونظم فيها بل هي أثرت حتى بغير المسلمين ، من شعراء المسيحية قديماً وحديثاً ، وهذا بولس سلامة ـ شاعر لبنان ـ وديوانه (علي والحسين) وغيره كثير .

وقد جمع العلامة الخطيب السيد جواد شبر هذه المراثي في موسوعته الضخمة (أدب الطف أو شعراء الحسين (عليه السلام) وقد خرج منها عشرة أجزاء[1] .

وإذا كانت فاجعة الطف قد هزت جميع الشعراء فرثوا الحسين (عليه السلام) فطبيعي ان يكون تأثيرها اعظم على أهله ، خصوصاً وقد عاينوها وواكبوها من البداية حتى النهاية .

نسجل بعض ما ورد لفاطمة (عليها السلام) في رثاء ابنها الحسين (عليه السلام) :

نعق الغراب فقلت من تنعاه ويحك يا غراب
قال الامام فقلت : من قال : الموفق للصواب
قلت : الحسين فقال لي بمقال محزون اجاب

(١) طبع للمرة الثانية في دار المرتضى ـ لبنان .

ان الحسين بكربلا بين الأسنة والحراب
أبكي الحسين بعبرة ترضي الإله مع الثواب
ثم استقل به الجناح فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بي بعد الرضى المستجاب[1]

(١) الدر المنثور / ٣٦٢ .

زوجها

ذكرنا في كتاب سكينة بنت الحسين(عليه السلام) بعض ما ألصقه اعداء أهل البيت (عليهم السلام) بها ، من مجالسة الشعراء ، وغير ذلك ، مما يتنافى وقدسية آل الرسول عليهم (الصلاة والسلام) .

ولم تسلم منهم فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) ، فقد نسبوا اليها كثرة الأزواج ، فلم يكتف الناس من أهل البيت (عليهم السلام) بما صنعه السلف بهم في كربلاء وما أعقبها من المشاهد حتى جاؤا ليكملوا فصول المهزلة ، فينسبوا اليهم اموراً ما أنزل الله بها من سلطان ، ويلصقوا بهم تهماً هم منها براء ، نسجتها اخيلتهم وحاكتها أيديهم الأثيمة ، عداوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وبغضاً لأمير المؤمنين (عليه السلام) .

روى ابو الفرج الاصفهاني عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب : لما حضرت الحسن[1] بن الحسن الوفاة جزع وجعل يقول : اني لأجد كرباً ليس من كرب الموت .

فقال له بعضهم : ما هذا الجزع ؟! تقدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو جدك ، وعلى علي ، والحسن والحسين ، وهم آباؤك .

فقال : ما لذلك أجزع ، ولكني ، كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان حين اموت ، وقد جاء في مضرجتين ، أو ممصرتين ، وقد رجل جمته ، يقول : انا من بني عبد مناف ، جئت لأشهد ابن عمي ، وما به إلا ان يخطب

---

(١) هو الحسن المثنى بن الإمام (عليه السلام) ، وهو زوج فاطمة .

فاطمة بنت الحسين ، فاذا مت فلا يدخلن عليّ .

قال : فصاحت به فاطمة : اتسمع ؟

قال : نعم .

قالت : اعتقت كل مملوك لي ، وتصدقت بكل مملوك لي ان أنا تزوجت بعدك أحداً .

قال : فسكن الحسن ، وما تنفس وما تحرك حتى قضى (رضوان الله عليه) ، فلما ارتفع الصياح اقبل عبدالله على الصفة التي ذكرها الحسن ، فقال بعض القوم : ندخله ، وقال بعضهم : لا ندخله ، وقال قوم : وما يضر من دخوله .

فدخل ، وفاطمة (رضوان الله عليها) تصك وجهها ، فأرسل اليها وصيفاً كان معه ، فجاء فتخطى الناس حتى دنا منها : فقال لها : يقول لك مولاي : اتقي على وجهك ، فإن لنا فيه ارباً ، قال : فارسلت يدها في كمها ، وعرف ذلك فيها ، فما لطمت حتى دفن .

فلما انقضت عدتها خطبها ، فقالت : كيف بنذري ويميني ؟

فقال : نخلف عليك بكل عبد عبدين ، وبكل شيء شيئين ، ففعل ، فتزوجته .

وروى أيضاً عن اسماعيل بن يعقوب : ان فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) لما خطبها عبدالله ابت أن تتزوجه ، فحلفت امها عليها أن تزوجه ، وقامت في الشمس ، وآلت الا تبرح حتى تزوجه ، فكرهت فاطمة ان تخرج فتزوجته[1] .

ونقول :

---

(١) مقاتل الطالبيين / ١٣٩

١ ـ هذه الروايةعن الزبير بن بكار عن عمه مصعب ، وانحرافهما معلوم عن اهل البيت (عليهم السلام) ، وعداوتهما واضحة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقد ذكر ذلك جل من ترجم لهما .

٢ ـ ان ما ذكره ابو الفرج الاموي لا يمكن ان تقوم به أي امرأة من سائر المسلمين ، فضلاً عن عقائل الوحي ، وبنات الرسالة ، ومخدرات امير المؤمنين (عليه السلام) .

انا لا أدري كيف يدخل رجال أجانب على نساء يلطمن فقيدهن ساعة موته ؟ ! ثم لم يكتفوا بالنظر اليهن حتى يراسلوا المعتدة منهن ! ! انا أستبعد ان يحدث هذا في مجاهل سبيريا ، وعند همج افريقيا ، فضلاً عن آل الله .

٣ ـ من تأمل ما بين البيتين ـ الهاشمي والاموي ـ من عداوة قديمة وحديثة ، وما فعلته امية بسيد الشهداء (عليه السلام) يقطع باستحاله ذلك .

وفي الوقت الذي أقطع بعدم رغبة فاطمة بعبد الله ، اقطع ايضاً بعدم رغبته فيها ، ولو سلمنا برغبته فإن له من عشيرته وذويه ـ لا سيما ملوكهم وولاتهم ـ ما يمنعه من ذلك .

٤ ـ تبودلت الرسائل بين محمد بن عبدالله بن الحسن والمنصور العباسي ، وما ترك احدهما للآخر شيئاً ينتقص به الا وذكره . ولو صح هذا الزواج لذكره المنصور خافضاً به لمحمد وابيه ، فقد ذكر ما هو دون هذا بكثير .

٥ ـ لم يذكر ذلك كبار محدثي الشيعة ، ورجال التاريخ منهم ، مع ما تميزوا به من الإطلاع ، والتحقيق ، وعدم المهادنة لاحد ، فهذا الشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، وابن شهراشوب ، والطبرسي ، وغيرهم من اعلام الطائفة لم يذكرواذلك .

٦ ـ قال العلامة المحقق الشيخ عباس القمي (رحمه الله) : فظهر مما ذكرنا كذب ما نقله ابو الفرج الاصفهاني المرواني عن الزبير بن بكار الزبيري

المعروف عداوته وعداوة آبائه للعلويين ، وأولاد الأئمة الطاهرين في مقاتل الطالبيين : انها بعد انقضاء عدتها تزوجها عبدالله بالتفصيل الذي لا يرضى مسلم غيور بنقله فضلاً عمن كان من أهل الايمان ، ولا غرو منه في نقل ذلك وامثاله ، فإنه عرقت فيه عروق امية ومروان ، والعجب انه روى بعد ذلك عن احمد بن سعيد في امر تزويجه إياها يكذِّب هذه الرواية الموضوعة ايضاً ، فإنه روى مسنداً عن اسماعيل بن يعقوب : ان فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) لما خطبها عبدالله ابت ان تتزوجه ، فحلفت أُمها عليها ان تزوجه ، وقامت في الشمس ، وآلت ان لا تبرح حتى تزوجه ، فكرهت فاطمة ان تخرج ، فتزوجته[1] .

ولم تنته المهزلة بهذا الفصل ، فقد روى عمر رضا كحالة في كتابه : ولما مات عنها عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، خطبها عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، هو عامل على المدينة ، فقالت : والله ما أُريد النكاح ، ولقد قعدت على بنيَّ هؤلاء ، وجعلت تحاجزه ، وتكره ان تنابذه ، لما تخاف منه ، فألح عليها ، وقال : والله لئن لم تفعلي لأجلدن أكبر بنيك في الخمر ، يعني عبدالله بن الحسن ، فبينما هو كذلك وعلى ديوان المدينة ابن هرمز من اهل الشام ، فكتب اليه يزيد بن عبد الملك ان يرفع حسابه ، ويدفع الديوان ، فدخل على فاطمة بنت الحسين يودعها ، فقال : هل من حاجة ؟

فقالت : تخبر امير المؤمنين بما القى من ابن الضحاك ، وما يتعرض مني ، وبعثت رسولاً بكتاب الى يزيد تخبره ، وتذكر قرابتها ورحمها ، وتذكر ما ينال ابن الضحاك منها ، وما يتوعدها به .

فقدم ابن هرمز والرسول معاً ، فدخل ابن هرمز على يزيد فاستخبره عن المدينة ، وقال : هل كان من مغربة خبر ؟

فلم يذكر ابن هرمز من شأن ابنة الحسين ، فقال الحاجب : اصلح الله

(١) نفثه المصدور / ٣٩ .

الأمير بالباب رسول فاطمة بنت الحسين .

فقال ابو هرمز : اصلح الله الأمير ان فاطمة بنت الحسين يوم خرجتُ حمَّلتني رسالة اليك ، أخبره الخبر ، فنزل يزيد من على فراشه ، وقال : لا أُم لك ، اسألك هل من مغربة خبر وهذا عندك لا تخبرنيه فاعتذر بالنسيان ، ثم أذن للرسول فأدخله ، فأخذ الكتاب فقرأه ، وجعل يضرب في خيزران في يديه وهو يقول : لقد اجترأ ابن الضحاك ، هل من رجل يسمعني صوته في العذاب ، وأنا على فراشي ؟ قيل له : عبد الواحد بن عبدالله بن بشر النضري .

فدعا يزيد بقرطاس فكتب بيده الى عبد الواحد النضري وهو بالطائف : سلام عليك ، اما بعد : فقد وليتك المدينة ، فإذا جاءك كتابي هذا فاهبط ، واعزل عنها ابن الضحاك ، وأغرمه اربعين الف دينار ، وعذبه حتى اسمع صوته وانا على فراشي .

فأخذ البريد الكتاب ، وقدم به المدينة ، ولم يدخل على ابن الضحاك ، فأرسل الى البريد ، فكشف له عن طرف المفرش فإذا الف دينار ، فقال : هذه الف دينار لك ، ولك العهد والميثاق لئن انت اخبرتني خبر وجهك هذا دفعتها اليك ، فأخبره ، فاستنظر البريد ثلاثاً حتى يسير ، ففعل ، ثم خرج ابن الضحاك حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك ، فقال : انا في جوارك .

فغدا مسلمة على يزيد فرققه، وذكر حاجة ، فقال يزيد : كل حاجة تكلمت فيها هي في يدك ما لم يكن ابن الضحاك .

فقال : هو والله ابن الضحاك .

فقال : والله لا أعفيه ابداً وقد فعل ما فعل .

فأغرم النضري ابن الضحاك اربعين الف دينار ، وعذبه ، وطاف به في جبة من صوف[1] .

---

(١) اعلام النساء ٤/٤٧ .

أنا لا أدري كيف يقدم ابن الضحاك على خطبة فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) وهو عامل لبني امية على المدينة مركز بني هاشم ؟ ! ان أقل ادراك سياسي لحاكم في عهد الأمويين يصده عن ذلك .

والأغرب من ذلك غيرة يزيد على فاطمة ، وغضبه على ابن الضحاك ، حتى لم يقبل فيه شفاعة أخيه مسلمة بن عبد الملك .

ان هذا الخيال قريب من قصص الف ليلة وليلة ، نسجته الأيدي الأثيمة ، بغضاً لآل رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

أُم الثوار

شهد التاريخ الإسلامي ثورات العلويين التي هزت العروش الأُموية والعباسية ، وكادت في بعض الأحيان ان تقضي عليهم . واستطاع بعض هؤلاء الثوار استلام الحكم محلياً ، ودامت بيدهم أزمة الأُمور ، كالادارسة في المغرب ، والحسنيين في الحجاز ، والعلويين في الديلم ، والفاطميين في مصر ، وغيرهم كثير .

ان من تصفح التاريخ الاسلامي يجد ثوراتهم متلاحقة في جميع انحاء العالم الاسلامي ، وربما في الوقت الواحد يثور منهم عدة اشخاص في مدن متعددة ، كما حدث في عهد المأمون العباسي فثورة في العراق يقودها ابن طباطبا وأُخرى في المدينة وزعيمها محمد بن سليمان وثالثة بالبصرة بقيادة علي بن محمد بن جعفر وزيد بن موسى بن جعفر ، ورابعة في اليمن بقيادة ابراهيم بن موسى بن جعفر ، وخامسة في مكة بزعامة محمد بن جعفر ، حتى اضطر الى جعل ولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) تهدئة لثوراتهم ، وتسكينا لنفوسهم .

وهذه الثورات شيء طبيعي لتلك الحياة السياسية التي كانت قائمة آنذاك ، فولاة الأُمور مضافاً الى بعدهم عن تعاليم الإسلام وهديه ، كانوا في نظر هؤلاء العلويين وشيعتهم غاصبين للخلافة منهم ، فالخلافة ميراثهم من جدهم الرسول (صلى الله عليه وآله) . وجدير بالذكر ان ليس كل هؤلاء العلويين ثار على انه الخليفة الشرعي للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، بل بعضهم دعا للرضا من آل محمد ، اي للإمام الشرعي منهم ،

كزيد الشهيد (رضوان الله عليه) وبعضهم اضطر للثورة لما اصابه من ظلم وتعسف ، كالحسين شهيد فخ .

وبعضهم كان يرى نفسه أحق من الحكام بالولاية ، ولأن له بيعة في أعناق ولاة الأمر ، كمحمد بن عبدالله بن الحسن ، فقد سبق للمنصور وغيره من العباسيين ان بايعوه في العهد الاموي .

وام جل الثوار الحسنيين هي فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) ، فأول ثائر منهم هو محمد ـ ذو النفس الزكية ـ ابن عبدالله بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن (عليه السلام) وفاطمة جدته ، ثم تلاه اخوه ابراهيم ، ثم تلاحقت ثوراتهم وكلهم من فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السلام) ، فهي بنت الثائر وأم الثوار .

في المدينة

رجعت زينب الى المدينة ، وكانت واجبات كثيرة تنتظرها بها ، فهي تنوب عن الامام زين العابدين (عليه السلام) في الفتيا والتوجيه والارشاد ، ومعنى ذلك أنها تتحمل مسؤولية الأُمة في تلك الفترة الحرجة وناهيك بها مسؤولية .

وكانت تدير تلك العائلة الكبيرة التي كان يديرها أكثر من عشرين رجلاً تحت رعاية عميدها الحسين (عليه السلام) ، لقد أصبحت كلها في عاتق زينب ، فهي المسؤولة عن حفظها وادارتها .

لقد خلفت لها واقعة كربلاء ميتماً كبيراً يضم الكثير من الأطفال والبنيات ، فكان عليها أن تتعاهدهم وترعاهم رعاية خاصة لتخفف عنهم مرارة اليتم ، وألم الحرمان .

ولم يكن هذا وحده عليها ، بل كان عليها أن تظهر مظلومية أهل البيت عليهم الصلاة والسلام ، خوفاً عليها من النسيان والضياع .

قال النسابة العبيدلي : كانت زينب بنت علي وهي بالمدينة تؤلب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين ، وخلع يزيد . بلغ ذلك أهل المدينة فخطبت فيهم زينب وصارت تؤلبهم على القيام للأخذ بالثار ، فبلغ ذلك عمرو بن سعيد ، فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر ، فكتب اليه ، أن فرق بينها وبينهم ، فأمر أن ينادي عليها بالخروج من المدينة ، والإقامة حيث تشاء ، فقالت : قد علم الله ما صار إلينا ، قتل خيرنا ، وانسقنا كما تساق الأنعام ، وحملنا على

الاقتاب ، فوالله لاخرجنا وإن أهرقت دماؤنا . فقالت لها زينب بنت عقيل : يا ابنة عماه قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض نتبوأ منها حيث نشاء فطيبي نفساً ، وقري عيناً وسيجزي الله الظالمين ، أتريدين بعد هذا هوانا ؟ إرحلي الى بلد آمن . ثم اجتمع عليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام وواسينها[1] .

ونحن لو أغفلنا هذه الرواية فلا نستطيع أن نهمل موقفها صلوات الله عليها في المدينة ، وقد رأينا ثورتها يوم الحرة .

---

(١) انظر الرسالة في كتاب (السيدة زينب) تأليف حسن محمد قاسم .

طالب تابعية ، من راويات الحديث . روت عن جدتها فاطمة مرسلاً ، وعن أبيها ، وغيرهما . ولما قتل ابوها حملت الى الشام مع أُختها سكينة ، وعمتها أُم كلثوم بنت علي ، وزينب العقيلة ، فأُدخلن على يزيد ، فقالت : يا يزيد ابنات رسول الله سبايا ؟ ![2] .

٧ ـ قالت السيدة زينب بنت علي الفواز العاملي : وكانت فاطمة كريمة الأخلاق ، حسنة الاعراق .

وقالت : لما جهز يزيد أهل البيت الى المدينة بعد قتل الحسين (عليه السلام) ، أرسل معهم رجلاً أميناً من أهل الشام في خيل سيرها صحبتهم الى أن دخلوا المدينة ، فقالت فاطمة بنت الحسين لاختها سكينة ، قد أحسن هذا الرجل الينا فهل لك ان نصله بشيء ؟

فقالت : والله ما معنا ما نصله به الا ما كان من هذه الحلي .

قالت : فافعلي .

فأخرجت له سوارين ، ودملجين ، وبعثت اليه بهما ، فردهما وقال : لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا كفاية ، ولكني والله ما فعلتها الاّ لله ، ولقرابتكم من رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1] .

---

(١) الاعلام ٣٢٧/٥ .

(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور / ٣٦١ .

نهاية المطاف

وهذه الصفحات موجز لحياة هذه المرأة العظيمة ، واستعراض سريع لسيرتها الكريمة ، وبنفس الوقت هي صورة جانبية لمأساة الطف وما تلاها من المشاهد الدامية ، والمواقف المروعة ، التي تحملها اهل البيت (عليهم السلام) في سبيل الدفاع عن هذا الدين العظيم ، وصيانة لشرع النبي (صلى الله عليه وآله) .

وفي عقيدتي ان هذه السيدة هي ارفع من أن يجليها قلمي ، وافضل من ان يمتدحها كتابي ، فلها من أبيها وجدها اسمى مراتب الشرف ، وأعلى درجات الكمال ، ولها بعد هذا وذاك قدم راسخة في الإيمان ، وصوت مدو في الجهاد ، ما يجعلها في صفوف الخالدين ، ولكني اقحمت نفسي ـ والله يعلم ـ في الكتابة عنها ، وكلي أمل ان تجد المرأة المسلمة في هذه السيرة مثلاً اعلى فتهتدي به ، ومنهجاً للاستقامة فتسلكه ، والله من وراء القصد ، وهو الموفق للصواب .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة